ISSN: 2665-7406
E-ISSN: 2737-8586

جامعة محمد الخامس بالرباط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
Université Mohammed V de Rabat
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines
Mohammed V University in Rabat
Faculty of Letters & Human Sciences

اللسانيّ linguist

مجلة فصلية دولية علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

المجلد (1) - العدد (1) شتاء 2021

ملف العدد

السوسيرية الجديدة

https://www.linguist.ma

اللسانيّ linguist
مجلة فصلية دولية علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

ISSN: 2665-7406

E-ISSN: 2737-8586

البريد الإلكتروني للمجلة

info@linguist.ma

ismaili@linguist.ma

الموقع الإلكتروني للمجلة
https://www.linguist.ma

مجلة فصلية دوليّة علميّة محكّمة متخصّصة في اللّسانيات تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. أحمد العلوي
أ.د. أحمد المتوكل
أ.د. حمزة بن قبلان المزيني
أ.د. حنون مبارك
أ.د. سعد مصلوح
أ.د. صالح بلعيد
أ.د. عبد الرزاق بنور
أ.د. عز الدين المجدوب
أ.د. محمد البكري
أ.د. محمد السيدي
أ.د. محمد الشاوش
أ.د. محمد غاليم
أ.د. مرتضى جواد باقر
أ.د. مصطفى غلفان
أ.د. ميشال زكريا
أ.د. نهاد الموسى

اللساني linguist
مجلة فصلية دولية علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

ترسل جميع المواد على البريد الإلكتروني للمجلة
ismaili@linguist.ma أو info@linguist.ma
للمزيد من التفاصيل يرجى زيارة الموقع الإلكتروني للمجلة
https://www.linguist.ma

المدير الإداري

أ.د. جمال الدين الهاني
عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط

مدير المجلة ورئيس تحريرها

أ.د. حافظ إسماعيلي علوي

هيئة التحرير

أ.د. السعدية الصغير
أ.د. سعيد بنيس
أ.د. عبد الرحمن لعوينة
أ.د. فاطمة الزهراء الفن
أ.د. كريم بنسوكاس
أ.د. محمد التاقي
أ.د. محمد الدرويش
د. إقبال زداري
د. جمال ازواين
د. حسن بلحيان
د. حكيمة خمار
د. سعاد اليوسفي
د. عثمان احميانى
د. ليلى منير
د. محمد مرزوق
د. هشام وردي

ISSN: 2665-7406
E-ISSN: 2737-8586

قواعد النشر

اللساني:

- مجلة فصلية دوليّة علميّة محكّمة متخصّصة في اللّسانيات،
- لغات المجلة: اللغة العربية، اللغة الإنجليزية، اللغة الفرنسية.
- تقبل المجلة البحوث سواء أكانت تأليفا أم ترجمة، أو مراجعة، شريطة أن يكون البحث المترجم أو الكتاب على درجة كبيرة من الأهمية.

رسالة المجلة:

- الإسهام في نشر ثقافة لسانية عالمة.
- تطوير البحث اللساني في الثقافة العربية.
- مواكبة مستجدات البحث اللساني وتحولاته المعرفية.
- إطلاع الباحثين والمهتمين على أهم ما يكتب وينشر في مجال اللسانيات.
- الاهتمام بانفتاح الحقل اللساني وحواره مع التخصصات الأخرى بالتركيز على الدراسات البينية.

خصوصية المجلة:

- تنشر المجلة البحوث والدراسات الجادة في مجال اللسانيات.
- تسعى المجلة إلى مواكبة مستجدات البحث اللساني من خلال ترجمة البحوث والدراسات التي تنشر في أهم المجلات اللسانية العالمية،
- إثارة نقاش حول أهم القضايا اللسانية المعاصرة.

شروط نشر البحوث:

- تنشر المجلة البحوث الأصيلة التي لم يسبق نشرها أو إرسالها للنشر إلى أي جهة أخرى،
- تكون المواد المرسلة للنشر ذات علاقة باللسانيات، سواء أكانت دراسات وبحوثا نظرية وتطبيقية، أم بحوثا مترجمة،
- تلتزم البحوث بالأصول العلمية المتعارف عليها،
- تقدَّم البحوث وفق شروط النّشر في المجلّة.
- ألا يتجاوز عدد كلمات البحث 10.000 كلمة، بما في ذلك الملاحق.

شروط نشر مراجعة الكتب:

- تنشر المجلة مراجعات للإصدارات الحديثة، سواء أترجمت إلى اللغة العربية أم لم تترجم بعد.

قواعد النشر

- يجب أن يراعى في عرض الكتب شروطا محددة (انظر الموقع الإلكتروني)

توثيق الكتب العربية

- توثق الكتب في الهامش على النحو الآتي:

اسم المؤلّف، عنوان الكتاب، الجزء (إن وجد)، المترجم (إن كان الكتاب مترجما)، رقم الصفحة.

- وتوثق الكتب في قائمة المراجع توثيقا كاملا.

توثيق الدّوريات:

- توثق الدوريات في الهامش على النحو الآتي:

اسم الباحث، "**عنوان الدّراسة أو المقالة**"، رقم الصّفحة.

- وتوثق الدوريات في قائمة المراجع توثيقا كاملا.
- إذا تكرر ذكر المرجع مباشرة سواء أكان كتابا أم بحثا في الصفحة نفسها يشار إليه بـ"المرجع نفسه" حتى في حالة الانتقال إلى الصفحة (الصفحات) الموالية، أما إذا فصل بين ذكره الأول وذكره اللاحق مرجع أو أكثر فيحال عليه وكأنه يذكر لأول مرة.

توثيق الكتب الأجنبية

- تعتمد المجلة نظام شيكاغو في التوثيق.

مرفقات ضروريّة للنّشر:

- يُرفق بالبحوث المقدمة للنشر في المجلة:
  - البحث الأصل إذا كان البحث مترجما، مع توثيق النص الأصل توثيقا كاملا،
  - ملخص البحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنجليزية، في حدود 250 كلمة،
  - جرد لأهم الكلمات المفاتيح،
  - سيرة موجزة للباحث (في حدود 200 كلمة) باللغة العربية واللغة الإنجليزية.
  - السيرة الذاتية المفصّلة للباحث.

إجراءات النّشر:

- ترسل جميع المواد على البريد الإلكتروني للمجلة:

info@linguist.ma أو ismaili@linguist.ma

- تلتزم المجلة بإخطار صاحب البحث حال تسلّمه.

قواعد النشر

- تلتزم المجلة بإخطار صاحب البحث في أجل أقصاه شهر من تاريخ تسلمه، بقبول البحث أو رفضه **شكلا**، وبعرضه على المحكمين في حالة استيفائه لشروط النّشر في المجلة ومعاييره،
- تُرسل المواد التي تستجيب لمعايير النشر للتحكيم على نحو سري،
- يخبر الباحث بنتائج التحكيم (قبولا أو رفضا) في أجل أقصاه ثلاثة أشهر ابتداء من تاريخ إشعاره باستيفاء المادة المرسلة للشروط الشكلية وعرضها على المحكمين،
- إذا رفض البحث فإن المجلة غير ملزمة بإبداء الأسباب.
- إذا طالب المحكمون بإجراء تعديلات على أيّ بحث؛ يخبر الباحث بذلك، ويتعين عليه الالتزام بالآجال المحددة لَإجراء التعديلات المطلوبة،
- تفرض المجلة أن يلتزم الباحث بالتحرير والتدقيق اللّغوي، وفق الشروط المعمول بها في الدّوريّات العالميّة،
- تحتفظ المجلة بحق إعادة نشر البحث بأي صيغة تراها ذات فائدة.
- لا يحق نشر أي مادة بعد تحكيمها وقبولها للنشر قبولا نهائيا وإخطار صاحبها بذلك، إلا إذا لم تلتزم المجلة بنشر المادة في الوقت المحدد،
- لا تدفع المجلة تعويضا ماديّا عن الموادّ التي تنشرها، ولا تتقاضى أيّ مقابل ماديّ عن النشر. كما هو معمول به في الدّوريات العلميّة.

المواد المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو المسؤول عنها

ترسل جميع المواد على البريد الإلكتروني للمجلة

ismaili@linguist.ma أو info@linguist.ma

للمزيد من التفاصيل يرجى زيارة الموقع الإلكتروني للمجلة

https://www.linguist.ma

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

المشاركون في العدد

أ. د. أحمد المتوكل

أ. د. حافظ إسماعيلي علوي

أ. د. ربيعة العربي

أ. د. سعد مصلوح

أ. د. مبارك حنون

أ. د. محروس بريك

أ. د. مختار زواوي

أ. د. مصطفى غلفان

د. تحسين رزاق

د. حسين السوداني

اللساني linguist

ملف العدد: السوسيرية الجديدة

ملف العدد: السوسيرية الجديدة

افتتاحية العدد: سوسير في سياق التلقي الجديد.............................

أ.د. حافظ إ. علوي (رئيس التحرير) (ص ص1- 12)

زعموا أن سوسير بنيوي!.............................

أ.د. مبارك حنون (ص ص13-47)

المقاربات الفيلولوجية لنص دروس في اللسانيات.............................

أ.د. مصطفى غلفان (ص ص48-87)

سوسير ومحيطه الثقافي: جدلية الامتداد والقطيعة.............................

أ.د. ربيعة العربي (ص ص88-104)

التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة.............................

أ.د. محروس السيد بريك (ص ص105-130)

قوانين التطوّر اللغويّ في اللسانيات السوسيرية.............................

د. حسين السوداني (ص ص131-158)

فلاديمير ألباتوف: ملامح من تلقي الفكر اللساني الروسي المعاصر للسانيات دو سوسير. «سوسير وباختين».............................

تر: د. تحســين رزاق (ص ص159-177)

تع: أ.د. مختار زواوي (ص ص178-185)

دراسات وأبحاث:

عن دقائق التلبيس بين التأليف والترجمة.............................

أ.د. سعد عبد العزيز مصلوح (ص ص186-200)

Towards an adequate Expression Module for Modular Layered Functional Grammar.............................

Pr. Ahmed Moutaouakil (pp201-243)

ملف العدد

السوسيرية الجديدة

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص1-11)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

افتتاحية العدد

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص1-11)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

اختيار

سوسير في سياق التلقي الجديد

رئيس التحرير

أ.د. حافظ إسماعيلي علوي

اختار راستيي *Rastier* لأحد كتبه عنوان "سوسير في المستقبل"[1]، والمؤكد أن اختيار عنوان من هذا القبيل لن يكون عبثا أو محض مصادفة؛ بل إن في اختياره ما ينم عن رغبة في تنبيهنا إلى وجود سوسير آخر غير سوسير الذي نعرف: سوسير "الماضي" وسوسير "الحاضر".

وسواء أتعلق الأمر بسوسير الماضي أم بسوسير الحاضر أو المستقبل، فإن ما يهمنا أن سوسير الذي ملأ الدنيا قد عاد ليشغل الناس من جديد، وأن محاضراته قد عادت لتبعثر أوراق الباحثين والدارسين وتربكهم مرة أخرى، فهل هي "العودة الأبدية"؟! على حد تعبير ميشيل أريفي *M. Arrive*[2].

أثارت محاضرات في اللسانيات العامّة سجالا فكريا بعد نشرها، وها هي تعود اليوم من جديد لتستأثر باهتمام غير مسبوق. لقد صحبها خلاف حاد بعد وفاة صاحبها (1913)؛ فها هو ذا شارل بالي *Ch. Bally* يهفو إلى جمعها وإخراجها إلى الناس، متطلعا إلى أن يكون صاحب قصب السبق في ذلك، وها هو ذا سيشهاي *A.Sechehaye* يحدوه الأمل نفسه بعد أن تناهى إلى علمه مستواها الرفيع من زوجته التي ألقيت المحاضرات على مرأى ومسمع منها، وأيقن بالي وسشيهاي كلاهما أهمية ما هما مقدمان عليه، صحيح أنهما لم يحضرا تلك المحاضرات بسبب التزاماتهما المهنية، لكنهما كانا على دراية واسعة بعمق الفكر السوسيري وطروحاته، كيف لا وقد كانا مواظبين على محاضراته الأخرى؛ فقد تابع بالي دروس اللسان القوطي *gotique* التي شرع سوسير في إلقائها في نوفمبر 1893، وهو من اقترح على سوسير *Saussure* إعطاء تلك الدروس، وفي سنة 1897 طلب بالي من سوسير تقديم دروس في اللسان اللتواني

[1]. انظر ترجمتنا لهذا الكتاب: راستيي، (2021).
[2]. Michel Arrive, le Monde du 18L07L2003 مصطفى غلفان، (2017)، ص13.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص1-11)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

Lituanien، أما سشيهاي فتابع دروس سوسير في تاريخ الألسن الهند أوروبية والمقارنة طيلة أربعة فصول (1891-1893)[1]. لكن الإصرار على طبع المحاضرات يتعدى بكثير مسألة اهتمام بإخراج محاضرات زميل لهما وأستاذ يدينان له بالفضل الكبير وافته المنية، أجل إن الأمر أكبر من ذلك بكثير؛ وإلا كيف لنا أن نفسر سعي بالي الحثيث إلى ثني مايي *Meillet* عن نشر تلك المحاضرات اعتمادا على كراسة الطالب روكار *Regard*؟! فهل يتعلق الأمر بتخوف من أن تحمل الكراسة أفكارا غير تلك التي ستتضمنها محاضرات اللسانيات العامة التي عملا على إخراجها فتتكشف حقيقة نوايا مبيّتة؟!، أم هي الرغبة الملحة في توفير مرجع يكون في متناول الطلاب وييسّر السير على النهج السوسيري في إعطاء المحاضرات نفسها بعد أن خلف بالي سوسير في جامعة جنيف لاستكمال المشوار؟!

تتأكد وجاهة هذه الأسئلة عندما تنبئنا مصادر علمية كثيرة بنشوب خلاف حاد بين بالي وسشيهاي في بداية الأمر، حول طبيعة أفكار سوسير وتصوراته اللغوية وعدم اكتمال المشروع الذي كان مايي طرفا ثالثا فيه، ولا نعرف شيئا عن حيثيات الاتفاق بين الرجلين (بالي وسشيهاي) ولا عن ملابساته بعد ذلك، ليخرج الكتاب بالشكل الذي ذاع به بين الناس وانتشر، ولا نستبعد أن يكون الأمر قد سُوّي بتوافقات أملتها مصلحة خاصة، فعجّل ذلك بإخراجه.

وعموما فإنه لا يمكن الحسم في ملابسات ظهور كتاب محاضرات في اللسانيات العامة، وما يهمنا في سياق الحديث هذا هو أن الكتاب قد ظهر إلى حيز الوجود (1916)، فذاع وانتشر بين الناس، وأصبح يشار إليه باعتباره أول لبنة من لبنات الفكر اللساني العلمي الحديث، وأضحى (مؤلفه) رائد هذا الفكر ومؤسّسه بامتياز.

لم ينه نشر الكتاب النقاش حوله؛ بل عاد ليحرك مياها راكدة من جديد، فإذا كان مايي قد رضخ لرغبة بالي وصرف النظر عن طبع مدونات الدروس التي كان ينوي إخراجها، ولم يعد طرفا في المشروع طوعا أو كرها؛ فإنه لم يفوت فرصة صدور الكتاب ليدبج مراجعة له في صفحات معدودات (خمس صفحات) جاء فيها ما قل ودل: "**كان سوسير سيرفض لا محالة نشر الكتاب لما عرف عنه من تردد في دفع إنتاجه الفكري إلى المطابع. [....] وأن هذه السلسلة من الدروس التي ألقيت على طلبة مبتدئين لم تكن موجهة للنشر ولا مهيأة له، وأن الكتاب المقدم إلى القارئ ليس سوى صياغة لتصورات سوسير قام بها الناشران**"[2].

[1]. انظر تفصيل ذلك في مصطفى غلفان، (2017)، ص191، الهامش14.
[2]. المرجع نفسه، ص33.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

حسبنَا هذه الإشارة من مايي *Meillet* التي ستجد صدى لها في قراءات ومراجعات أخرى لا يتسع المقام لذكرها هنا، تنبئ في مجملها باستئناف القول في الكتاب، وصحة نسبته إلى سوسير.

وما هي إلا سنوات معدودات حتى استعاد الفكر السوسيري وهجه وألقه من جديد بعد المؤتمر العالمي الأول للغويين الذي انعقد بلاهاي (1928)، وبقدر ما أسهم هذا المؤتمر في ذيوع أفكار سوسير وانتشارها على نطاق واسع، أعاد النقاش حول قضايا بدت غامضة أو غير منسجمة في الفكر السوسيري كما عبّرت عنه محاضرات اللسانيات العامة، ومن ذلك ما كشف عنه بنفنيست *E. Benveniste* سنة 1939 مؤكدا وجود خلل واضح وتناقض صارخ يعتري تصور العلامة اللسانية عند سوسير.

واستمر النقاش والجدل يرافقان الكتاب، ليبلغ أوجهُ في بدايات خمسينيات القرن العشرين مع روبير غودل *R.Godel* تحديدا، الذي يعد من أوائل من اطلعوا على مخطوطات سوسير وكذلك الدروس كما دونها طلبته؛ فقد نشر غودل سنة 1954، نصوصا تضمنت مجموعة جديدة من الملحوظات في اللسانيات كتبها سوسير بخط يده، وعزّز ذلك بنص آخر لسوسير يتعلق بمقدمة دروس العام الثاني (1908-1909)، وفي سنة 1957 توّجَ مساره العلمي الذي تعقَّب فيه تلك الأصول المخطوطة بنشر أطروحته الموسومة بـ"الأصول/ المصادر المخطوطة لكتاب محاضرات في اللسانيات العامة"، وسيعقب ذلك ظهور عدد مهم من الدراسات الفيلولوجية المتعلقة بدروس سوسير في اللسانيات، وطبعت الأصول الكاملة لدروس محاضرات اللسانيات العامة كما دونت في كراسات الطلبة الذين استمعوا إلى هذه المحاضرات، وشكّل كتاب أماكر *Amacker* اللسانيات السوسيرية (1975)، إضافة قيّمة إلى تلك الدراسات النقدية للفكر السوسيري من حيث أصوله وأبعاده، كرّست، من جهة، النظرة التشكيكية في كتاب محاضرات في اللسانيات العامة، وشدّت، من جهة أخرى، أنظار الباحثين أكثر إلى الإرث السوسيري (المخطوطات السوسيرية).

شكل نشر كتاب غودل فاتحةَ عهد جديد ومنعطفا حاسما في التعامل مع كتاب محاضرات في اللسانيات العامة، بالنظر إلى الفجوة السحيقة التي كشف عنها بينه وبين مخطوطات سوسير الأصلية، خصوصا وأن الظروف كانت مهيأة لذلك بعد تأسيس حلقة فرديناند دو سوسير *Le cercle de Ferdinand de Saussure* في السنة نفسها (1957)، فتقوّى الاهتمام وزاد بسوسير وإرثه الفكري، لكن السياق العلمي لم يخل من تنافس محموم؛ ففي السنة نفسها سيظهر كتاب "المباني التركيبية" (1957) لتشومسكي الذي سيدخله إلى حقل البحث اللساني من أوسع الأبواب؛ فلم تعد الأجواء مهيأة كما كانت عليه من ذي قبل. لكن في خضم الانتقادات التي ووجه بها كتاب تشومسكي من داخل اللسانيات نفسها، عاد النقاش حول السوسيرية إلى الواجهة من جديد لكن هذه المرة من خلال رودولف إنغلر *Rudolf Engler* الذي أصدر كتابه: "محاضرات في اللسانيات العامة: طبعة

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

نقدية"، وهي طبعة حملت، هي الأخرى، اختلافات جذرية عن كتاب محاضرات في اللسانيات العامة من خلال مقابلة نصوص كراسات الطلبة بفقرات النص الذي نشره بالي وسشيهاي. وكتاب إنغلر عمل جامعي أشرف عليه غودل.

ثم أعقب ذلك ظهور تعليقات تيليو دي مورو *Tullio De Mauro* على هامش ترجمة محاضرات سوسير في اللسانيات العامة إلى الإيطالية. ومن خلال هذه التعليقات النقدية القائمة على النصوص الأصول تكرست النظرة التشكيكية التي أصبحت تحوم حول كتاب المحاضرات، وهي نظرة خلقت سجالا ع لميا كبيرا، عبّرت عنه كتابات غربية كثيرة، تعد بالعشرات؛ بل بالمئات، وسيستمر الوضع على ما هو عليه حتى سنة 1996، ليحسم النقاش بشأن محاضرات في اللسانيات العامة، وصحة نسبته إلى سوسير؛ وذلك بعد اكتشاف مخطوطات سوسير الأصلية، التي بلغ عدد جذاذاتها ما يربولى العشرة آلاف، حملت أفكارا تعارض بعضا مما ورد في كتاب محاضرات في اللسانيات العامة شكلا ومضمونا. وهي المخطوطات التي طبعت سنة 2002 في كتاب يحمل عنوان: كتابات في اللسانيات العامة أشرف، على تحريره سيمون بوكي ورودولف إنغلر. فشكل ذلك منعطفا حاسما في تاريخ الفكر السوسيري، نجم عنه ما أضحى يعرف اليوم في الأدبيات اللسانية بـ"**التلقي الجديد**" لسوسير.

المخطوطات المكتشفة:

تشكل المخطوطات المكتشفة كتابا غير مكتمل، لكنه ناضج بما فيه الكفاية، وهو الكتاب الذي نُشر سنة 2002 بعنوان "عن الجوهر المزدوج للغة" *De l'essence double de langage*.

يصوغ هذا الكتاب برنامج اللسانيات العامة، التي لا تقدم عنها تدوينات الطلبة، التي جمعها بالي وسشيهاي في محاضرات في اللسانيات العامة، إلا انعكاسا جزئيا ومحرفا، ويرجّح أن تكون المخطوطات المكتشفة قد حُررت خلال تسعينيات القرن التاسع عشر على وجه الاحتمال (سنوات 1890).

تحمل هذه المخطوطات إرثا سوسيريا متنوعا؛ إذ تضمّنت تعليقات وأفكارا وسجالات علمية... وفي الوقت نفسه مشروع كتاب، يقول راستيي: "لقد كان سوسير يروم حقا، في "الجوهر المزدوج للغة"، تأليف كتاب، وعدم الاقتصار على تدوين ملحوظات على نحو ما فعل في النصوص المعنونة بـ "*Item*"، وذلك بارز في تحريره مقدمة، واستعماله للفظ المدخل، واستعماله لعبارتي الكتيب والكتاب"[1].

[1]. راستيي، (2021)، ص41.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

وبذلك بتنا نواجه صعوبات جمة تتصل بنظرية سوسير ومصطلحاتها؛ إذ تحتوي النصوص الجديدة على عدد كبير من المصطلحات التي لا تتوافق مدلولاتها والمدلولات التي حملها كتاب محاضرات في اللسانيات العامة لاحقا، ومفاهيم جديدة ليس لها وجود في كل كتابات دو سوسير الأخرى التي نعلمها، من مثل مفهوم التوازي"[1] إنها، باختصار، نصوص تقدم لنا سوسيرا ملغزا *enigmatique* ومقلقا بتعبير هرمان باري *H. Parret*[2]، فأصبح لغز سوسير يتغذى أكثر من الأمس من قصة تلقي إرث فريدة[3].

سوسير واحد أم سوسيران:

الناظر في كتاب محاضرات في اللسانيات العامة ومخطوطات سوسير المكتشفة قد يساوره شك في صحة نسبة هذا الكتاب إلى سوسير؛ فالتلقي الجديد يفرض التمييز بين سوسيرين أحدهما حقيقي والآخر مزيف.

منبع هذا الشك يتراءى واضحا في المقدمة التي استهل بها بالي وسشيهاي كتاب محاضرات في اللسانيات العامة، وهي مقدمة تعبر عن مكاشفة واضحة واعتراف صريح لم يتوقف عنده الدارسون كثيرا من ذي قبل؛ فقد صرحا أنهما لم يجدا أي شيء في المخطوطات: "لم نجد شيئا أو تقريبا لم نجد شيئا يتطابق مع دفاتر تلامذته". (1972، ص7)، من هنا يحكمان بـ"استحالة اعتمادها"(ص8). لأنهما لم يتمكنا من متابعة محاضرات في اللسانيات العامة "لالتزامات مهنية"(ص8) وحررا ما سمياه بـ"إعادة تأسيس" أو بالأحرى "إعادة إنشاء" (ص9) المحاضرة الثالثة بالاستعانة بدفاتر الطلبة، إلا أن بالي وسشيهاي لم يكتفيا بإغفال نقاط مهمة من المحاضرة الثالثة؛ بل أضافا إليها فقرات من عندهما تتضمن التباسات شنيعة، أشار راستيي إلى بعضها، ومن ذلك وجود إشارات تنطوي على تناقضات صارخة؛ فقد أشارا في مقدمة الكتاب إلى عدم تمكنهما من حضور المحاضرات، غير أن هذا لم يثنهما عن الإشارة إلى ثغرات في الكتاب، لكنهما لا يشيران من قريب أو بعيد إلى حدود تأثيرها على الفكر السوسيري برمّته، كما نقف على إشارات تطفح بالغمز واللمز أحيانا، وذلك من قبيل أن سوسير لم يتحدث عن الدلالة *sémantique* إلا لماما، وهذا مجانب للصواب كما يؤكد على ذلك رد سوسير على بريال واختلافه معه. كما أن التأسف على "غياب لسانيات الكلام *linguistique de la parole* في محاضرات سوسير يكشف عن نية مبيتة؛ لأنها موجودة في دفاتر الطلبة، ومما يحضر في المخطوطات المكتشفة بشكل واضح، ونعتبر إشارة من هذا القبيل سكوتا مبطنا سولت لهما أنفسهما

[1]. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[2]. مصطفى غلفان، (2017)، ص47.
[3]. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

به، خصوصا وأن البحث في لسانيات الكلام كان من أبرز مساهمات بالي في عمله الرائد لسانيات عامة ولسانيات فرنسية *Linguistique française et linguistique générale* (1934).

كما أن تصميم محاضرات في اللسانيات العامة يعبر عن خيانة رئيسية لـمحاضرات سوسير؛ فقد كان الربط بين أجزاء الدروس أساسيا بالنسبة إلى سوسير، الذي أسرّ لردلنغر *Riedlinger* ذات يوم أنه "يجب أن تكون النظرية نسقا *système* محكما كاللسان" (م ل ع 1972، ص385)، وهذا على خلاف ما تظهر عليه النظرية السوسيرية في محاضرات اللسانيات العامة التي نشرها بالي وزميله التي فتتت إلى أجزاء وأيضا إلى شظايا (مثل العلامة، الثنائيات، ...)، وهذا لم يكن محض مصادفة؛ بل كان أمرا تعمَدا بشكل كبير بحسب راستيي *Rastier*؛ الذي يستشهد في هذا السياق برأي دو مورو الذي يرى أن الروابط المتبادلة بين مختلف الأطروحات؛ أي روابط التحديد التي كرس لها سوسير حياته، حوّلها الناشران إلى تفكيك لمختلف الأقسام (1972، ص422).

ولا نريد أن نسترسل في الوقوف على الجوانب التي عاب بها راستيي أو غيره من الباحثين كتاب محاضرات في اللسانيات العامة؛ لأن ذلك مما لا تتسع له هذه الافتتاحية، وسنكتفي ببعض الإشارات ال تي تتكرر في كتابات "التلقي الجديد" ونعتبرها حججا دامغة تستدعي تفكيرا مليا في الشك الذي يحوم حول محاضرات في اللسانيات العامة الذي نشره بالي وسشيهاي، والغموض الكبير الذي يلفه.

- إذا كانت أفكار سوسير بهذا النضج وهذا الاكتمال وهذا الترابط...، فما الذي ثناه عن طبعها؟!

- كيف لمحاضرات شفهية أن تنقل أفكارا بالعمق والدقة اللذين يظهران في الكتاب، وأن تؤدي المعنى الذي رامه صاحبها؟ فمن يقرأ محاضرات في اللسانيات العامة سيجد أن الكتاب هو "تفكير ذو ترابط مذهل" و"إعادة بناء ممتازة جدا" بتعبير دوبيكر *L. Depecker*[1]، فأنى لشخص مهما بلغت قدراته ونباهته أن يحول محاضرات شفهية إلى كتاب يتسم بمثل هذا الترابط وبمثل إعادة البناء هاته التي يطبعها هذا اليقين المطلق، وهذا الاكتمال الذي ينم عن نضج كبير، ويزيد إلحاح السؤال عندما نعرف أن ناشري الكتاب بالي وسشيهاي لم يحضرا تلك المحاضرات؛ بل أين هذا من فكر سوسير القلق الذي لا يؤمن بالأفكار الجاهزة؟!

- لم الإصرار على مسائل محددة تعد ثانوية قياسا إلى أفكار أخرى أكثر أهمية في فكر سوسير عبرت عنها مخطوطاته المكتشفة؟

- لماذا غاب الجانب الإبستمولوجي والفلسفي عند سوسير عن المحاضرات؟...

---

[1]. لويك دوبيكر، (2015)، ص26.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

تكشف المخطوطات المكتشفة عن جوانب مهمة من فكر سوسير ظلت مغيبة أو طواها النسيان؛ وهي جوانب تضيء ما خفي من فكره الذي لا تكشف محاضرات اللسانيات العامة عن كثير من تفاصيله الدقيقة. فرضت بعض تلك الجوانب خصوصيات السياق العلمي الذي عاش فيه سوسير، وارتبط بعضها الآخر بشخصيته، وهذا ما تكشف عن تفاصيله الكثيرة كتابات "التلقي الجديد" للسوسيرية.

عاش سوسير في سياق علمي لم يكن هو الوحيد فيه الذي يسعى إلى صياغة مرجعية نظرية ومنهجية جديدة في دراسة اللغة من منظور عام؛ بل ظهرت مجموعة من الأصوات في أوروبا وأمريكا تدعو بكل إلحاح وقوة إلى هذا المطلب، فكان من الطبيعي أن ينخرط في النقاش الدائر.

ولم يكن انخراطه تسليما وقبولا بالمعروف والمتداول بما يعتقده الآخرون وما يقدمونه من تصورات عن ظواهر اللغة، يقول: "نختلف من حيث المبدأ عن المنظرين الذين يعتقدون أن الأمر يتعلق بإعطاء تصور عن ظواهر اللغة، ونختلف عن أولئك الذين يسعون -وهم قلة قليلة جدا- إلى تثبيت عمليات اللساني في خضم هذه الظواهر. إن وجهة نظرنا بالفعل هي أن معرفة ظاهرة معينة أو عملية فكر تقتضي مسبقا تعريف اللفظ أيا كان، ليس التعريف الطارئ الذي يمكننا أن نسنده إلى لفظ نسبي في علاقة بألفاظ أخرى نسبية وذلك في نوع من الدوران في حلقة مفرغة، وإنما التعريف المنطقي الذي ينطلق من نقطة قاعدة معينة لا أقول مطلقة، وإنما تكون منتقاة اختياريا كقاعدة غير قابلة للاختصار بالنسبة إلينا ومركزية بالنسبة إلى النسق برمته"[1].

وقد تكون هذه الدقة المتناهية وهذا الحرص الشديد نابعين من تصوره لعمل اللغوي/ اللساني الحقّ؛ إذ يتعين على كل من يروم مقاربة اللغة مقاربة سديدة أن يتناولها من الخارج، مزودا بتجربة بالظواهر الداخلية؛ ويعتقد أنه من المستحيل أن يجد اللغوي، الذي ليس سوى لغوي، السبيل التي تمكنه من تصنيف الوقائع[2].

شكلت هذه القناعة أحد الأسباب التي جعلته مقبلا على علوم عصره: كالرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والفلسفة، والمنطق، والسيميائيات... التي يظهر حضورها جليا في المخطوطات المكتشفة. فقد أسهمت معرفته بهذه العلوم في تعميق فكره، وساعدته على بلورة بعض المفاهيم وتقريبها إلى الأفهام، فأكسبه ذلك خصوصية ظاهرة، وجعل منه مجددا فيما يذهب إليه؛ وخير مثال على ذلك تجاوزه التصور التقليدي لمفهوم الثنائية، الذي روج له كتاب فيكتور هنري "التقابلات اللسانية"، وهذا ما ذهب إليه ياكبسون *Jakobson* بالقول: "إنّ دو سوسير يعد من بين أكبر المستكشفين

---

[1]. F.De Saussure, (2002), p94.

انظر: مصطفى غلفان، (2017)، ص22 و23.

[2]. F.De Saussure, (2002), p49 et p109.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

للثنائيات اللسانية، وهي نزعة طبيعية فيه، قد تكون توطّدت بقراءة كتاب فيكتور هنري "التقابلات اللسانية"، لكنها لم تنشأ عنها""[1].

وكان لشخصية سوسير تأثيرها الواضح في فكره؛ فهو شكّاك كبير كما وصفه ياكبسون؛ يرى دائما طرفي كل مشكلة، وفي هذا الوضع تحديدا تكمن عظمته[2] (فهر *Fehr* 2000، ص81). وقد يكون هذا الشك هو سبب إحجامه عن نشر أفكاره وإخراجها للناس في كتاب، وهذا ما أسرّ به إلى ريدلينغر *A. Riedlinger* سنة 1909: "فيما يخص [تأليف] كتاب في هذا الموضوع، لا نستطيع التفكير فيه: إنه يقدم فكرة كاتبه النهائية"[3].

والراجح أن قوله هذا كان بعد مفاتحة ريدلينغر له بشأن إخراج كتاب يلملم فيه أشتات ما جاء في المحاضرات. وقد يفسر ذلك أيضا برهاب سوسير من الكتابة والتأليف كما يعترف بنفسه: "سأكون مضطرا إلى الاعتراف لكم بأن لدي رعبا من الكتابة يكاد يكون مرضيا، وأن كل كتابة علمية تسبب لي عذابا حقيقيا وهو ما منعني من النشر منذ ثماني عشرة سنة تقريبا"[4].

إن شخصية بهذا التكوين وهذا العمق جعلت من سوسير شخصا مدققا وممعنا: "أمعن الفكر في أمور نظرية مستغلقة، لكنني أبحث في أسس الموضوع ذاتها والتي دونها يصبح كل شيء غير مستقر واعتباطيا وغير يقيني"[5]؛ إذ يصبح "التحديد" هاجسا بالنسبة إليه: "يستحيل علينا أن نتفق

على أن لنا الحق في إقامة نظرية باستغناء عن مجال التحديد"؛ ولأنه "من الخطأ أن نقبل في اللسانيات حدثا واحدا يكون محددا في حد ذاته""[6].

كل ذلك جعل الفكر السوسيري فكرا إشكاليا قلقا؛ لأنه مُشكل؛ ولأنه يفضل المشكلات على الإجابات المتسرعة. وبهذا يظل غير مفهوم للعديد من التيارات العقائدية، ولنقل إن بالي وسشيهاي لم يفهما سوسير، وهذا ما يؤكده ياكبسون بقوله: "كان هناك تغيير أسلوبي. في المكان الذي يضع فيه سوسير علامة استفهام، يضع الناشران نقطة. أضحى السؤال عقيدة [...]"[7].

---

[1]. المختار زواوي، فهم (2018)، ص7.

[2]. J. Fehr, (2000), p81.

[3]. انظر: مصطفى غلفان، (2017)، ص189.

[4]. المرجع نفسه، ص188.

[5]. المرجع نفسه، ص23.

[6]. المرجع نفسه، ص23.

[7]. J. Fehr, (2000), p81.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

رغم أن فكر سوسير صارم في مبادئه فإن المخطوطات المكتشفة تفتح، أحيانا، مسالك متروكة تشهد باختصار على باحث يُنَظِّر، بوجه ما، لضرورة، أو على الأقل لحتمية، عدم إنهائه.

لا يمكن فهم سوسير بشكل تام، مثله في ذلك مثل جميع الأعمال الكلاسيكية، ولهذا السبب تبقى كتاباته، بدون شك، منبعا استكشافيا لا ينضب. لنتذكر، على الأقل، أن محاضراته لا يمكن قراءتها بشكل معزول؛ فكتاب محاضرات في اللسانيات العامة لا يحمل، بأي حال من الأحوال، فكر سوسير: إنه تأويل منحرف وغير مكتمل للمحاضرات الشفوية، ينصب نفسه محل نص غائب. من التدوينات المخطوطة إلى المحاضرات الشفوية ثم إلى المحاضرات المنسوخة (أي) في دفاتر الطلبة ثم في المصنف الموسوم بـمحاضرات، نحن أمام أربعة تبديلات ذات أنواع مختلفة، لكل منها تنوعات.

حقّ لنا بعد هذه الإشارات المتفرقة التي استقيناها من بعض الكتابات التي عرضت لـ"التلقي الجديد" للسوسيرية أن نتساءل: أين تمظهرات تنوع الفكر السوسيري وغناه مما جاء في محاضرات في اللسانيات العامة؟!

هذا ما ستجيب عنه البحوث التي يقدمها هذا العدد من المجلة إلى القارئ.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

بيبليوغرافيا:

- فرانسوا راستيي، سوسير في المستقبل، ترجمة ربيعة العربي وحافظ إسماعيلي علوي، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2021م.
- لويك دوبيكير، فهم فرديناند دو سوسير وفقا لمخطوطاته، مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات، ترجمة ريما بركة، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2015م.
- المختار زواوي، دو سوسير من جديد، مدخل إلى اللسانيات، الطبعة الأولى، دار ابن النديم للنشر والتوزيع ودار الروافد الثقافية- ناشرون، 2018م.
- مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2017م.

- *F. De. Saussure, F. de (2002) Ecrits de linguistique générale (= ELG), Paris, Gallimard, (Texte établi et edité par S. Bouquet et R. Engler).*
- *J. Fehr, (2000) Saussure entre linguistique et sémiologie, Paris, PUF.*
- *M. Arrive, le Monde du 18L07L2003*

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص13-42)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

زعموا أن سوسير بنيوي!

أ.د. مبارك حنون

جامعة قطر

mbarek.hanoun@qu.edu.qa

الملخص:

نتطلق في هذا البحث من فرضية تقضي بأن سوسير ليس بنيويا، وبأن عمله يندرج في سياق تأسيس لسانيات عامة تحيط بالظاهرة اللغوية بما يلزم من احتياطات منهجية وتصورية. وتستند هذه الدراسة إلى مجموعة من العوامل المرتبطة ببرنامجه البحثي وبالأسس الفكرية التي يمتح منها، وبحجج مستمدة من بنية عمله في تمامه، وبفهم نظام الثنائيات وعمله وتوظيفه في السجال السوسيري، وطبيعة اللغة المعقدة والمتأرجحة بين النظام والفوضى، ونوعية المناخ الفكري ومميزاته، وخصوصيات نشر أعماله، وتناسل التأويلات والقراءات المتدافعة العائدة إلى خلفيات فكرية وإيديولوجية.

وقد التمسنا لهذه الدراسة مسارا تحليليا شموليا ونقديا أقدرنا على تأكيد رأينا القاضي بأن سوسير كان وراء تأسيس كل المدارس اللسانية، وأن النزوع إلى القول بأنه أب البنيوية بسبب الأولوية التي يعطيها للسان على حساب الكلام مردها إلى الرغبة في تأهيل البحث العلمي باعتماد منهجيات ملائمة. إن التقسيم الإبستمولوجي بين اللسان والكلام الذي أحدثه سوسير هو عمل غير تفاضلي، وإنما هو عمل منهجي يؤسس لممارسة علمية تعالج وقائع اللسان والكلام معا، ويستشرف استواء النظام اللساني واستقراره وتصليبه، لأنه الشق الذي لم يحظ من قبل بالتركيز المطلوب والتحليل الشمولي.

الكلمات المفتاحية:

اللغة، اللسان، الكلام، النسق، البنيوية، لسانيات متعددة، الثنائيات، القيمة، التداولية، الخطاب، البينية.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

They assume Saussure is structuralist!

Pr. Mbarek Hanoun
Qatar University
mbarek.hanoun@qu.edu.qa

***Abstract*:**

This research assumes that de Saussure is not structuralist and that his work falls within the scope of establishing general linguistics addressing the linguistic phenomenon with the required methodical and conceptual dimensions. The study is based on a set of factors related to his research program and the intellectual foundations inspiring it. The study also draws on the arguments derived from the structure of his entire work, the understanding of the binary system, its operation and use in the Saussurean discourse, along with the complex language of the system that varies between order and disorder. The study also takes account of the nature of the intellectual climate and its characteristics, as well as the competing interpretations and readings due to intellectual and ideological backgrounds.

***Keywords*:**

Langue- parole- system Saussurean- structuralism- discourse- schools of linguistics- linguistic system.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص13-42)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

"يكون على المؤلف أن يموت بمجرد ما ينتهي من الكتابة كي لا يعرقل مسار النص"
أمبرطو إيكو

"سأكون مضطرا إلى الاعتراف لكم بأني أشعر برعب يكاد يكون مرضيا من الكتابة، وبأن كل تحرير علمي يسبب لي عذابا حقيقيا، وهو ما منعني من النشر منذ ثماني عشرة سنة تقريبا".
من رسالة وجهها سوسير إلى شتراتبرغ

"أيمكن ألا نخون سوسير؟ قد يُستخدم سوسير للتنبيه الدائم، الذي يتعذر خرقه. إنه يمثل الوعي السيئ لدى اللسانيين مثلما كان سقراط يمثل الوعي السيئ عند الفلاسفة"
أوزوولد ديكرو

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص13-42)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

أرمي

linguist اللساني

0. مقدمة:

أرمي في هذا البحث، إلى البرهنة، من خلال "دروس في اللسانيات العامة" (*Cours de Linguistique Générale*) في صيغها المختلفة وتعقبها التأويلي، ومن خلال "كتابات في اللسانيات العامة *Ecrits de Linguistique Générale*" (2002)، أساسا، على أن سوسير لساني ذو وجه واحد (وإن كان الواحد في المتعدد، والمتعدد في الواحد)، وأنه ليس فقط لسانيا "بنيويا". ويكمن مبتغاي، في ذلك، في اعتبار العالم السويسري، أولا وقبل كل شيء، مؤسسا للسانيات في اتجاهيها الكبيرين: لسانيات اللسان *langue*، ولسانيات الكلام *parole*؛ ليجمع، في الآن ذاته، بين كونه "بنيويا" و"غير بنيوي" فينظر إليه، تبعا لذلك، بوصفه مؤسسا للسانيات "المزدوجة" أو اللسانيات المتعددة التي تبلورت في مفهوم علوم اللغة *sciences du langage*.

ومن شأن العودة إلى المفاهيم "غير البنيوية" من قبيل اللغة *langage* والكلام والكتابة، وكذا لسانيات الكلام، واللسانيات الخارجية، واللسانيات التاريخية، أن تذكرنا بأنها مفاهيم عاشرت المفاهيم "البنيوية" وتعايشت معها، ولم تنهض وتتأسس، بأي حال من الأحوال، على أنقاض بعضها البعض؛ فمثلما كانت الأطراف الأولى من الثنائيات (اللسان، والتزامنية *synchronie*، والشكل *forme*، والسكونية *statique*، والداخلية *interne*...) وراء تأسيس لسانيات اللسان، واللسانيات التزامنية، واللسانيات الداخلية واللسانيات السكونية...، فقد كانت الأطراف الثانية من الثنائيات (الكلام*parole*، والدياكرونية *diachronie*، والمادة *matière*، والخارجية *externe*) وراء إحداث لسانيات الكلام، واللسانيات الدياكرونية، واللسانيات الخارجية... ووراء ظهور علوم متداخلة ومتكاملة بينية. ووفقا لذلك، يكون نتاج سوسير متعدد الأصوات *polyphonique* وحواريا *dialogique* لا أحادي الصوت. وإذا صح ذلك، صح معه أن سوسير "بنيوي" بنفس القدر الذي هو به "غير بنيوي".

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص13-42)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ومن التقاليد التي تحجب عنا الحقائق ومراجعة تمثلاتنا أن الكتابات اللسانية، في الغرب وفي بلداننا العربية، قد عودتنا على أن ترى أن البنيوية لصيقة بالنهج "الذي يقال "إن سوسير قد اختطه"، عن قصد أو عن غير قصد[1] للسانيات في صيغتها الجديدة بدءا من النصف الأول من القرن العشرين، مثلما عودتنا على أن سوسير زعيم للبنيوية[2] ومؤسس لها. وقد حدث هذا، ويحدث، على الرغم من انتصاب حقائق معرفية تفيد ما يلي: إن هناك أصواتا علمية قد أوضحت، غير ما مرة، أن البنيوية ليست سوسيرية[3]، وأن السوسيرية نشاط فكري ولغوي فتح الطريق نحو البنيوية وغيرها من التيارات اللسانية والأدبية والثقافية. والفلسفية.

إن سوسير ليس واضع البنيوية (وقد جعله البعض مؤسس البنيوية أو "بنيويا دون أن يدري"[4] وإن كان كل البنيويين يصرحون بانتسابهم إليه[5]، ومن هنا، يمكن الحديث عن سوسير المستلَب مرتين: مرة بسبب نسبة كتاب إليه مع أنه لم يكتبه، وثانية بسبب قيام يلمسليف *Hjelmeslev* بتجذير الأفكار المنسوبة إلى اللساني السويسري[6].

إن "الأب الأول للسانيات الحديثة" لم يستعمل إلا مصطلح النسق *système* أو "النظام" *ordre* (من هنا التسمية الجميلة التي أطلقها كالفي *Calvet* على لسانيات سوسير؛ أي "لسانيات النظام" *linguistique de l'ordre*، وإن كانت اللفظة تحتاج إلى تدقيق[7].

إن البنيوية اللسانية لم يشتد عودها، ولم تستكمل بناءها النظري، على وجه الخصوص، إلا مع كل من يلمسليف *Hjelmeslev* وياكوبسون *Jakobson* وتروبتزكوي *Troubetzkoy* وثلة من اللسانيين من أقطار مختلفة.

---

1. Patrice Maniglier, (2005), p.42; Kenji Tatsukawa, (1995), p.1; Arrivé, (2012), p.10.

2. Caputo, C, (2017), p.23

3. Toutain, (2016), p.4,

4. انظر Mounin, G. (1968)، وانظر Petroff , (1995), p.254 Choi, (1999), p.89

5. Sériot, (1994), p. 21

6. Trabant, J. (2016), p.174-175.

7. انظر كالفي (2007)، وانظر أيضا Arrivé, M. (2012), p.2، وانظر: Boncjart, J-P; B. Bronckart, E; Bota, C. (2010), p.15.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

وربما يعود هذا الزعم، من بين ما يعود إليه، إلى أن سوسير قد "وضع" الإطار العام للبنيوية في معالجته للغة باعتبارها نظاما مكونا من عناصر داخلية مشكلة من ماهيات وطبائع مختلفة متعالقة فيما بينها، وبتلك الصفة تشتغل وتؤدي وظائف مختلفة. ومن المعروف والمألوف أن عدة مفاهيم قد تضافرت لتسهم في صناعة مفهوم النسق، من قبيل اللسان *langue* والكلام *parole* والدال *signifiant* والمدلول *signifié* والقيمة *valeur* والداخل *interne* والخارج *externe* والتزامنية *synchronie* والدياكرونية *diachronie* والاختلاف *différence* والتعارض *opposition* (التقابل) وغيرها من المفاهيم. ومع أن سوسير كان يؤسس للسانيات العامة منطلقا من بعض نتائج اللسانيات التاريخية و"التصور الطبيعي" للغة[1] و"فلسفة اللغة" (التي كانت تعنى بمبادئ اللسانيات وعمومياتها) عند هيرمان بول *Hermann Paul*، ويعرض (*Malmberg* (1990 :20-21))، بالأساس، لما يحول دون بناء العلم اللساني من مادة غير منظمة متعنتة وعصية على الفهم والإدراك والتحكم ومتعددة المداخل، ومن جهات للنظر ومنطلقات مختلطة ومتشابكة متدافعة يتعذر على المرء أن يستسهل إعطاء الأولوية لأي منطلق منها، فإن منتجه النظري لم يكن يستهدف، في منظورنا، بناء "النظام البنيوي اللساني"، على نحو صريح. ويعود ذلك، في رأينا، إلى عدة عوامل نسعى إلى الإحاطة بها وفحصها من خلال فقرات هذه الدراسة.

وفي أفق ضبط هذا التصور وإنضاجه وتسييجه بما يحصنه، سنعرض في القسم الأول (1) مدخلا مفاهيميا وتصوريا لمقاربة إشكالية فهم العمل السوسيري واستيعاب "تناقضاته"، لنعالج، في القسم الثاني (2)، إشكالية قراءة النص السوسيري الملازم له منذ اللحظات الأولى لظهوره ونشره قبل العثور على وثائق أصيلة منها "في الجوهر المزدوج للغة"، وهو ما قد يفيد أن الذهاب إلى أن سوسير قد أسس هذا التوجه أو ذاك يستلزم، على الأقل، بعض التريث وبعض التفكير المركب. بينما نفرد القسم الثالث (3) للفكر "النسقي" وغير "النسقي" في الإنتاج السوسيري، محاولين، من خلال كل ذلك، البرهنة على أن المفاهيم السوسيرية ليست بتلك الشفافية التي يذهب إليها البعض، وإنما هي مفاهيم ثاخنة ومركبة ومعقدة يجب تفادي الوقوع في تبسيطها، مع أنها مسيجة بتأمل وقراءات متعددة التخصصات. وفي القسم الرابع (4)، سنتحدث عما نسميه بتوزيع الأدوار بين "شقي" اللسانيات، وقبلها بين الثنائيات علما بأن أطراف الثنائيات ليست بالتناحر والتنافي الذي تعرضه الكتابات والتأويلات الرائجة. أما القسم (5)، فنفرده لتأويل الأولوية التي تعطى لبعض أطراف

[1]. L. Depecker, (2005), p.7-9; Ségéral et Scheer (2014), p.57.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

الثنائيات ولنظر لساني على حساب نظر لساني آخر، ومن ثم إيلاء الأهمية لما يسمى بـ "لسانيات اللسان".

ومن نافلة القول أن يقودنا منطق الأشياء إلى تسطير نتائج تؤكد أن سوسير ليس بنيويا ولا نسقيا على وجه الحصر، بل هو لساني بنى نظام اللسانيات المتعددة المفتوحة، ليكون بذلك الحلقة النوعية التي وضعت أولى المبادئ المؤسسة لتكامل العلوم والمعارف دونما نزوع تسلطي ((انظر *Johannes Fehr,* 1999 وانظر *Claudia Stancati* (2017)))، غير أن النظام الإبستمولوجي السائد، آنئذ، قد قاده إلى تقديم النظرة الجديدة والبرهنة على أهميتها لأنها كانت في حكم المقصاة، ولأن نظام التفكير كان يسير وفق هذا المسار الاستدلالي الذي يحكمه الاختزال والنظرة الإطلاقية (*Brockart, J-P. et autres (2010), p.7*). غير أن عددا من الباحثين قد استعادوا، منذ مدة، الوعي المتمثل في مقاومة النزوع التبسيطي وتنظيف البصيرة من الغبش الذي أخفى وجود مقاربات سوسيرية أخرى (*Herman Paret*, (2011)).

إننا أميل إلى أن أي نوع من أنواع العودة إلى سوسير وإلى مختلف كتاباته عودة تأصيلية وعودة اكتشاف ومراجعة نقدية للقراءات الأحادية الجانب، وعودة تؤكد صعوبة تجاوز سوسير، وعودة تأسيسية للمشروع السوسيري في شموليته، وإذن، القدرة على صياغة لسانيات عامة تؤطر مختلف تفريعات المجالات اللغوية.

1. مدخل تأسيسي للتصور

ونحن ندافع عن فكرة تفيد أن وقت تخلي عدد من اللسانيين عن وضع سوسير ضمن التيار "البنيوي" قد حان صونا للحقائق العلمية والتاريخية ، اعترضنا مفهوم الثنائية الذي عُد الجهاز النظري والمفاهيمي الذي كان وراء تأسيس المنظور البنيوي. فكان أن بلورنا أفكارا تخص تصورنا للثنائية. وبينما نحن نصوغ أفكارنا، داخل جو معرفي مشحون وجانح باستمرار إلى البحث للاطمئنان على صحة ما نقول به، استوقفتنا كتابات مختلفة ((*Bogdanka pavelin Lesic,* (2017)) *Chidichimo (2016, 2014) Rastier (1991, 2004, 2006, 2009, 2010, (2012) Vilkou-Poustovaïa (2003))*، من داخل اللسانيات ومن خارجها، يعزز بعضها المنطق الذي يحكم طريقة تفكيرنا، يجمل بنا، هنا، أن نعرض أهمها باعتباره إطارا يوجه سيرورة التفكير ومساره.

إن اللافت للانتباه هو أن سوسير شغل الناس من كل الأحقاب والأوساط العلمية والاتجاهات الفكرية، فكان مرجع اللسانيات الدائم الذي لا نتجاوزه إلا لنعود إليه. ولعل ما يجعل من سوسير

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

محج كل الباحثين القدماء والجدد، والباحثين من كل الأصقاع والأهواء الفكرية، هو أنه أشعل نار التفكير في كل الهشيم الفكري اللغوي. ولأن سوسير متون مختلفة ومركبة ومتنافرة وغير تامة من حيث طبيعتها وزمان إنتاجها وزمان الكشف عنها، ومن حيث بنية التفكير *Bronckart,J-P; Bulea Bronckart, E.; Bota, C. (2010), p.10-11*))، وبالنظر إلى "الأفكار المتعارضة والمتناقضة"، فقد استقر رأي البعض على أن الحاجة ماسة إلى إعادة "تحديث سوسير"، من خلال إعادة قراءته انطلاقا من مختلف أعماله، وهذه عملية لم تحظ بالرضا بل عدت عملية مناهضة، أساسا وفي العمق، للسوسيرية ((*Trabant, J (2005), p. 112*)).

وتُفسّر أهم "دفوعاتي" لصالح رأي مناقض لمثل هذه الادعاءات بالركائز المنظورية التي ترى أننا عشنا حراكا لسانيا واسعا متنوع المضامين، حراكا لسانيا تعددت روافده وواجهاته وفاعلوه. هذه النوعية في النظر وفي التراكم النوعي الحاصل، والقدرة على تنسيق الأفكار والعثور على خيوطها الرفيعة الناظمة لا بد من أن تحد من الهرولة الفكرية الملحوظة. ويمكن إجمال أهم أسس تلك الدفوعات على النحو التالي:

- يعد عمل سوسير، في أساسه الأول، عملا إبستمولوجيا يفحص المفاهيم ويشذبها، ويزيل ثخانتها ويرتبها، ويفتح مجاري التفكير الجديدة غير المألوفة. ولعلنا به يستبدل إبستمولوجيا بأخرى قطعة قطعة، وهو ما يدفعنا إلى القول بأن سوسير قد بنى لسانياته خارج التخندق المدرسي.
- يجب النظر إلى عمله بوصفه عملا منهجيا تأسيسيا لنظر مستوعب لما سبق دون أي نزوع انتقائي أو إقصائي يجهز على ما سبقه. وربما لهذا السبب، رأى فيه البعض أكثر من سوسير واحد، بل انجر الكثيرون إلى البحث عن سوسير "الحقيقي" و"الرسمي" و"شبه الرسمي" و"الأصيل" و"سوسير الثاني" في مقابل سوسير "الزائف" و"الوهمي" و"الميثولوجي" و"الخرافي" و"الخفي"، وسوسير "المزدوج" وسوسير "المتعدد" وسوسير "الآخر" و"سوسير ضد سوسير" (انظر نقاشا أوسع للموضوع وتداعياته عند: (*Choi, 1999*). لقد تعرض "نص" سوسير للتجزيء والتفتيت والانتقاء لتفعل به الإديولوجيات والنظم الفكرية السائدة والصاعدة فعلها التطويعي الاستخدامي. وقد أنتجت مثل هذه المقاربة نظرة عن سوسير جعلت منه متناقضا وغير مفهوم (*Rastier, (2013, p06*)، وجامعا بين "شخص نهاري عقلاني" و"شخص ليلي انقلابي". وبعبارة أخرى، فقد "عُثر" على "سوسيرين"

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

متعددين (*Wuest, (1999), p.336*) أو ثلاثة سوسيرات (*Arrivé, (1985),* *p.16-26*) لتبدأ "المخابرات" اللسانية فعلها من خلال "البحث عن سوسير" و"عودة سوسير" و"تجديد سوسير" و"سوسير المفقود" و"إعادة اكتشاف سوسير"... وقد كان من نتائج ذلك أن صار لكل "سوسيره" (*Coseriu, (2004), p.19*) في حين افتقدنا سوسير الكامل المقومات (*intègre*)، وسوسير الواحد، بل افتقدنا سوسير ذاته (*Petroff*) على إثر تقديم البنيوية لسوسير على مقاسها وبالصورة التي كونتها أو روجتها عنه *1999*), (*Petroff* , (*p.254*) والأدهى من ذلك، فقد تشكل لدى البعض "سوسير مناهض لسوسير"، أو مناهض لـ"محاضرات في اللسانيات العامة" (*Trabant, 2004),* *p.112*) إلى درجة يحق فيها للمرء أن يتساءل "عما إذا كان من الواجب الدفاع عن سوسير من محبيه" (*Trabant, (2004*)، أو أن يتساءل عمن يكون مؤلف محاضرات في اللسانيات العامة (*Arrivé,* (*1985*).

- يمكن اعتبار أفقه الفكري ومرجعيته العلمية مرجعية ثرية ومتنوعة وتستلهم من تخصصات ومجالات معرفية وأنساق ثقافية وفلسفية ولغوية رحبة. وأقصد من ذلك أن تلقي سوسير كان، وما يزال تلقيا متهافتا ومشروطا بمعرفة للغة وتعقيدها وتركيبها وتنوع أشكالها واختلاف تمظهراتها، وبمختلف مقارباتها السابقة والمعاصرة له وبتعدد الرهانات. ولعل هذا ما يفسر، على الرغم من كل الادعاءات، أن سوسير لم يتجاوز (*Rastier,* *(2006), p5*).

- ينظر سوسير إلى اللغة من زوايا نظر استعمالها ومستعمليها: تأريخية، وفيلولوجية، ومقارنة، وفلسفية، وشعرية، ونفسية، وسيميائية، وباستحضار نقاط انطلاق متعددة، ليبدو، تبعا لذلك، وخاصة للتفكير السطحي، أن هناك أكثر من سوسير (*Wuest, J,* *(1990)*)). علما بأن وجهات النظر لا تتنافى بسبب تركيبتها ولا يحكمها منطق الإقصاء، فضلا عن أن تعدد زوايا النظر يسمح لنا بتجميع الصورة المركبة للغة والبحث عن العلم اللساني القادر على أن يدرس اللغة في شموليتها وتمامها وبكامل مقوماتها (انظر *CLG* وانظر حنون (1987)، خاصة وأن سوسير يعكس، في كل كتاباته، كل التراث اللغوي: اللساني النظامي، والمثالي، والشلايشري (نسبة إلى شلايشر الألماني)، والنحوي الجديد،

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

والووندتي (نسبة إلى *Wundt*)، والجغرافي اللساني، والصوتي، والمقارن، إلخ.*(Wunderli, (1982)), p.120*.

- لقد عرف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حالة فكرية لسانية وظفت كل المكاسب المعرفية والعلمية وكل الاستنتاجات الفكرية لتتوج بإصدار كتاب باسم سوسير تمحور حوله النقاش (انظر *Wunderli (1982)* نقلا عن: *Choi, (1999), p.90*).

لعله بات واضحا أننا نسعى، إذن، من تثبيت هذه الأفكار، إلى أن سوسير قد كان وراء ظهور مختلف الاتجاهات اللسانية، ولقد تأكد، اليوم، أن "المحاضرات"، بسبب المناخ الفكري وتوجهاته، قد احتلت الواجهة، فغطت- أو أريد لها أن تغطي-، بذلك، على سائر كتاباته المتنوعة مجالاتها. ويمكن الزعم بأن هذه المحاضرات إما أن تكون تلخيصات مكثفة لبرنامجه اللساني المتنوع، أو تثبيت نقاط قابلة للتوسيع والإنضاج. وهكذا تكون المحاضرات قد حجبت عن الباحثين كتاباته الأخرى بما فيها المخطوطات، فاختزلت أعماله، ونسي سوسير المتعدد الاهتمامات والعامل، وفق برنامج بحثي، على إنضاج رؤيته إلى اللغة ونظامها ضمن نسق أكبر وأوسع وأعقد مما جاء في المحاضرات التي ربما يكون سياقها قد فرض الاختزال والتبسيط والتلخيص، وهو ما يطبع المحاضرات الجامعية عموما. ويعود سوسير المنسي، من خلال مختلف مخطوطاته، ليصحح الرؤية ويوسعها ويُشكلها (*problématiser*) بوضع حد لعدد من الفجوات المعرفية والمنهجية. وتكشف هذه العودة عن مساوئ القراءات التبسيطية التي اختزلت لسانياته فيما سمي بـ "لسانيات اللسان". ويحضرني، في هذا السياق، ما سجله *Depecker* (2005) من أن سوسير لم يُقرأ، وأن تفكيره قد شوه، وسيء تأويله وفهمه، وهذا ما جعله يدعو، إلى إعادة قراءة سوسير من منظور جديد، ونضيف وجوب تفسير المحاضرات في أفق مختلف المخطوطات، مع التحرر من الرؤية التي ترسمت بدءا من الخمسينيات وأخضعت لها مختلف القراءات ((انظر *Fehr (1999), p.147*) ولم يكن ذلك يهدف تأسيس سوسيرية جديدة، بل كان يهدف إلى استيعاب الفكر السوسيري في شموليته ومرجعياته.

إن منطق التفتيت وأسلوب التفكيك المعتمدين في التحليل قد غيبا خاصية التواصل التي تسم أعمال سوسير؛ إذ تجمع بين وجهات نظر متآنسة داخل العلم العام للغة بحيث تجعل النصوص مفتوحة على بعضها البعض، فيذهب المرء، باطمئنان، إلى أن نسق سوسير الفكري والمنهجي ليس مغلقا ((*Wuest (1990)*، وربما بسبب "نزول" النصوص على دفعات وكثافة المعروض فيها

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص13-42)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

وبمقاربات مختلفة، ظُن أن كتاب محاضرات في اللسانيات العامة قد كان مصدر الأزمة التي تشهدها اللسانيات كما عبرت عن ذلك الباحثة دانييل كامبارارا *(Daniele Gambarara, (2005)*.

تلكم أهم أسس التصور الذي يؤطر قراءتنا، وهو تصور يبقى ناقصا ما لم يسنده فهم صحيح لمفهوم الثنائية، وإعطاء الأسبقية للسان على حساب الكلام.

2. إشكالية النص "السوسيري" وقابليته للتأويل:

نعتقد، أولا، بأن نص سوسير نص جمع بصيغة المفرد؛ فهو نصوص تنتسب، إلى هذا الحد أو ذاك، إلى سوسير المتعدد التام الكامل المقومات *intègre* وإلى المناخ اللغوي والفكري الذي تربى فيه، بل إنها تشكل نصا جامعا *Architexte* لنصوص مكونة مختلفة صيغت على مراحل متفرقة وتبعا لحاجات واهتمامات مختلفة وللإحاطة بالموضوع الشامل والتام للسانيات العامة. وبناء عليه، فالنص "السوسيري" نص متعدد ومتوثب بحثا عن الجديد والأصيل. وبهذه الصفة الملتبسة، فهو نص مرحلة تاريخية حاسمة يعكس نقاشا واسعا وجدلا موسوعيا وعميقا وغير إقصائي حول اللغة، كان سوسير هو محوره والمتحكم فيه. وهو نص يحاول أن يصوغ، على نحو كيفي، تلك التراكمات المعرفية وتنويعات سوسير وتنوعاته المرتبطة باهتماماته ومشاغله (*Chidichimo, (2016), p.117)*. ولأن بناءه مركب ومكثف ومزدحم، فهو نص قابل للتأويل، بالنظر إلى تركيبته وبنيته وتقديمه المجزأ وعلى مراحل إلى الجمهور، وبحكم تصرف تلامذته فيه على قدر أفهامهم، وما أتيح لهم ولناشري محاضراته، ووفق تطلعات شباب منفتحين وطموحين، وبالنظر إلى ثخانة النص لاعتبارات تعود إلى تنوع كتابات سوسير ذاتها وتوزعها على حقول الأدب والصواتة *phonologie* والفيلولوجيا واللسانيات التاريخية والمقارنة واللسانيات العامة، حتى إن اسم سوسير قد اقترن بالشعرية والسيميولوجيا واللسانيات التاريخية والمقارنة واللسانيات العامة[1]. (فقد كان لسانيا، وشعريا، ومؤرخا لسانيا، ومقارنا لسانيا)، علاوة على أن الرجل رجل يفكر في الأسس والمبادئ؛ أي أنه رجل فكر إبستمولوجي يرمي إلى التأسيس بما يفرضه ذلك من التمييز والدقة والنضج في العبارة والفكر، وعليه، الإسهام الغالب في صناعة المفاهيم في فترة فكرية ثرة وحرجة يغلب عليها طابع النقد. هذا، فضلا عن بروز بوادر "وعي تخصصي" للسانيات عرف أوجه سنة 1928[2]، وهي بوادر

[1]. Rastier, (2004), p.39; Rastier, (2010), p.315

[2]. Puech, (2008)

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص13-42)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

وعي حاد قد لا يقبل التوفيق أو التنازل، وبوادر وعي تخصصي تتراكب معه بوادر "وعي بيني لعلوم اللغة"[1].

يفرض النص الجامع، إذن، مقاربة تأويلية، سواء أكان هذا التأويل صحيحا أم فاسدا. بل إن التأويلات أصبحت جزءا لا يتجزأ منه. وهنا، ينبغي لنا أن ننبري لنؤكد أن التأويل ليس بالضرورة خطأ معرفيا، فقد ينتج معارف جديدة يكون المجتمع العلمي بحاجة إليها. وهكذا، فإن نص المحاضرات أو الكتابات قابل للتأويل دوما لعمقه وثخانته وللمستوى الفكري المتفاوت لمتلقيه، بل وحساباتهم، والظرف الفكري الذي ظهر فيه، وملابسات التدريس، والمواقع الفكرية المختلفة ودورها في التأويل وإعادة فحص لسانيات سوسير، هذا علاوة على الأسئلة اللسانية الحارقة التي تثيرها هذه الكتابات لدى متلقين متنوعي الثقافات والمعارف والهموم[2] .

وهكذا، فقد كان لسياق بناء النظرية قيده وربما وقعه الحاسم. فلم يكن بالمقدور التنبه إلى عواقب هذه الخلفيات المتباينة التي لم تسمح بفرز واضح وسريع. غير أن التلقي، لهذا السبب ولغيره، قد كان تلقيا تحكمت فيه ثقافات مهيمنة ونزوع لساني يتجه بصرامة نحو التحرر منذ مرحلة النحاة الجدد إلى درجة الحكم على هذا التلقي بالتلقي الفاسد أو التلقي الذي توجهه أهواء أو سوء فهم، خاصة وأن سوسير ينتج لغة واصفة *métalangage* غير متداولة وناشئة ويصعب إدراك مضمونها الجديد. ومن زاوية أخرى، فقد كان التلقي ملغما لأن المتن المعتمد متن معقد ومركب ومتنوع ومفتوح. إن النص المتصدر لأعمال سوسير نص غير "أصيل" دائما، فجزء منه من جمع طلابه وتنظيمهم له، بل لأن صياغات نص من نصوصه ليست بصياغته، وإنما تعود إلى طلابه أو إلى ناشري المحاضرات، فكان أن احتمل الدارسون إمكان تدخل "أياد غريبة" لتقوم بالصياغة المجانبة للصياغة الأصلية، بل لتحرف الفكرة الأصلية حتى غدا نص محاضراته نصا غير صاف وغير خالص، علاوة على أنه نص بقدر ما يستكمل اللسانيات في مظهرها التاريخي والمقارن بقدر ما يقطع الصلة معها. ومن هنا ظهور التباس آخر يصبح معه النص الأصلي مستغلقا. ثم جاء نص "الكتابات" ليزيد الأمر التباسا وغموضا ويهز "اليقين" اللساني و"عرش" الاتجاهات اللسانية، حتى إننا صرنا أمام "نصين" لا يتقاطعان إلا ليفترقا. لقد أربك سوسير المجتمع العالم بسبب عدم القطع مع تردده، وبسبب "نصوص داخلية" خرجت إلى العلن اضطراريا بعد وفاته.

---

1. انظر (Fehr, (1999), p.147، وانظر أيضا Ida Giugnatico (2017).

2. لأن اللغة مجال معرفي لا شاطئ له، فقد كانت موضوعا انشغلت به علوم مختلفة قديمة وجديدة. ولأنها الوافد العلمي جديد، فقد استقطبت اهتماما خاصا.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

لقد كان سوسير يعرض أفكارا متزاحمة وبطريقة غير مألوفة؛ إذ كان عرضه عرضَ لسانيَ وعرضَ إبستمولوجيَ: أي أنه يعرضها على نحو نقدي، يطرح الفكرة ويفككها ويمحصها ويواجهها بأفكار مختلفة من أجل توضيحها، ليستحضر فلسفة اللسانيات (أو الإبستمولوجيا اللسانية الداخلية التي كان يؤسسها في ذات الوقت)[1] فيزن بها خطابه وميتا-خطابه *métadiscours* اللساني. ومن المعروف أن سوسير قد أنكر على علوم الحياة (البيولوجيا والتشريح..) أن تُعتمد في بناء نموذج إبستمولوجي للسانيات (انظر محاضرات في اللسانيات العامة و*Febr (1992: p.76-77)*)، وربما كان لسمة أخرى أن تساعدنا على فهم هذه الالتباسات والمفارقات التي وشمت "أعمال" سوسير: فما يبنيه سوسير يبنيه بتدرج. والبناء المتدرج لا يفضي إلى أحكام نهائية أو إلى بناء نظري نهائي، وإلى حسم رياضي. إن المفاهيم التي يبنيها مفاهيم علائقية ونسبية بحسب السياق العلمي وتطور البناء النظري والتقاطب بين القديم القوي والآيل إلى "الزوال" والحديث القادم الذي ما زال في وضع هش.

وفق هذا المنطق، فإن مشروع سوسير أو برنامجه البحثي يؤسس اللسانيات وينظمها على قاعدة اللسانيات التاريخية كما تصورها النحاة الجدد[2] ولعل ذلك يعني أن "القطائع" الإبستمولوجية المنسوبة إلى سوسير قطائع "وهمية"؛ لأن سوسير لا يرمي سوى إلى بيان تعقد ظاهرة اللغة وتعقد علم اللسانيات وتعقد تشابكات العلوم المنشغلة بها والمتعددة. وإذا ثبت ذلك، صح معه أن سوسير جمع بين أنموذجين *paradigme*: أحدهما بنيوي والآخر تداولي *pragmatique*، وهما أنموذجان لا يتنافيان؛ لأن التغيير الحاصل تغيير في إطار الاستمرارية، ولأن الاستمرارية الحاصلة استمرارية في إطار التغيير[3].

يجب أن ندرك أن سوسير كان بصدد صياغة برنامج بحثي تحكمه إبستمولوجيا برنامجية[4] ومقاربات مختلفة لا يؤدي اختلافها إلى التنافي، فقد تعددت في كتاباته الأصيلة وغير الأصيلة زوايا النظر التي خلقت أكثر من موضوع ((انظر (*Ecrits*)، وحكمت على لسانياته بأن تكون منبع كل التخصصات اللسانية. وهذا ما يفسر كون خطاب سوسير قد كان خطابا مرنا غير حاسم، خطابا مفتوحا بصورة وشكل مؤقتين، خطابا غيبه تشدد الناشرين وصرامتهما مثلما غيبه المتلقون.

---

[1]. انظر على سبيل المثال: Normand, C. (2000) وParret, H. (2009) و(Stancati, C. (2004)

[2]. ((Rastier (2010), p.315) وانظر(Beguelin, M-J. (2012), p.77) (وانظر أيضا ص8، (Bari, (2015)).

[3]. Normand, (1980), p.272.

[4]. Bouquet, (1998) Garelli, Jacques (2003).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

فلا غرو أن تكون اللسانيات التي وضعها سوسير لسانيات متنوعة ومتعددة سواء استحضرنا النصوص المكتشفة سنة 2002 أو استحضرنا أعماله الأخرى، أو اقتصرنا على "المحاضرات". لقد كان سوسير، وهو "يكافح" بكل ما امتلك من معرفة وخبرة، من أجل بناء اللسانيات العامة؛ مفاهيم وأدوات وخطابا واصفا، لا يقتصر على بناء علم "هنا والآن"، بل كان يضع الأساس للسانيات بقدر ما تنفصل، وتنشق وتؤسس القواعد الصلبة من الداخل، بقدر ما تؤسس للاختلاف أو على الأقل لا تسد الباب في وجهه، بقدر ما تشرعن، على الأقل، للسانيات متعددة الاتجاهات. بل إن سوسير كان يرسم ملامح هذا الاختلاف أو ملامح الاتجاهات اللسانية القادمة. وإذا علمنا أن الإشكاليات اللسانية المفتوحة قد فتحت بدورها أسئلة تعود إلى حقول معرفية أخرى لا يمكن تجاهلها، بأي شكل من الأشكال، فإن العقل الموسوعي والعقل الإبستمولوجي عقلان لا يختزلان العالم والوقائع مهما كان تكثيفهما لها.

ومع أن الخطاب السوسيري ثاخن وكثيف، فقد انقسمت قراءة منتجات سوسير إلى فريقين: فريق رأى في سوسير بنيويا ذا مشروع مغلق، بقدر ما عمق النظر في أمور بقدر ما كان خطابه مسطحا في أمور أخرى. عالج موضوعات كثيرة فانتقى منها قسيما، وأبعد قسيما آخر حتى بدت اللسانيات بين يديه متشظية. وفريق ثان رأى في سوسير كل المعارف اللسانية التخصصية التي ظهرت في أعقاب ظهور أعماله. إذ ملأت الساحة اللسانية كتابات ألقت على عاتقها مهمة البحث عن مقاربات أخرى غير البنيوية في ثنايا أعماله المختلفة. وهكذا، وقفت هذه الدراسات على احتضان سوسير لمقاربات سيميائية (أسطورة وخرافات)، وشعرية، ولسانيات "نظامية"، ولسانيات الخطاب، ولسانيات نصية، ولسانيات معرفية، ولسانيات نفسية، ولسانيات اجتماعية، ولسانيات تداولية، ومقاربة فلسفية، وتناول إبستمولوجي، ولسانيات تاريخية، ولسانيات مقارنة. وكان الفهم السابق لا يكاد يذكر لسانيات مفردة أتى على ذكرها سوسير وتحمل تسمية علم اللغة (*Rastier (2013), (p.10-12)*، لسانيات جامعة وتامة لا تشكل منها اللسانيات البنيوية إلا قسما، بل جنح إلى الاعتقاد بوجود لسانيات مزدوجة قائمة بدورها على ثنائية ضدية، يتباعد طرفاها ويتنافيان: لسانيات اللسان/ لسانيات الكلام، لسانيات داخلية/ لسانيات خارجية، لسانيات سانكرونية/ لسانيات دياكرونية. وقد امتد هذا الفهم لينجب أفكارا غريبة من قبيل وجود لسانيتين دفعة واحدة[1] أو ثلاث لسانيات (*Sechehaye*)، أو ست لسانيات (*Buyssens*) أو لسانيات علمية ولسانيات عملية

[1] انظر: Sechehaye. A, (1940)، وBuyssens, E, (1949) وانظر ازدواجية اللسانيات لدى Toutain, A.g, ((2009), p.196) (Normand وArrive).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

(*Toutain*)، أو لسانيات الخطاب... هذا هو منطق "السوسيرين" الذي تحكم في فهم اللسانيات، وهو فهم متولد، فيما ذهب إليه راستيي عن الفكر الثنائي التقليدي[1].

والخلاصة هي أن النص السوسيري قد كان نصا يجمع كل التناقضات والاختلافات التي تعرفها اللسانيات الآن. فقد كان وراء إحداثها إيجابا وسلبا. بهذا المعنى، صار سوسير ملغزا: فإما أن كتاباته عبارة عن مدخل إلى اللسانيات المتعددة الحديثة، وإما أنها عبارة عن كتابات تشرع الباب للخروج منها باتجاه لسانيات منغلقة. على أننا نذهب مذهبا آخر يفيد بأن لسانيات سوسير يجب فهمها على نحو مخالف؛ فهي لسانيات جديدة توجد خارج التخندق المدرسي، لذا، كانت منطلق كل التيارات.

هكذا، يتأسس التأويل، وتتأسس معه تصورات قد تجانب الواقع والتاريخ، لأن التأويل قد اتخذ طابعا إقصائيا، وبدل البحث عن كيفية جمع المتناقضات والثنائيات وتوليفها، غلب الاختيار الانقسامي؛ لأن القراءات كانت قراءات تبسيطية انفعالية جعلت من عطاء سوسير عطاء ضحلا أو عطاء شديد الاكتناز. وربما لا يخطئ من يصرح بأن القراءة البنيوية لسوسير قد جعلت كتاباته ضحلة، في حين رأت في أعماله اتجاهات أخرى عمقا ودسما. هكذا، هو واقع حال تلقي الفكر السوسيري: يبدو، مرة، غنيا وثرا، ويبدو، مرة أخرى، فقيرا وحسيرا.

وقد يفضي بنا منطق سرد الأفكار إلى أن نستخلص أن من تلقوا هذا الإرث الملتبس قد فرضوا علينا أن نقول إننا بإزاء سوسيرين إن لم نقل ثلاثة أو أكثر، بإزاء تعددية وجوه سوسير[2]، وربما يختفي وراء هذا التصرف منطق "القطيعة" الإبستمولوجية –بتأويلها الحدي الصارم- التي احتلت الساحة العلمية ووجهت التفكير العلمي نحو تبخيس كل الأفكار التي أثمرتها المراحل التاريخية السابقة خاصة في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

3. البنيوي وغير البنيوي في فكر سوسير: نظام المفاهيم وثخانتها

قبل البدء في معالجة ما إذا كان سوسير بنيويا فحسب أم لا، يجدر بنا أن نلقي نظرة نقدية على جملة الشروط التي كانت اللسانيات تمر بها في تلك الفترة، وإلقاء بعض الضوء على وضع اللسانيات في عصره. فمن شأن هذه الوقفة النقدية، في زعمي، أن ترفع عددا من الالتباسات، وأن تسهم في حسم "بنيوية" سوسير من عدمها. فمن المعروف أن اللسانيات التاريخية والمقارنة قد

---

1. Rastier, (2019), p.315.

2. Puech, (2008), p.1096.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

استنفدتا عطاءهما، وتليها النحاة الجدد مثبتين النزوع نحو دراسة اللغة، أي أن سوسير كان يعيش في وضع لساني مضطرب يهفو إلى إعداد أنموذج *paradigme* يدرس نظام اللغة فيسد بذلك التأخر والثغرة المعرفية والمنهجية الكبرى التي عطلت البحث التاريخي والمقارن؛ ذلك أنه قد تبدى أن تناول مراحل تاريخية من اللغة أو عقد مقارنة بين لغتين أو أكثر- أن ذلك تسبقه خطوة منهجية تتطلب معرفة النظام اللغوي المؤرخ له أو الأنظمة اللغوية المراد مقارنتها ببعضها البعض. والحال أن هذه المسألة بالذات قد شكلت نقطة ضعف اللسانيات التاريخية، ووقف الجهل بها حاجزا أمام تطور اللسانيات وتحديثها.

بناء على ما سلف، يبدو أن سوسير قد أدرك حلقة الضعف هذه والمتطلب النظري والمنهجي المترتبين عليها، فانصب اهتمامه على سد هذه الثغرة، وفك عقدة بناء اللسانيات لإبستمولوجيتها الداخلية؛ أي أن انشغال سوسير المركزي قد تمثل في إنجاز مهمة الانتقال من اللسانيات التاريخية والمقارنة إلى اللسانيات العامة، وبعبارة أخرى، إنجاز مهمة الكشف عن طبيعة المؤرخ له والمقارن، وتعرف اشتغاله وآليات هذا الاشتغال مع ما يلزم من إعداد مفاهيم ومبادئ والإقدام على عملية الفرز القيصرية الضرورية، نعني بذلك الوعي بالنظام وعناصره والعلاقات بينها وتمفصلاتها لبناء "الكل"، ومن ثمة الوعي بوجه داخلي نسقي تعطاه الأولوية والأسبقية لأنه الجوهر والمنطلق نظريا ومنهجيا ولأنه يشكل السبيل المنهجي لترتيب أوضاع النظر اللساني. هذا السبق (المتطلب) النظري والمنهجي هو الذي ينبغي استحضاره أثناء معالجة قضية كون سوسير بنيويا أم لا. ولما كان سوسير يولي كل المجهود النظري والمنهجي للجانب "الداخلي"، فإنه لم يكن يقصد بناء لسانيات تدير ظهرها لماضيها بقدر ما كان يرمي إلى استكمال صرح اللسانيات العامة بالتنبيه إلى أن البداية يجب أن تكون من هذا "الداخل" الذي طالما "تُنوسي" لأسباب مختلفة. ولعل كتابات سوسير ذات الطابع التأريخي والمقارن تؤكد أنه لم يقابل بين التاريخي والمقارن وبين النظامي تقابلا فجا يؤسس لتعارض مطلق، وأنه لم يستهدف شق اللسانيات إلى تاريخية ونظامية[1].

لعلنا نقول، من خلال ما سبق، إن المشروع البحثي لسوسير قد كان يتمحور حول إرساء أنموذج النظام الذي لا يقصي أنموذج التغيير. ومن هناك، ولهذا السبب، يصعب القول بأن سوسير يؤسس البنيوية، سواء أعلم بذلك أم لم يعلم به، بل إنه كان يرتب شؤون البيت اللساني بترميمه من الداخل حتى تغدو اللسانيات قادرة على معالجة "الداخل" و"الخارج" معا.

[1]. لنكون نظرة دقيقة عن نتائج أبحاث النحاة الجدد. انظر: (Ségéral. Philippe et Scheer, Tobias (2014).

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص13-42)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ومن زاوية ثانية، وبناء على ما أسلفناه، فمن المسلم به أن البنيوية ليست سوسيرية، ذلك أن الكتابات السوسيرية كتابات متعددة الخلفيات والأصول النظرية والفلسفية. فلا المحاضرات ولا التدوينات بقادرة على تقديم صورة واحدة عنه، ولا تلامذته بقادرين على رسم صورته الحقيقية من خلال كراريسهم، ولا كتاباته الأخرى بما فيها "كتابات في اللسانيات العامة" بقادرة على إرساء سوسير آخر. فنحن، حال حديثنا عن سوسير، تهجم علينا صورة من صور سوسير الحقيقية والمصنوعة، جزئيا أو كليا. فعن أي سوسير نتحدث عندما ننسب إليه بناء البنيوية؟

أعتقد أننا نعني سوسير في تعدده. وإذا عنيناه في تعدده هذا، فمن الأكيد أننا نجد أنفسنا أمام صور تتكامل ولا تتنافى أو تتنابز، بحيث تبرز كل صورة جانبا من جوانبه. وتبعا لذلك، يكون سوسير أكثر من واحد، وتكون أطروحته أكثر من واحدة. ونجزم فنقول إن ذلك لا يعني، بتاتا، أي صورة من صور التلفيق، وإنما يشير إلى أطروحات لم تستقر بعد وربما لما تكتمل بعد، فظلت، بذلك، قائمة.

إن المقابلات التي أقامها سوسير لم تكن، في رأينا، مقابلات تؤسس تعارضات وتقابلات وتنافيات. لذا، من الخطإ القول بأنه هو من أرسى دعائم البنيوية. لقد اعتقد عدد من الباحثين أن اعتباره بنيويا قد كان ناتجا عن تعريفه للسانيات وموضوعها (اللسان منظورا إليه في ذاته ولذاته)، فضلا عن اعتبار اللسان نسقا تتماسك داخله كل عناصره وكل أطرافه القائمة على الاختلاف، وأن قيمة كل طرف لا تتأتى إلا بالحضور المتزامن لكل الأطراف وهذا ما يحدد توازن اللسان، وأن اللسان كل منظَّم أو مبدأ منظِّم، وأن الداخلي في اللغة هو كل ما له صلة بالنسق والقواعد. كما يمكن ذكر مفاهيم ومبادئ أخرى من قبيل: قواعد اللعبة، ونظام الوحدات المتزامنة، والعلاقات المنطقية والنفسية الرابطة بين الأطراف المتعايشة والمشكلة للنسق، والنسق المنسجم في فترة زمنية معينة، واللسان نسق دلائل وعلامات، والتماثل والتعارض، ومعها تختفي فكرة المرجع المادي. دون أن ننسى المفاهيم التالية: الموضوع الوحيد والحقيقي والشامل، والوحدة اللغوية، ودراسة الحالة، والدراسة التزامنية، والمعيارية واللسانيات، والأساسي، والجوهر، والثابت، والنموذج، والجماعي، والتصور، والمبني[1]...

لكن الذي لا ينبغي أن يفوتنا هو أن هذه المفاهيم والمبادئ قد حضرت في كتابات سوسير لا بوصفها مفاهيم ومبادئ لا تندرج في منظومة اللسانيات العامة إلا بإقصاء مفاهيم ومبادئ أخرى قد تنسب إلى غير النظام، بل بوصفها مفاهيم ومبادئ يمكن استعمالها وتوظيفها لتنظيم الشأن

[1]. J-P, Mebral, (1967), p3-9.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص13-42)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

اللغوي برمته لا على أساس التمايز والتفاضل، ولكن على أساس الدور الوظيفي الذي يبرز كل الخصوصيات. وبعبارة أخرى، لقد صاغ سوسير، من خلالها، مشروعا موضوعيا وعقلانيا يباشر به المسألة اللغوية. وهكذا، انبثقت، إلى جانب هذه المفاهيم والمبادئ، ومن خلال نقاش سوسير وجداله الإبستمولوجي، أفكار أخرى ومفاهيم ومبادئ "منافرة" لما أدرجناه أعلاه، من قبيل: اللغة والكلام، والخطاب، والدياكرونية والتاريخية، والخارج، والكتابة، والمادة، والعرضي، والثانوي، والمتغير، والتنافر وعدم التجانس، والتعدد، والمعطى، والملموس، والمجال، والواقع، والفردي.، والصوت، ... وما إلى ذلك.

ويكون مؤدى ما حاولنا تقديمه لوحة "لسانية" تتشكل من "مفاهيم" و"مبادئ" "بنيوية وغير بنيوية": اللسان/ الكلام، والمنطوق/ الكتابة، والتزامنية/ التطورية والدياكرونية، والداخلية/ الخارجية، والشكل/ المادة، والجوهر/ العرضي، والوصفية/ التاريخية، والمعيارية، والنسق والنظام/ التنافر واللاتجانس، والمجرد/ الملموس، والموضوع/ المجال، واللسانيات السكونية/ اللسانيات التطورية، والتصور/ الصورة الأكوستيكية، والموضوع النظري، المبني/ الموضوع الواقعي والمعطى سلفا، والنظرية/ الواقع، والجماعي/ الفردي، وغيرها.... هذه اللوحة تقدم صورة عن لسانيات سوسير التي يمكن وصفها بأنها "ليست بنيوية أو ليست غير بنيوية". والذين يرون أنه بنيوي يأخذون بنصف الحقيقة التي تقوم على انتقاء أطراف ثنائيات وإقصاء الأطراف الأخرى، وكأن هذه الثنائيات ثنائيات ضدية، بينما هي ثنائيات غير ذلك لأنها تعكس نفس الواقع الملاحظ. فانشطرت اللسانيات على يد المؤولين إلى شطرين متعارضين تعارضا مطلقا.

إن التشخيص الذي قدمه سوسير للغة تشخيص تام وينبغي النظر إليه من خلال "تمامه" هذا، ولا يحق، بأي حال من الأحوال، تجزيء الظاهرة اللغوية وتفكيكها إلى مكوناتها المختلفة والمتفاوتة. لقد كان سوسير يؤسس لنظرية لسانية عامة، موليا الأولوية "للحلقة" الأضعف أي "المكونات المؤسسة للنظام" دونما تفضيل لها على غيرها. فهو مؤسس اللسانيات العامة ومؤسس لسانيات موحّدة، وليس مؤسسا لاتجاه لساني أو مهندس "قطيعة" لسانية أو "منعطف" لساني مزعوم.

إن رصد الثنائيات وتفكيكها وبناء نسقيتها وترابطاتها الفكرية الداخلية لا يعني فرزها كموضوعات متقابلة ينفي أحدها الآخر، وإنما هو تفكيك يتغيا معرفة اللغة وقيود تحويلها إلى موضوع علمي وإنتاج مفاهيم وآليات إجرائية تيسر معالجة ظاهرة اللغة وتقسم العمل بين هذه الثنائيات بفرز يسند إلى كل طرف مهمة ووظيفة: الطرف الأول إلى اللسانيات الرئيسة (وهي رئيسة في الوضع المعرفي المزامن لسوسير)، والطرف الثاني إلى اللسانيات الثانوية (وهي ثانوية في الوضع المعرفي المزامن لسوسير). ربما يكون تعبير "لسانيات رئيسة، ولسانيات ثانوية" ملبسا لأنه قد يؤسس

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

لتراتبية غير مفهومة. غير أننا نذهب مذهبا آخر. فليس في الأمر ما يؤسس لمنطق تعطى فيه الأفضلية للسانيات "الداخلية" على حساب "اللسانيات الخارجية". إن عددا من المفاهيم ينبغي ألا تقرأ إلا في نسبيتها لا في إطلاقيتها. فالمفهوم مؤطر "زمانيا"، تحيل فيه عبارة "زمانيا" على الزمان الفكري والإبستمولوجي. وبعدما استوت الوضعية، وتمحورت الأبحاث على البعد الداخلي للغة، وتعرفت اللسانيات "الداخل اللغوي" انبرى البحث اللساني لينظر في "الخارج اللغوي" مزودا بما حصل عليه من هذا "الداخل".

صحيح أن هذا التصور الخاطئ قد دعمه تأويل غير سليم لهذه الثنائيات ولطبيعتها وللأهداف التي وُضعت من أجلها: إذ أسند كل طرف من الثنائيات اتجاها من الاتجاهين. وإذا كان سوسير قد زاوج بين الثنائيات، فإنها، مع ذلك، ثنائيات لا تقوم، في تصورنا، على التنافي بل تتأسس على التكامل. أما التفاوت بينها واللاتساوي الذي ينتظمها فهما مرهونان بظرف فكري استدعى هذه التراتبية ليشتد عود اللسانيات العامة. يقول سوسير حاسما التردد: "ليس لنا الحق مطلقا في أن نعتبر جانبا من اللغة بوصفه سابقا وعاليا على الجوانب الأخرى"[1]، فهما يشكلان نفس الواقع الملحوظ.

من البدهي أننا نسعى، من خلال ما نذهب إليه، إلى أن للثنائيات وضعا معرفيا وعلميا بحيث إنها عبارة عن أدوات نظرية ومنهجية لبناء نظرية لسانية للسان والكلام ولتوضيح موضوع العلم ومقارباته المختلفة وكذا توضيح النظرية. وبذلك، فلا قيمة للثنائيات في ذاتها، وإنما قيمتها في تفاعلها؛ إذ تشير هي ذاتها إلى علاقة جدلية لا إلى علاقة نافية (*Rastier, 2009: p5*).[2] وأما الانشطار فهو محض عملية إجرائية من أجل الفهم الجيد للظاهرة اللغوية ومقاربتها المقاربة الأسلم. إن الثنائيات ليست مؤسسة للنظرية البنيوية، كما يشرعن البنيويون وجودهم، بل للنظرية اللسانية، ومن ثمة لمختلف التخصصات المندرجة تحت اللسانيات التي رأى أكثرها النور من تحت جلباب الثنائيات. أما توجيه المنتج السوسيري واختزاله إلى منتج بنيوي فهو يعود إلى السوسيريين الجدد.

وقد أثبتت الدراسات ما نقول به من حيث إن الثنائية مفهوم مركب ومعقد، ومن حيث إن الثنائيات حاضرة دوما ولا يمكن إغفالها، وأنها تشير إلى الاختلاف والتعدد لا إلى الوحدة ساعية بذلك إلى بيان الاختلاف الجوهري بين الطرفين لا بيان التعارض والتشديد عليه. إلا أن الثنائية مؤقتة وتسمح بالتقدم ولا تحمل أي حكم قيمة، ومن الضروري أن تفضي إلى التوليف. وهي لازمة للمنهج

[1]. Note N 9.2, p. 4.

[2]. Rastier, (2009), p.5.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

العلمي المستعمل، وعبارة عن "أدوات علمية من أجل المقارنة والفهم الجيد"[1]، إن الثنائية مفهوم إجرائي يشكل تمفصل الوحدة والثنائية والتعددية، علاوة على أن اللسان يدمج الثنائيات بحيث لا وجود له إلا بها، كما أن كل ثنائية تدمج وتندمج في ثنائيات أخرى[2].

يتضح، إذن، أن هذا الفهم هو الفهم المطابق للوقائع اللغوية، كما عبر عنه سوسير في "كتابات في اللسانيات العامة"؛ بحيث إنه قد أشار إلى غياب نقطة انطلاق مركزية[3] لأن الموضوع اللساني موضوع تقاطعات وملتقى طرق، وإلى أن الحقائق اللغوية الأساسية الخمسة أو الستة متواشجة ولا يصح تذريرها (ص17)، وأن اللسانيات مجال شاسع ويشمل قسمين: اللسان والكلام (ص273) لا قسما واحدا، وهو ما يطرح على المستوى اللساني قضية لسانيتين (ص299) متكافئتين، وكل ما تحويه هذه اللسانيات من مكونات (صرف ونحو وتركيب وترادف وبلاغة وأسلوبية ومعجمية إلخ) يعد غير قابل للانفصام(ص45).

4. توزيع الأدوار بين شقي اللسانيات

هناك تمايز، إذن، بين "لسانيتين" لا تتميزان إلا لتتصلا وتتكاملا. غير أن قارئ الأعمال السوسيرية في نسختها الأولى، أساسا، ينتابه، أمام وفرة الثنائيات وإرباكها الكبير للقارئ، شعور يفيد بأن كل طرف يجزئ الظاهرة اللغوية –وهو تجزيء يليه تركيب جديد-، وأن كل طرف يستكمل الصورة التامة للظاهرة. وأعني بذلك أن هناك تواصلا وتوادداً بين الأطراف، وأن كل طرفين مشكلين لثنائية عبارة عن طريقة في الظهور والكينونة[4]. وقد أريد لكل ثنائية بطرفيها المتوائمين، في العمق، توزيع الأدوار بين شقي اللسانيات: الرئيسي منها والثانوي. وتفاديا لأي خلط أو التباس، أؤكد أن هذه الأدوار الموزعة مؤقتة ومرتبطة ببيان الفوات بين "اللساني" و"الكلامي" وسده أو تقليص مساحته.

لقد أتاحت قراءات محاضرات سوسير لكل الباحثين في مناخ فكري يهرول نحو الجديد والحديث، فرص امتداد قراءة واحدة تنتقي من بين الثنائيات ما يحقق "الانسجام الداخلي" و"التناغم الأمثل"، وهذه، كما أسلفت، قراءة مبسطة وساذجة. لكنها، من أحد الأوجه، قراءة نبهت على أن

---

[1]. (انظر لتكوين صورة سليمة عن مفهوم الثنائية الأعمال التالية: Ridoux, O., Viéville, T., & DE LECTURE, N. (Coursil, J. (2003). و Mapendano, David, (2016) و I. V. E. A. U. (2005)،

[2]. Coursil, J, (2007), p.7-9) وانظر أيضا Petroff (1995) انظر .(Bouquet, (2008).

[3]. Ecrits de Linguistique, p.281.

[4]. Verleyen, (2008), p.135.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

هناك قسيمين: قسيم لسانيات اللسان، وقسيم لسانيات الكلام. وأن "كتابات في اللسانيات العامة" تؤكد ما ذهبنا إليه من أن هناك لسانيتين تتكاملان ولا تتقاصيان (ص273). وتجدر الإشارة، هنا، إلى أن الثنائيات قد عملت جميعها على تأسيس مفهوم "زاوية النظر" السوسيرية الذي مكننا من الوصول الشرعي إلى هاتين "اللسانيتين":

- لسانيات الكلام: وهي لسانيات سابقة في الوجود، وقد اختلطت بكل العلوم ودرست مختلف جوانب الممارسة اللغوية. إنها بمثابة رصيد معرفي جاهز ومتراكم وشديد الاختلاف والتباين ويعود إلى مجالات علمية مختلفة ومتفاوتة: منطق، وتاريخ، وعلم نفس، وفيلولوجيا، وفيزياء، وفلسفة، وسيميائيات، وفيزيولوجيا، ونحو. إنها لسانيات من سماتها الفوضى والتعقيد والتركيب.
- لسانيات اللسان: ميدان متميز عن العلوم، ويسند إليها دور تنسيقي وتنظيمي، وهي رصيد معرفي ناشئ يستفيد من مجالات علمية ناشئة أو بما يسمى بالعلوم الثقافية: علم الاجتماع، وعلم الاقتصاد، وعلم النفس. ومن سماتها الانتظام، والقوانين الداخلية، وتعزى إليها مهمة ترشيد لسانيات الكلام.

إن ما بين لسانيات الكلام ولسانيات اللسان علاقات متبادلة وتفاعلية بحيث تتوقف الواحدة منهما على الأخرى، إلا أن الخطوة الأولى هي فهم النظام من الداخل، ثم البحث عن الخارج ليضيف معلومات أخرى ولتُستكمل الظاهرة بجوانبها النسقية وغير النسقية.

لقد أفضت الثنائيات بالقارئ والباحث إلى أن يعد اللسانيات عبارة عن شقين: شق أساسي: وهو اللسان وباقي الأطراف الداعمة، وهو شق يتميز وضعه العلمي والمعرفي بالضعف والوهن، وشق ثانوي: وهو الكلام وباقي الأطراف الداعمة له، وهو شق تتميز دراسته بكونها قوية وغالبة.

غير أن سوسير لم يؤسس للسانيات اللسان فقط، بل أسس اللسانيات في بعديها اللساني والكلامي. ومؤدى هذا الكلام أن اللسانيتين تتدافعان بما يحقق تعايشهما وتساندهما إلى درجة يمكن معها الادعاء بأننا بإزاء سوسير واحد مركب لكنه منفتح على مختلف الإشكاليات اللغوية؛ أي أن تصور سوسير لأطراف الثنائيات تصور اندماجي وإن ذهب البعض، على قاعدة ذلك، إلى التمييز بين لسانيات نظرية ولسانيات عملية (ص49) داخل وجهة نظر لسانية مركبة.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

5. مبررات الأسبقية والأهمية المقترحة للشق اللساني

لقد وقف سوسير على أن الظاهرة اللغوية متنافرة، وأنها موضوع مركب وحقل أنشطة واسعة ورحبة، وحركة سكونية ودينامية وقواعد واستعمال مطوع للغة، لتنكشف له عن أنها متعددة الأشكال ومتنوعة الأنساق لا تنقاد للعالم ولا يحيط بها ما لم يحدد زاوية النظر التي تضبط له مسبقا ما جوانب الظاهرة التي يعالجها. ولأن الظاهرة مركبة وتستدعي زوايا نظر متعددة- وزاوية النظر تخلق الموضوع، بحسب سوسير، فقد اتضح تعذر تصور علم واحد للإحاطة بالظاهرة اللغوية في مختلف أبعادها، كما تعذر تصور علوم حليفة "للعلوم اللغوية". وحين أعد سوسير صياغة جديدة لم يكن يبلور لسانيات اللسان فحسب، وإنما كان يعد مشروع لسانيات متعددة. ولم يتغي، من بين ما تغياه، إبعاد الكلام عن اللسان، وإقصاءه من اللسانيات (*Laurent Perrin*) وكان راستيي *Rastier* (2015). قد نبه على أن هدف سوسير لم يكن يقضي بفك ارتباط اللسان بالكلام أو الكلام باللسان، وإنما كان يقضي بالتحديد المتبادل لبعضهما البعض بغاية إرساء تمفصلهما[1].

هكذا، أعد سوسير مشروعا لسانيا، وانتهى إلى أن اللسانيات علم مزدوج بسبب انقسامها إلى لسانيات اللسان ولسانيات الكلام[2]، وأن اللغة "موضوع مزدوج" مكون من قسيمين لا قيمة لأحدهما بدون الآخر[3]، بل إن الظاهرة اللغوية تندرج ضمن "علوم اللغة" أو اللسانيات "العامة" التي تنقسم إلى لسانيات اللسان، ولسانيات الكلام، ولسانيات سانكرونية ولسانيات دياكرونية، ولسانيات داخلية ولسانيات خارجية. لقد أكرهه تشريح واقع اللغة وتركيبتها على أن يفطن إلى أن اللسانيات شاسعة الأطراف؛ إذ تتضمن فرعين: أحدهما أقرب إلى اللسان، فيما الثاني أقرب إلى الكلام. لكنهما متلازمان لا ينفكان عن بعضهما البعض (*ÉLG, p.273*. وانظر أيضا *Troubetzkoy, 1964*), p.1). إن الإطار النظري المؤسس على قاعدة الاعتراف بوجود الثنائيات داخل اللغة قد فتح الباب أمام لسانيات الكلام.

إن قول سوسير بلسانيات اللسان لم يمنعه من أن يخص الكلام بلسانيات، وهو الأمر الذي يؤكد مشروعية وجود لسانيات الكلام التي تعود إلى اعتبار الكلام من دائرة النشاط اللساني فيعده موضوعا من "موضوعاتها". كما تعود هذه المشروعية إلى التداخل العميق بين اللسان والكلام وتوقف أحدهما على الآخر (وانظر أيضا *Troubetzkoy, (1964), p.1*. (انظر *Petroff* و*Bari*) وانظر لمزيد من التوسع *Wunderli (2016)* و(*Bari*)). إن اللسان والكلام ليسا موضوعين متنافيين

---

1. ((انظر أيضا (Laurent Perrin, p.1))
2. (انظر Ecrits de Linguistique Générale)
3. ((Benveniste, (1963), p.16 [=1966, p.40]))

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ولا ينبغي بناء عازل مزعوم بينهما، فهما معا بمثابة وجه الورقة وظهرها، بل هما موضوعان متداخلان ويشترط أحدهما الآخر، وتفاعلهما هو الذي يشكلهما باعتبارهما مختلفين وغير منفكين (*Petroff 1995*). يقول سوسير، في هذا الصدد: "لم يوضع اللسان إلا ليستعمل في الخطاب، لكن ما الذي يميز الخطاب عن اللسان، أو ما الذي يسمح، في لحظة من اللحظات، بالقول بأن اللسان قد بدأ يشتغل كخطاب"(*ELG*). وبالإضافة إلى ذلك، فإن حرمة اللسانيات واستقلاليتها لن يؤسسها الكلام بل اللسان لأن اشتراط النظام (*ordre*) قد جاء في مقابل الفوضى (*désordre*)؛ أي أن اشتراط النظام يأتي لحسن اعتبار الاستعمال، وكيلا يستفرد علم حليف باللغة في حالة عدم تمكينها من أدوات منهجية وتصورية لا يتيحها سوى اللسان. وقد ذهب بعض اللسانيين إلى القول بأن كل تجليات التعبير اللغوي تشكل الكلام، وأنها كلها تشكل اللسان وذلك بسبب أنهما معا يحتويان على النسق المبدع الذي حولهما إلى الإمكان باعتبارهما من تجليات التعبير (انظر (*La Fauci, Nunzio, (2005)*) وانظر أيضا (*Vilkou-Pustovaia (2002 Irina*)).

ومن جهة أخرى، فإن الأمر يتعلق بتقسيم للعمل متكافئ بحيث لا توجد هرمية بين اللسان والكلام، وإن أُعطيت الأولوية للسان التي يمكن تفسيرها وتسويغها. فهي تشير، من جهة، إلى صعوبة مقاربة الكلام دون مقاربة اللسان، وإلى ضرورة معرفة النظام قبل الاستعمال ذلك أن الاستعمال استدعاء لتدخل عوامل مختلفة، وكذا معرفة الاستعمال في النظام. إن الكلام لا يستقيم دون لسان وقواعد، ولا يستقيم التحقيق دون معرفة المحقق، والعملية التواصلية تقتضي لسانا وتحيينا *actualization* للسان: اللسان يتحين ويتحقق بالكلام. لعلنا، بهذه الإشارات، ننبه على أن سوسير يدخل الكلام في اللسان؛ أي في النظام. ولعل ذلك يدل على أن الهوية العلمية للسانيات لا تتأتى إلا باستقلاليتها عن الدراسات الفيلولوجية والطبيعية. ويمكن أن نضيف إلى مقتضيات أولوية اللسان النظرية والمنهجية مقتضى آخر تكتفه أبعاد بيولوجية وجينية ونفسية وتحليل-نفسية.

لهذه الأسباب، نُظر إلى اللسانيات باعتبارها علم (علوم) المركب والمعقد، عليها أن تحرص على استقلاليتها الفكرية على نحوين متضافرين: استقلال متعلق وتعلق مستقل، وأن تنظم تدخلها باستحضار مجموعة من الهموم: هم بناء المفاهيم والتصورات (ابستمولوجيا نقدية)، وأن تعرف كيف توزع الأدوار والمساهمات على العلوم الحليفة. وبالنظر إلى أن اللسان والكلام لا يتقاصيان، فمن البدهي ألا تتعارض اللسانيتان وألا تتنافيا، وإنما تتكاملان وتتمفصلان على نحو معقد وإشكالي ((*Laurent Perrin, (2017*))). ومن هذا المنظور، فإن المشروع السوسيري يخص لسانيات من طابقين أو ذات وجهين، لسانيات تنظر بالطبع فيما يتحدر من السنن (الشفرة) اللغوي باعتباره

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

نسقا، لكن دون أن ننسى ارتباطه بكل ما هو إجرائي أو قولي من فعل اللسان صدفة، إلا أنه يخص ممارسة الكلام ((*L.Perrin, (2017*)).

بالاستناد إلى ما سبق، يتبدى أن سوسير ليس الأب الشرعي للبنيوية فحسب مثلما حوله البعض إلى بنيوي رغم أنفه، وإنما هو أب شرعي للتيار البنيوي والتيار غير البنيوي على حد سواء، فيكون بذلك مؤسسا للسانيات المتعددة، ومتعدد الأصوات لا أحادي الصوت. ومثلما أفضت لسانيات سوسير إلى اللسانيات البنيوية أفضت كذلك إلى لسانيات نصية ودراسة تداولية للخطاب وتداولية مندمجة (ينظر راستيي 2015، وخصوصا الفصل المعنون: سوسير والنصوص، وسيجد القارئ ترجمة لهذا الفصل من الكتاب ضمن مواد هذا العدد).

6. خاتمة:

حاولنا، في هذا البحث، توضيح فرضيتنا القاضية بأن سوسير ليس بنيويا وبأن عمله يندرج في سياق تأسيس لسانيات عامة تحيط بالظاهرة اللغوية بما يلزم من احتياطات منهجية وتصورية، وذلك بالاستناد إلى مجموعة من العوامل المرتبطة ببرنامجه البحثي والأسس الفكرية التي يمتح منها، وبحجج مستمدة من بنية عمله في تمامه، وبفهم نظام الثنائيات وعمله وتوظيفه في السجال السوسيري، وطبيعة اللغة المعقدة والمتأرجحة بين النظام والفوضى، وطبيعة المناخ الفكري ومميزاته، وخصوصيات نشر أعماله، وتناسل التأويلات والقراءات المتدافعة العائدة إلى خلفيات فكرية وإيديولوجية.

وعلى إثر مسار تحليلي شمولي ونقدي، استطعنا أن نؤكد رأينا القاضي بأن سوسير كان وراء تأسيس كل المدارس اللسانية، وأن النزوع إلى القول بأنه أب البنيوية بسبب الأولوية التي يعطيها للسان على حساب الكلام مردها إلى الرغبة في تأهيل البحث العلمي باعتماد منهجيات ملائمة. إن التقسيم الإبستمولوجي بين اللسان والكلام الذي أحدثه سوسير هو عمل غير تفاضلي، وإنما هو عمل منهجي يؤسس لممارسة علمية تعالج وقائع اللسان والكلام معا، ويستشرف استواء النظام اللساني واستقراره وتصليبه، لأنه الشق الذي لم يحظ من قبل بالتركيز المطلوب والتحليل الشمولي.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

مراجع البحث:

- Arrivé, M. (2001). La sémiologie saussurienne, entre le CLG et la recherche sur la légende. Linx. Revue des linguistes de l'université Paris X Nanterre, (44), 13-27.
- Arrivé, M. (2005). Langage et psychanalyse, linguistique et inconscient (p. 270). Lambert-Lucas.
- Arrivé, M. (2010). Saussure: un langage sans voix?. Rivista italiana di filosofia del linguaggio, (3), 27-38.
- Arrivé, M. (2011). Un moment important dans l'histoire des sciences humaines: l'oeuvre de Ferdinand de Saussure.
- Arrivé, M. (2012). " Conscience de la langue" et inconscient chez Ferdinand de Saussure. La célibataire, (24), 107-124.
- Arrivé, M., & Normand, C. (1995). Saussure aujourd'hui. Linx. Revue des linguistes de l'université Paris X Nanterre, (7), 11-13.
- Arrivé, M., (1986), «Intertexte et intertextualité chez Ferdinand de Saussure», in, Theis, R. et Sieppe, Th., eds, Le plaisir de l'intertexte, Peter Lang, p. 11-36.
- Arrivé, M., 2007, À la recherche de Ferdinand de Saussure, Paris, PUF.
- Badir, S. (2016). La Passion Saussure. Approche rhétorique du thème saussurien en sciences du langage. Cem anos com Saussure, tomo 2, 77-102.
- Bari, N. (2015). Problèmes de linguistique: pour une herméneutique saussurienne. Revue Sciences, Langage et Communication Volume 1, n°1
- Blanchet, P., Calvet, L. J., & de Robillard, D. (2007). Un siècle après le Cours de Saussure: la linguistique en question. L'Harmattan.
- Bogdanka, pavelin Lesic, (2017) *Ferdinand de Saussure : le Cours de linguistique générale, source inépuisable d'idées et de concepts pour la recherche du langage.* Francontraste 3: Structuration, langage et au-delà. Tome 2: Sciences du langage, pp. 291-304. Revue des linguistes de l'université Paris X Nanterre, (7), 479-487 (https://journals.openedition.org/linx/1241).
- Bouquet, S. (2016). Ontologie et épistémologie de la linguistique dans les textes originaux de Ferdinand de Saussure. Entornos, 29 (2), 257-268.
- Bouquet, Simon (1998) Les deux paradigmes éditoriaux de la linguistique générale de Ferdinand de Saussure: Cahiers Ferdinand de Saussure, No. 51), pp. 187-202
- Buyssens, É. (1942). Les six linguistiques de F. de Saussure. Langues vivantes, 7.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- Buyssens, E., 1942, « Les six linguistiques de F. de Saussure », Revue des Langues Vivantes, n° 1, p. 15-23 et n° 2, p. 46-55.
- Calvet, L. J. (1975). Pour et contre Saussure: vers une linguistique sociale. Payot.
- Calvet, L. J. (2007). Pour une linguistique du désordre et de la complexité. Carnets d'atelier de sociolinguistique, 1, 1-67.
- Caputo, C. (2017). Saussure et la science du langage. Semiotica, 2017(217), 13-28.
- Chidichimo, A. (2014). Variantes Saussuriennes: écriture, recherche, style dans les manuscrits de Ferdinand de Saussure. Recherches sémiotiques/Semiotic Inquiry, 34(1-2-3), 113-136.
- Chidichimo, A. (2016) Saussure et la temporalité. Une recherche terminologique (1881–1891).
- Chidichimo, A. (2016, August). Saussure et la temporalité. In History of Linguistics 2014: Selected papers from the 13th International Conference on the History of the Language Sciences (ICHoLS XIII), Vila Real, Portugal, 25–29 August 2014 (Vol. 126, p. 191). John Benjamins Publishing Company.
- Chiss, J. L. (2005). Les linguistiques de la langue et du discours face à la littérature: Saussure et l'alternative de la théorie du langage. Langages, (3), 39-55.
- Chiss, J. L., & Puech, C. (1980). Quelle histoire de la linguistique? La «coupure» saussurienne. Histoire Épistémologie Langage, 2 (2), 75-85.
- Choi, Y. H. (1999). Le retour à Saussure. Cahiers Ferdinand de Saussure, (52), 89-98.
- Choi, Y. H. (1999). Le retour à Saussure. Cahiers Ferdinand de Saussure, (52), 89-98.
- Claudine Normand (1978) languel/parole: constitution et enjeu d'une opposition. Langages, No. 49, Saussure et la linguistique pré-saussurienne pp. 66-90
- Coseriu, E. (2004). Mon Saussure. R. Van Deyck, R. Sornicola et J. Kabatek (éds), La variabilité en langue. Langue parlée et langue écrite dans le présent et dans le passé (Studies in language 8), 17-24
- Coursil, J. (2003). Dualités intégrées le maître-argument saussurien. J.-P. Bronckart.
- De Saussure, F. (1969). Cours de linguistique générale: 3e ed. Payot. Saussure, F. M., Bouquet, S., & Weil, A. (2002). Écrits de linguistique générale. Gallimard.
- Depecker, L. (2005). Un autre Saussure. L'information grammaticale, 105(1), 7-14.
- Engler, Rudolf, 1968-1989, Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique
- Fehr, J. (1992). «La vie sémiologique de la langue" essaie d'une lecture des notes, inscrites de Saussure. Langages, (107), 73-83.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- Fehr, J. (1995). Boeuf, lac, ciel «—» concierge, chemise, lit. Linx. Revue des linguistes de l'université Paris X Nanterre, (7), 431-438
- Fehr, J. (1996). Saussure: cours, publications, manuscrits, lettres et documents. Les contours de l'œuvre posthume et ses rapports avec l'œuvre publiée. Histoire épistémologie langage, 18(2), 179-199.
- Garelli, J. (2003). Perplexité de Saussure. Archives de philosophie, 66(1), 89-117.
- Godel, Robert, 1957-1969, Les sources manuscrites du Cours de linguistique générale de Ferdinand de Saussure, Genève, Droz
- Henri Frei (1950) Saussure contre Saussure? Cahiers Ferdinand de Saussure, No. 9 (1950), pp. 7-28
- Jean-Louis Chiss and Christian Puech (1995) La linguistique structurale, du discours de fondation a l'emergence disciplinaire Langages, No. 120, Les savoirs de la langue : histoire et disciplinarité, pp. 106-126
- Kyheng, R. (2005). Langue et parole: dichotomie ou dualité.
- La Fauci, Nunzio (2005) Facettes de linguistique rationnelle. https://www.researchgate.net/publication/280704948
- Maniglier, P. (2005). Les choses du langage: de Saussure au structuralisme. Figures de la psychanalyse, (2), 27-44.
- Mapendano, David, (2016) La dualité comme notion 'fugs' en sciences mathématiques. International Journal of Innovation and Scientific Research
- Matsuzawa, K. (2012). Puissance de l'écriture fragmentaire et «cercle vicieux». Les manuscrits de De l'essence double du langage de Ferdinand de Saussure. Genesis. Manuscrits–Recherche–Invention, (35), 41-58.
- Métral, J. P. (1967). Remarques sur les grandes dichotomies saussuriennes. Bulletin CILA (Commission interuniversitaire suisse de linguistique appliquée) («Bulletin VALS-ASLA» depuis 1994), 3, 3-9.
- Mounin, G. (1969). Saussure ou le structuraliste sans le savoir. Seghers.
- Nicolas Bouleau. Du pluralisme dans la science. 2008. <halshs-00374576>
- Normand, C. (1978). Langue/parole: constitution et enjeu d'une opposition. Langages, (49), 66-90.
- Normand, C. (1995). La coupure saussurienne. Linx. Revue des linguistes de l'université Paris X Nanterre, (7), 219-231.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- Perrin, Laurent (2017) « Petit plaidoyer en faveur d'une linguistique de la parole inspirée de Saussure (Une analyse linguistique et neurophysiologique de la phrase comme forme énonciative) » Communication donnée dans l'atelier de Jacques Moeschler, La pragmatique et le paradigme saussurien: différence, convergence, complémentarité ou incompatibilité?, au colloque Le Cours de Linguistique Générale, 1916-2016. L'émergence, Genève, 9-13 janvier 2017
- Pétroff, A. J. (1999). La langue, L'ordre et le Désordre: Les analyses de Ferdinand de Saussure. Cahiers Ferdinand de Saussure, (52), 253-282.
- Pétroff, A. J. (2004). Saussure, la langue, l'ordre et le désordre. Editions L'Harmattan.
- Pétroff, André-Jean. (1995) «L'ordre et le désordre: l'interaction langue<=> parole», Linx, 7, 369-385.
- Puech, C. (2000). 7. Saussure: réception et héritage. L'héritage linguistique saussurien: Paris contre Genève. Modèles linguistiques, 21(41), 79-93
- Puech, C. (2008). Qu'est-ce que faire l'histoire du «récent»?. In Congrès Mondial de Linguistique Française (p. 094). EDP Sciences.
- Puech, C. (2013). L'esprit de Saussure: réception et héritage (l'héritage linguistique saussurien: Paris contre Genève). Dossiers d'HEL, 3, 1-9
- Rastier, F. (1991). La croisÃ© e des chemins. Situation de la linguistique. Dilbilim, 75-90.
- Rastier, F. (2004). Sciences de la culture et post-humanité. Texto [en ligne], disponible sur: http://www. Revue texto. Net/ Inedits/ Rastier/Rastier_Post-humanite. Html (consultée le 11/01/2007).
- Rastier, F. (2006). Saussure au futur. Ecrits retrouvés et nouvelles réceptions. La linguistique, 42(1), 3-18.
- Rastier, F. (2009). Saussure et les textes. De la philologie des textes saussuriens à la théorie saussurienne des textes. Texto (revue-texto. net, volume, XIV, n 3.
- Rastier, F. (2010). Saussure et la science des textes. J.-P. Bronckart, E. Bulea & C. Bota (éds), Le projet de Ferdinand de Saussure, Genève/Paris: Droz, 315-333.
- Rastier, F. (2012). Lire les textes de Saussure. Langages, (1), 7-20.
- Rastier, F. De l'essence double du langage et le renouveau du saussurisme, pp. 6-29 in: De l'essence double du langage, un projet révélateur Texto! -Textes et cultures, vol. XVIII (2013), n°3
- Redard, G. (1978). Deux Saussure?. Cahiers Ferdinand de Saussure, (32), 27-41.
- Ridoux, O., Viéville, T., & De Lecture, N. I. V. E. A. U. (2005). À propos de dualités en sciences et technologies de l'information et de la communication. Interstice.,

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- Saussure, F. de (2002). Écrits de linguistique générale. édité par Simon Bouquet et Rudolf Engler, Gallimard.
- Saussure, F. de, 1916-1922-1986, Cours de linguistique générale, Paris, Payot.
- Scheer Tobias, et Ségéral, Philippe. L'actualité des néogrammairiens. Journée d'étude sur l'Actualité des Néogrammairiens de la Société de Linguistique de Paris, Jan 2014, Paris, France. 2014. 〈hal-01372159〉
- Ségéral Philippe et Scheer Tobias 2014 L'actualité des néogrammairiens Société de Linguistique de Paris.
- Seriot, P. L'origine contradictoire de la notion de système: la genèse naturaliste du structuralisme pragois. Cahiers de l'ILSL, n° 5, 1994, pp. 19-56
- Sofia, E. (2012). Quelques problèmes philologiques posés par l'œuvre de Ferdinand de Saussure. Langages, (1), 35-50.
- Sofia, E. (2017). Système et systématicité chez Ferdinand de Saussure. Linx. Revue des linguistes de l'université Paris X Nanterre, (74-1), 129-148.
- Stancati, C. (2004). Saussure à l'ombre des philosophes. Quelle philosophie pour la linguistique générale?. Cahiers Ferdinand de Saussure, (57), 185-207.
- Stancati, C. (2009). Histoire et épistémologie des sciences du langage. Cahiers de l'ILSL, (26), 61-72.
- Stancati, C. (2017) Saussure : épistémologie interdisciplinaire et ontologie des relations sociales: Traj Ethos, 6(1), 43-57.
- Starobinsky, J. (1971): Les mots sous les mots. Les anagrammes de Ferdinand de Saussure. Paris: Gallimard.
- Tatsukawa, K. (1995). Louis Hjelmslev le véritable continuateur de Saussure. Linx. Revue des linguistes de l'université Paris X Nanterre, (7), 479-487.
- Tatsukawa, K. (1997). Sous le signe de Saussure: La correspondance L. Hjelmslev-E. Benveniste (1941-1949). Linx. Revue des linguistes de l'université Paris X Nanterre, (9), 129-141.
- Texto ! juillet 2008, vol. XVIII, n°3
- Toutain, A. G. (2009). Valeur et fonctionnement: nouveauté, enjeux et fécondité de la définition saussurienne de la langue, ou de l'actualité scientifique de Saussure. Letras et letras, 25(1), 177-198.
- Toutain, A. G. (2013). La rupture saussurienne: L'espace du langage (p394). Academia.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- Toutain, Anne-Gaëlle (2016) Communication donnée dans la session de Christian Puech, L'héritage de Saussure: Saussure, saussurismes, structuralismes, au colloque Le Cours de Linguistique Générale, 1916-2016. Le Devenir, Paris, 15-17 juin 2016. https://boris.unibe.ch/111167/
- Trabant, J. (2005). Faut-il défendre Saussure contre ses amateurs? Notes item sur l'étymologie saussurienne. Langages, (3), 111-124.
- Turpin, B. (1995). Discours, langue et parole dans les cours et les notes de linguistique générale de F. de Saussure. Cahiers Ferdinand de Saussure, 49, 251-266.
- URL:www.revue-texto. et/Saussure/ Sur_Saussure/Kyheng/ Kyheng_Langue. Html (дата обращения: 01.03. 2012).
- Verleyen, S. (2008). Les avatars d'une dichotomie saussurienne: synchronie et diachronie dans les théories modernes du changement linguistique. Travaux de linguistique, (2), 133-153.
- Vilkou-Poustovaïa, I. (2003). À propos de Ferdinand de Saussure. La linguistique, 39(1), 151-156.
- Wunderli, P. (1982). Problèmes et résultats de la recherche saussurienne. Cahiers Ferdinand de Saussure, (36), 119-137.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص43-75)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

المقاربات الفيلولوجية لنص دروس في اللسانيات

أ.د. مصطفى غلفان
باحث من المغرب
*m_ghelfan*e@yahoo.fr

الملخص:

نعرض في هذه الدراسة للمنعطف التاريخي الذي عرفه نص سوسير دروس في اللسانيات العامة من خلال أبرز المقاربات الفيلولوجية التي تناولت بالتحليل والنقد مصادره التاريخية وفق المخطوطات التي أصبحت متاحة. ومعلوم أن هذا الكتاب المنسوب لفيرديناند دو سوسير (*1857-1913*) الصادر سنة *1916* بإشراف شارل بالي *Charles Bally* وألبرت سيشهاي *Albert Sechehaye* ظل المصدر الوحيد الذي يمثل فكر سوسير اللساني وما بني عليه من تصورات حديثة في اللسانيات خاصة ما يعرف باللسانيات البنيوية. ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين، بدأت العناية مُجدداً بنص دروس في اللسانيات العامة الذي كان موضوع العديد من القراءات الفيلولوجية كان منطلقها العمل الذي أصدره روبرت غودل *Robert Godel 1902-1984* سنة *1957*، سنة بعنوان الـمصادر الـمخطوطة لدروس في اللسانيات العامة لفيردينان دو سوسير الذي كشف فيه لأول مرة تفاصيل إخراج نص دروس سنة *1916* ولاسيما تدخل الناشرين في بناء نص سوسير وتكوين فقراته وفصوله. وتبع غودل في عمله الفيلولوجي تلميذه أنغلر *Rudolf Engler 2003-1930* الذي قدم ما بين *1968*- و*1974* طبعة نقدية لنص دروس غير مسبوقة وفيها عرض لما دونه طلبة سوسير في كراساتهم وكذلك فعل وطوليو دو مورو *2016-1932* *Tullio De Mauro* في نشرته النقدية منذ *1972* وكوماتسو وغيرهم الذين فتحوا بابا جديدا لولوج لسانيات سوسير ولوجا مباشرا يختلف كثيرا عما هو وارد في النسخة الرائجة لنص دو سوسير..

الكلمات المفتاحية:

نص سوسير- المقاربات الفيلولوجية- دروس في اللسانيات العامة- شارل بالي- ألبرت سيشهاي- اللسانيات البنيوية- روبرت غودل- رودولف أنغلر.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

Philological approaches to Saussure's Course in general linguistics

Pr. Mostafa Ghelfane
m_ghelfane@yahoo.fr

***Abstract*:**

This The Arabic linguistic literature has known in its history two distinct types of scientific works: authentic authorship attributed explicitly to specific authors, and works translated from foreign languages to Arabic.

There is no doubt that each of these two types has its own criteria governing its value, quality and the scientific context is still in need of more serious achievements in both directions.

This paper aims to reveal a hybrid and dangerous type of works that has begun to invade the field of Arabic linguistics characterized by deliberate and planned mixing of original authorship and translation. This has produced for us what might be called: "an authorship that is more like a translation, or a translation which is more like an authorship".

Salah Fadl's book: "Stylistics: its Principles and Practice/ Ilm el-Uslob: Mabadi'uhu wa Ijra'atuhu" *and also in most of his other works are a well-represented model of this hybrid genre. This paper is an attempt to unveil elusive techniques he commits to achieve his scientifically and ethically illegal goal.*

***Keywords*:**

Translation, original authorship, hybrid authorship, critical reviews.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

كتاب

اللساني linguist

مقدمة

كتاب دروس في اللسانيات العامة المنسوب لفرديناند دو سوسير (1857-1913) الصادر سنة 1916 بإشراف شارل بالي *Bally* وألبرت سيشهاي *Ch. A. Sechehaye* هو المصدر الوحيد الذي يمثل فكر سوسير اللساني وما بني عليه من تصورات حديثة في اللسانيات خاصة ما أصبح يعرف باللسانيات البنيوية التي وضع أسسها التصورية العامة انطلاقا من هذا النص نفسه لسانيو حلقة براغ ومن أبرزهم تروبتسكوي *N. Troubetskoy* وياكبسون *R. Jakobson* ويلمسليف *L. Hjelmslev* مؤسس حلقة كوبنهاجن المعروفة بالغلوسيماتيك.

ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين، بدأت العناية مُجدداً بنص دروس في اللسانيات العامة الذي كان موضوع العديد من القراءات؛ بعضها فيلولوجي، وبعضها لساني، وبعضها أدبي، وبعضها فلسفي، وبعضها إبستيمولوجي، وبعضها تاريخي وسياسي[1]. وتنامى الاهتمام بسوسير بصفته مصدر منهجية فريدة ومتميزة تجاوزت حدود حقل اللسانيات لتعانق مَجالات أخرى من العلوم الإنْسانية كالأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس والتحليل الأدبي والنقدي وغيرها. وتأسست هيئات ومؤسسات أكاديـمية ومراكز علمية أبرزها حلقة فرديناند دو سوسير *Cercle F. de Saussure* التي أنشئت سنة 1957. وقامت لهذه الغاية في أنْحاء مُخْتلفة من أوروبا حركة لغوية دؤوبة تُعنى بلسانيات سوسير وفكره ومساره العلمي وحياته الشخصية وهي الحركة التي تُعرف اليوم بِاسْم اللسانيات السوسيرية الجديدة *La linguistique néo-saussurienne*. وفي سياق هذه العناية الـمتزايدة بلسانيات سوسير وبإرثه الفكري عامة، نَجد اليوم دارسين لا مناص للـمهتم بسوسير من الاطلاع على أبحاثهم، ومن أشْهرهم: روبير غودل 1902-1984 *R.Godel* ورودولف أنغلر

1. رُويْ هاريس، سوسير ومؤولوه، (قيد الطبع).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

1930- 2003 *R.Engler* وطوليو دو مورو 1932-2016 *T. De Mauro* وهنري فراي 1899- 1980 *H.Frei* ورونيه أماكر (*R. Amacker*) وغيرهم.

وتوسّعت دائرة الـمهتمين بسوسير متجاوزة حدود سويسرا موطنه الأصلي لتجد لها أتباعاً ومُريدين في جُل البلدان الأوروبية لاسيما في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وإسبانيا وروسيا وصولاً إلى اليابان وكوريا وكندا والأرجنتين والبرازيل وكولومبيا وغيرها[1].

والذي لا خلاف حوله اليوم، أنَّ فكر سوسير ما يزال مَرْجِعاً محورياً لفَهْم الإشكالات الكبرى المطروحة منذ نِهاية القرن التاسع عشر في الحقول الـمعرفية التي تهتم بقضايا اللغة وفي مقدمتها اللسانيات والسيميولوجيا وفلسفة اللغة وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها. "ويظل سوسير بين اللسانيين بلا شك اليوم ليس في فرنسا وسويسرا وأوروبا فقط؛ أكثر من يُقْرأ ويُترجم ويُسْتشْهد به، والكُتب التي تناولته تُعدُّ بالعشرات والـمقالات بالآلاف" (أريفيه، ص34). وما تزال لسانيات سوسير حتى أيامنا موضوع نقاش وجدل بين مؤيدين ومعارضين لفكر الرجل وللمنهجية التي انبثقت عن لسانياته ونقصد بِها المنهجية البنيوية. وما تزال قيمة نظريته ضمن لسانيات القرن العشرين والسياق التاريخي الذي ظهر فيه مُؤلَّفه الشهير دروس في اللسانيات العامة ونصوصه الأخرى التي ظهرت لاحقا محْور بحث وتأمل العديد من الدراسات العالمية التي تشق طريقها إلى الـمطابع والندوات الدولية المنعقدة هنا وهناك. إنه سوسير الذي أدهش الناس حياً وشغلهم ميتاً.

ولا يغيب عن ناظر كل من يعود إلى أدبيات تلقي سوسير منذ ظهور مصنفه المأثور والقراءات التي طالت تصوراته اللسانية حقيقة جوهرية تتمثَّل في أنَّ كلَّ ما يتعلَّق بالرجل وبلسانياته يعُجُّ بالتَّناقض والغُموض وسُوء الفهْم ويدْفع إلى التَّساؤل القَلِق، سواء تعلق الأمر بتصوراته أو بِصياغتها أو بتأويلها أو بالاستدلال عليها فضْلاً عن مظاهِر التعارض الصَّارِخ بين تعدد واجهاته الفكرية: سوسير عالِم النَّحْو الـمُقارِن، وسوسير عالِم اللسانيات، وسوسير الباحِث في الجِناس التَّصحيفي، وسوسير مُحلِّل الحكاية الخرافية والأسْطورة، وربَّما وجوه أخْرى، ناهيك عن مُفارقات مواقف سوسير نفْسه وتطور تصوراته أثناء إلقاء دروس اللسانيات طيلة خمس سنوات. وأخيراً نَجد الاختلاف بين نص دروس في

[1]. نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر أسْماء أبرز الباحثين المهتمين بلسانيات سوسير: فرانسوا راستي F. Rastier وسيمون بوكيه S. Bouquet وگابرييل بيركينيو G. Bergounioux فرانسواز گاديت F. Gadet وكلودين نورماند C. Normand وسيش Chiss وكوسات Caussat وميشال أريفيه M. Arrivé وسيمون رفائيل Simone Raffaele وجوهان فيهر J. Fehr وبيتر فونديرلي P.Wunderlli ولودفيش ياجر L.Jäger ودانيال كمبارارا D. Gambarara وروي هاريس R. Harris وكارول ساندرس Carol Sanders وكلوديا مايجا كويخانو C. Meija Quijano. أما الأسْماء الجديدة التي دخلت مؤخراً حلبة العناية والاهتمام بسوسير فيضيق المقام بذكرها.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

اللسانيات العامة الذي أخرجه بالي وسيشهاي (*Gadet, p119*). والدروس نفسها كما هي واردة في النصوص المخطوطة للدروس أو ما يعرف -تبعاً لعبارة غودل - بالـمصادر الـمخطوطة أو الـمصادر الأصول.

1. المصادر المخطوطة لنص دروس

تعد سنة 1957، سنة مناقشة أطروحة روبرت غودل الـمصادر الـمخطوطة لدروس في اللسانيات العامة لفرديناند دو سوسير *Les sources manuscrites du Cours de Linguistique Générale de Ferdinand de Saussure* بداية مرحلة جديدة في التعامل مع سوسير عامة ونص دروس في اللسانيات العامة المنسوب إليه بصفة خاصة. وغودل من مؤسسي حلقة فرديناند دو سوسير *Le cercle de Ferdinand de Saussure* سنة 1957 التي أسند إليها-إضافة إلى مهام أخرى الإشراف على الدورية الدولية الـشهيرة كراسات فرديناند دو سوسير *Cahiers Ferdinand de Saussure* التي أنشئت في الأربعينيات من القرن العشرين والـمتخصصة في فكر سوسير اللغوي. ويعد غودل أول مُـحقق لنصوص سوسير الـمخطوطة، وهو أول من استعمل العبارة الفنية الـمصادر الـمخطوطة *Les sources manuscrites* للإشارة إلى مسودات الـنصوص الأصول التي اعتمدها النّاشران بالي وسيشهاي قصد إخراج نص دروس في اللسانيات العامة إلى حيز الوجود. كما قام غودل قبل 1957 بنشر نصوص أخرى لسوسير نذكر منها:

- مَجموعة نصوص قصيرة تعود إلى الفترة الـممتدة ما بين 1890-1894 أسّماها غودل تدوينات سوسير غير منشورة حول اللسانيات العامة *Godel, (1954), pp. 49-71*

- مقدِّمة دروس سوسير في اللسانيات أثناء العام الثاني 1908-1909؛ نقلاً عن كراسات بعض الطلبة، وهي الـمُقدمة التي أهملت كلياً في طبعة 1916، *R.Godel, (1957), pp. 6-103*.

ونشر غودل أيضاً في الدورية الشهيرة كراسات فرديناند دو سوسير *Cahiers de F. de Saussure*. نصوصاً أخرى لسوسير، ومن ثمة شكلت أعماله الفيلولوجية منعطفا حاسما في تلقي لسانيات سوسير التي أصبح التعرف عليها مُمكناً بِمعزل عن نص دروس في نسخته الشائعة التي أصدرها بالي وزميله سيشهاي. وبظهور أبْحاث غودل الفيلولوجية ولاسيما دراسته المصادر المخطوطة (1957) دخل نص دروس في اللسانيات العامة مرحلة جديدة قِوامها الفحص النقدي الدقيق لمادة

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

النصوص التي تشكل أقسامه وفصوله وفقراته. وحدَّد غودل لتحاليله الفيلولوجية جملة من الأهْداف أبْرزها:

- تقديم نبذة موجزة عن الـمصادر التي اعتمدها الـناشران في إخراج طبعة 1916،

- ضبط المصادر الأصول لنص دروس في اللسانيات العامة،

- تحديد دور الـناشريْن بالي وسيشهاي في بِناء نسيج أقسام نص دروس وفُصوله وفقراته وتوضيح مستوى تدخلهما في إعادة بناء تصورات سوسير وتأويلها،

- الإشارة إلى الـمصادر والـنصوص الـمخطوطة التي لم يعتمدها الناشران،

- دراسة مضامين الـمصادر الـمخطوطة والـمقارنة بينها لاستخلاص مراحل تطور فكر سوسير وتنوع أسلوب تعبيره عن كل مرحلة على حدة شكلاً ومضموناً،

- تحليل أبرز الـمبادئ والـمفاهيم التي تُمثل أصالة إسهام سوسير في دراسة اللغة، والإشكالات الـمرتبطة بِها، وخاصة الـمفاهيم الواردة في مُقدِّمة نص دروس في اللسانيات العامة لاسيما في الفصلين الثالث والخامس والقسمين الأول والثاني منه[1].

ولم يكتف غودل بالرجوع إلى الـمصادر الـمخطوطة التي اعتمدها بالي وسيشهاي في نشرتهما حسب ما ذكراه في تصديرهما كتاب دروس، وهي الـمصادر المَحفوظة في الـمكتبة العمومية والجامعية بِجنيف[2]؛ بل رجع أيضاً إلى مصادر أخرى لم يرد لها أي ذكر في طبعة 1916. ومعلوم أن الناشرين اعتمدا في إخراج نص دروس على الـمصادر الأصول الـمتمثلة في «الـملاحظات للعامين الأول والثاني من السادة لوي كاي[3] *Louis Caille* وليوبولد كوتيِر *Léopold Gautier* وبول ريكار *Paul Regard* وألبرت ريدلنجر *Albert Riedlinger* وللعام الثالث وهو الأهم من السيدين جورج ديكالير *George Degallier* وفرانسيس جوزيف *Joseph Francis*. كما قدَّم لنا السيد لوي بروتش *Louis Brütsch* ملاحظات تَخص موضوعاً معيناً»[4]. وبالمقابل قام عمل

[1]. Robert Godel, (1959), p. 9.

[2]. انظر التوصيف المفصل لهذه المصادر المخطوطة في:

Robert Godel, (1959), p.13-19.

[3].كتبنا أسماء الأعلام باللغة الفرنسية تسهيلاً للقراءة. ويبدو أن المترجم نَسي ذكْر اسم السيدة سيشهاي Mme Sechehaye التي تابعت بدورها دروس سوسير.

[4]. فيردنان دو سوسور، (1985) علم اللغة العام، بغداد، دار آفاق عربية (الكتاب رقم 3)، ص5، (أثبتنا اسم سوسير وأسماء الأعلام بالعربية كما هي واردة في الترجمة العربية العراقية).

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص43-75)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

غودل النقدي لمصادر طبعة 1916 على ما أصبح متاحاً[1] في مكتبة جنيف العمومية من مصادر مَخطوطة منسوبة إلى سوسير أو تتعلق مباشرة بدروسه. فقد تلقَّت هذه المكتبة من أسرة سوسير رصيداً مهماً من الـمخطوطات الجديدة سنة 1955؛ فضلاً عمَّا سلَّمته في نونبر من السنة نفْسها السيدةُ بالي إلى إدارة الـمكتبة نفسها من مصادر مَخطوطة تتعلق بدروس سوسير ونصوص أخَرى كانت في حوزة زوجها[2]. وحسب غودل، فإن المصادر الـمخطوطة الـمتعلِّقة بنص دروس ترجع في معظمها إلى الطلبة الذين استمعوا مباشرة إلى سوسير ذكر غودل أسْماءهم وعدد كراساتهم وعدد صفحاتها حسب أعوام الدروس[3]: غير أن مصادر الناشرين لم تتجاوز في واقع الأمر نطاق كراسات ثلاثة طلبة هم: فرانسيس جوزيف *Francis Joseph* وجورج دوگاليه[4] *G. Degallier* وهلين دو مارغريت بودي *H. de Margueritte Burdet* التي ستصبح لاحقا زوجة سيشهاي. وبالرغم من كل هذا، لم يشكِّك غودل في موضوعية ونزاهة صنيع بالي وسيشهاي وأمانتهما العلمية إزاء تعاليم سوسير، بل أشاد بدْورهما التاريخي والحاسِم في نشر تعاليمه. ونقدم مثالا لما قام به غودل في التعامل مع المصادر المخطوطة:

INTRODUCTION.

Ch. I — Coup d'œil sur l'histoire de la linguistique
CLG p. 13-19
III **95** (D 1-3)
II **85-86** (R 124-136, 140-150, 159-162)
[II **50** (R 2)] : dernière phrase du chapitre.

Ch. II — Matière et tâche de la linguistique; ses rapports avec les sciences connexes
CLG p. 20-22
III **95** (D 3-4).

Ch. III — Objet de la linguistique
§ 1. La langue; sa définition.
CLG p. 23-27
III **96** (D 5-6); **111** (D 172-174, 182)
II **50** (R 3-12)
[N 9.1 = *Extr.* 9] : résumé al. 2 p. 23
[N 21 p. 4] : utilisé p. 27 al. 2 (26-27).
§ 2. Place de la langue dans les faits de langage.
CLG p. 27-33 (27-32)
III **96** (D 6); **112** (D 174-181)
[I **19** (R 2.25)] : utilisé p. 31, al. 3 (30, al. 6).
§ 3. Place de la langue parmi les faits humains. La sémiologie.
CLG p. 33-36 (32-35)
III **96** (D 7-8); 113 (D 181-182)
II **53-54** (R 12-23).

[1]. أُشار دو مورو De Mauro وهو من أكبر محققي نصوص دروس إلى أن بعض الـمصادر المخطوطة التي اعتمدها بالي وزميله لم يُحْتفَظ بِها في المكتبة العمومية بجنيف؛ بل إنَّ بعضاً منها لم يُعرف إلى اليوم مصيره. فإنغلر لم يَعْثر على أي أثَر لدفاتر بول روگارد. انظر:.F.de Saussure, CLG/De Mauro(1974), p. 405

[2]. Godel, (1959), p.10

[3]. R.Godel (1959), p.15.

[4]. Daniele Gambarara, (2005), p. 32.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

يُحيل السَطر الأول على الفصل وعنوانه في طبعة 1916 ثم رقم الصفحة. مثلاً الباب الأول (*Ch I*): لـمحة عن تاريخ اللسانيات، ص13-19. وتشير الأسطر ما بعدها إلى الـمصادر الـمخطوطة التي اعتمدها الناشران. أما الأرقام الرومانية I وII و III فتشير إلى دروس العام الأول أو دروس العام الثاني أو دروس العام الثالث، بينما يحيل الحرفان اللاتينيان *D* أو R إلى الحرفين الأولين من أسّماء طلبة سوسير، هما دوگاليه *Dugallier* وريدلنجر*Riedlinger*. وأخيراً تشير الأرقام إلى صفحات كراسات الطلبة. ونستنتج من النص السّابق أن مضمون الباب الـمعنون "لـمحة عن تاريخ اللسانيات" في نص دروس (1916)، [ص13-19] بني على أساس الـتدوينات التي أخذت من كراسات الطالبين دوگاليه أثناء دروس العام الثالث، وتدوينات ريدلنجر أثناء العام الثاني.

ولكي تكتمل تقاطيع خريطة رصْد عتبات تدَخُّل بالي وسيشهاي في بناء نص دروس وتركيبه، وقَف غودل عند أهم خطوة في تدخلهما إن لم تكن الأخطر والـمتعلقة بإضافتهما عدداً من الفقرات والعبارات. لا يتعلق الأمر بزيادة بعض الروابط أو الأدوات التي من شأنِها أن تَـقوي أسْر فقرات النص أو تربط بينها أو تُحيل إلى أجزاء أخرى من النص. فهذه الزيادات غالباً ما يكون اللجوء إلى استعمالها ضرورة واجبة لكي يستقيم النص وتتماسك أطرافه كوحدة عضوية على نحو ما هو متداول في تحقيق النصوص. أما الإضافة التي يتحدث عنها الـمهتمون بتوثيق نص دروس سوسير فيلولوجياً فتتمثل في زيادة الناشرين فقرات كاملة قد تطول أو تقصر، وذلك إما لتكملة مضمون فقرة سابقة أو توضيحها وإما لزيادة مضمون غير موجود من ذي قبل في الأصل أو ما شابه ذلك. وتكْمن أهمية الإضافات التي استخرجها غودل وضبط مواقعها في نص دروس بدقة في أنها ربما تكون قد أسهمت بنسب متفاوتة في تأويل تصورات سوسير بصورة أخرى أو في اتجاه آخر قد لا يكون بالضرورة ما قصد إليه سوسير أصلاً. ونذكر من هذه الإضافات على سبيل التمثيل لا الحصر، مُحيلين على مواضعها[1]:

---

[1]. Robert Godel,(1959) p. 115-129.
حتى تسهل على القارئ العودة إلى الأمثلة الـمستشهد بها، نُحيل على صفحات النسختين الفرنسية (ف) والعربية (ع) استناداً إلى الترجمة التونسية.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص43-75)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

دروس	موضوع الفقرة	نص الفقرة المضافة
ص: ف 24 / ع 28	لغة الأطفال ( )	"كأن نبدأ على سبيل المثال بدراسة لغة الأطفال. كلا إنه لرأي خاطئ كل الخطإ أن نعتقد أن نعتقد قضية البداية في الكلام تختلف عن أوضاعه الدائمة إذ نحن لا نخرج عند ذلك من الحلقة المفرغة.
ف38، ع41	تعلم اللغة الأم	" إننا إنما نتعلم لغتنا الأم بفضل الاستماع إلى الغير ولا يتأتى لها أن تستمر في أدمغتنا إلا بعد عدد لا يحصى من التجارب".
ف 36 -37 ع 40-41	التحولات الأصواتية	وقد يعترض معترض عن هذا الفصل بين التصويت باللسان مستدلاً بأن التغيرات الصوتية واعتلال الأصوات وإن كان من نصيب اللفظ فإنهما يحدثان مع ذلك تأثيراً بعيد المدى في مصير اللسان نفسه ؛ فنرى هل يحق لنا أن نزعم أن للسان وجوداً عن هذه الظواهر الضمنية؟ الجواب عن هذا السؤال يكون بنعم لأن هذه الظواهر لا تنال من الكلمات إلا وجهها المادي هي أصابت اللسان من حيث هو نسق من العلامات فلا يتم ذلك إلا بصورة غير مباشرة أي عن طريق التأويل الجديد الذي ينجم عن ذلك .بيد أن هذا التحول في التأويل لا يمت إلى الأصوات بأية صلة".

ولـمّا كان عدد الإضافات التي أدخلها الـناشران في الفصل الـمتعلق باعتباطية العلامة وبِـخَطِّيتها *Linéarité* كثيرة، فإن غودل وضع لها ملحقا قابل فيه فقرات طبعة 1916 بِنظيراتها مأخوذة من كراسات الطلبة[1].

- ف115، ع127: ليس في الـمصادر وجود لأي مقارنة بين علاقة الدال بالـمدلول والعلاقة بين العمل والأجرة.

[1].Robert Godel, (1959), pp. 122-129.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

-ف130، ع 142، نجد حديثا عن القانون الاجتماعي بينما يتحدث سوسير حسب غودل عن لفظ "قانون" بصفة عامة وليس القانون الاجتماعي كما في نص دروس[1].

ف 132- 134، ع144-145، يشير غودل إلى أنَّ الاستدلال الـمتعلق بالوقائع الدلالية والتحولات التركيبية والصرفية والتغييرات الصوتية هي من وضع الـمحققين[2].

-ف150-151 ع167-168 التعليق على الـمثال "سيداتي" المتعلق بأننا لا نعيد الكلام مرتين بالطريقة نفسها، هو من وضع الناشرين[3].

وعرض غودل على امتداد صفحات عدة من دراسته السالفة الذكر كل الفقرات التي عمل بالي وسيشهاي على إدراجها ضمن دروس بِمهارة عالية. وقد أحْصينا إضافاتِهما بصرف النظر عن نسبة طولها أو قصرها فوجدنا، أنَّها وصلت إلى أربع وأربعين (44) إضافة.

2. الطبعة النقدية لنص دروس

لا يَختلف السياق الـمعرفي الذي ظهر فيه عمل رودولف أنغلر[4] 1930-2003 *Rudolf Engler* كثيراً عن السياق الذي ظهر فيه مؤلف أستاذه غودل. فقد حرص أنغلر على تَجديد الإشارة إلى أنَّ "طبعته النقدية هي تركيب *synthèse* لدروس في اللسانيات العامة وليست أطروحة نقيضة *antithèse* لها وللمصادر الـمخطوطة[5] (في إشارة إلى عمل غودل الصادر سنة 1957)؛ مشيداً هو الآخر بدَوْر الناشرين بالي وسيشهاي ومؤكداً أنَّهما اعتمدا عمليا على الـمصادر التي كانت متاحة لهما وقتئذ. وحذَّر أنغلر من مغبّة الشَّك في نية الناشريْن إزاء فكر أستاذهما وزميلهما؛ أو إنكار جهدهما وفضلهما في الحفاظ على إرثه؛ وهما اللذان كانا الأقرب إليه واحتفظا بالعديد من الـمحادثات معه[6]. ويلفت أنغلر انتباه القارئ إلى غموض عبارة طبعة نقدية *Edition critique* الواردة في العنوان الفرعي لـمؤلفه الضخم: فرديناند دو سوسير دروس في اللسانيات العامة. طبعة

---

[1]. Ibid, p.116.

[2]. Ibid, p.116.

[3]. ألا ترى أنك إذا سَمعت مُحاضراً يعيد كلمة Messieurs (سادتي) مرات عديدة خُيِّل أنك في كل مرة تسمع نفس العبارة والحال أنَّ اختلاف سرعة التلفظ بها وتنوع النغمة فيها يضفيان عليها من سياق إلى سياق فوارق صوتية ذاتِ بال لها من الأهمية ما تلك الفوارق التي تصلح في مواضع أخرى للتمييز بين كلمات مختلفة. (...) رغم أنه لا وجود كذلك لاتِّحاد مطلق من وجهة النظر الدلالية بين ما تفيده كلمة سادتي من فقرة إلى أخرى من خطبة خطيبنا تماما كما يُمكن للكلمة الواحدة أنْ تدُل على معاني مُختلفة شيئاً ما بدون أن ينال ذلك كثيراً من هويتها أي من كونها كلمة واحدة". دروس في الألسنية العامة، ص150-151) [تحقيق محمد الشاوش ومحمد عجينة].

[4]. F. de Saussure, CLG/Engler, (1968-1974).

[5]. F. de Saussure, CLG/Engler, Préface, p. IX.

[6]. Ibid, p. XI.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

نقدية. وتعني كلمة "نقد" الـمستعملة في الدراسات الفيلولوجية عادة أنَّ "النَّص قد تمّ التَّثَبّت منه وتصحيحه وتذييله بِحواشي من التعليقات". أما عبارة طبعة نقدية عنده فتحيل على الـمنظور النَّقدي الفيلولوجي للمَتْن السوسيري على أساس الـمُقابلة التامة بين نصوصه الـمُتنوعة. ونبّه أنغلر على أنَّ طبعته النقدية لا تروم تصحيح أخطاء طبعة 1916 وهفواتها. وسيكون من الغرور من ناحية أولى إنْكارِ قيمة العَمل الرائع الذي قام به الناشران؛ "فلم يكن ثمَّة أحدٌ غيرهما مُهيأً لإنْجازه على أحْسن ما يُرام". ويتَعذَّر كلياً من ناحية ثانية على أيٍ كان أنْ يقوم بصياغة فكر سوسير في صورته النِّهائية". ويخلص أنغلر إلى أنَّ هذه الاعتبارات الـموضوعية تجعل هدف طبعته النقدية مُـحدَّداً مُسبقَاً (...)، بِحيث يَجب أنْ لا تكون الدراسة النقدية نقداً مباشراً لنصِ دروس في اللسانيات العامة؛ وإنَّما ينْبَغي أنْ تقوم على مُقابلته بِمصادره الأصول[1]. لكنَّ أنغلر قدَّم في الوقت ذاته أدلَّة نصية مَلموسة تتيح للقارئ إمكانية التَّعرف بيسر على مستوى تدخُّل النَّاشرين من خلال لمساتهما الشخصية التي بصَما بِها صياغة تصورات سوسير الواردة في نص دروس في اللسانيات العامة.

ينطلق أنغلر في تَحقيقه الفيلولوجي من الفصل الواضح بين نص دروس والـتدوينات التي دوّنها الطلبة في كراساتهم بحيث تمّ تقديـم مجمل النصوص إلى القارئ كنصوص معزولة ومستقلة بعضها عن بعض. وكان هدف أنغلر مزْدوجاً:

- الكشف عن درجة قرب نص دروس أو ابتعاده عن مصادره الأصول،
- تبيان مواضع تدخل الناشريْن في بناء نص دروس.

وعلى العكس من سلفه غودل، لم يكن أنغلر في حاجة إلى كتابة أي تعليق على ما قدَّمه الناشران في إخراج نص دروس؛ إذ جاءت الهندسة التي اتبعها في عرض الـمصادر الأصول ناطقة بنفسها وشاهدة بالملموس على درجة اتصال نص دروس بمصادره الأصلية أو ابتعاده عنها. فقد جاءت الطبعة النقدية في صيغة صفحتين متقابلتين مُقسّمتين إلى ستة أعمدة. يُعيدُ العمود الأوّل نصِّ دروس في اللسانيات العامة وفق صفحات الطبعتين الثانية والثالثة (1922 و1931). وتعرض الأعمدة الثَّانية والثَّالثة والرّابعة نص تدوينات كراسات الطلبة التي اعتمدها بالي وسيشهاي[2]. وأخيراً يُقدِّم العمودان الخامس والسادس نصوصاً كانت مَجهولة إبّان إعْداد طبعة 1916. ويتعلق الأمْر بالنُّصوص التي جمعها غودل في نِهاية الخمسينيات من القَرن الـماضي[3] وأبرزها ما تضمنه العمود الخامس من تدوينات منقولة مباشرة عن كراسات الطالب قسطنطين *Constantin* التي وإن

---

[1]. Ibid, p. X.

[2]. للتذكير اعتمد بالي وزميله أساساً دفاتر ثلاثة طلبة هم: فرانسيس جوزيف Francis Joseph و(السيدة سيشهاي) Helene de Margueritte Burdet وجورج دوگاليه Georges Degallier انظر: Daniele Gambarara, (2005), p. 32.

[3]. Rudolf Engler, (1968.1974), p. X.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص43-75)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

كانت تُعد من أشْمل الـمصادر الـمخطوطة[1] لدروس سوسير، فإنه لم يعتمدها لا الناشران ولا غودل نفسه. ويعرض العمود السادس نصوص سوسير نفسه سواء تلك التي لها علاقة مباشرة بدروسه في اللسانيات أو بتأملاته في اللغة إجمالاً.

وقد بذل أنغلر جُهداً فيلولوجياً متميزاً وهو يُقَدِّم مُباشرة مُجمل المصادر الأصول لنص سوسير التي تَمُدُّ القارئ بِمعلومات مهمة وتوضيحات دقيقة تسمح بالاطلاع الإجمالي ليس على نص دروس وحسب، وإنـّما على تدوينات الطلبة برمّتها وكذا ملحوظات سوسير الـمكتوبة بخط يده *Autographes* ما نشر منها وما لم ينشر منها بعد. وتتمثل الغاية النهائية- لعمل أنغلر في ضبْط مواضع الاختلاف بين دروس والـمصادر الأصول ضبطاً موضوعيا سواء فيما يتعلّق بعرض مضامين جديدة لم ترد في طبعة 1916، أو رصد الاختلاف بين الكلمات الـمستعملة أو تراكيب الجُمل الواردة في تدوينات الطلبة مقارنة بنص دروس في اللسانيات العامة.

ومن مُميزات الجهد الفيلولوجي الذي قام به أنغلر نذكرَ:

أ- تحديد هوية الـمصادر الـمعتمدة في طبعة 1916 تحديداً دقيقاً بضبط أسـّماء أصحاب الكراسات الـمنقول عنهم وتعيين صفحاتِها وترتيبها ضمن التَّسلسل الزَّماني لدروس الأعوام الثَّلاثة؛ وتَحديد ما إذا كان مضمون الـتدوينات ينتمي إلى دروس العام الأول أم إلى دروس العام الثاني أم دروس العام الثالث. ويتيح التوثيق الَّذي قام به أنغلر بِمهارة فائقة معْرفةَ حجْم عمليات التوسع أو التَّكثيف أو التركيز أو الاختصار أو الحذف الَّتي أجراها الـمُحقِّقان على نصوص تدوينات الطلبة.

ب- بسْط أجزاء من النصوص الـمصادر التي أُغفلت وكان يتعيَّن العودة إليها واعتمادها في إخراج دروس في اللسانيات العامة سنة 1916.

ج- التَّنصيص على ما ورد من تطابق عبارة ولفظاً بين نص دروس ومصادره الأصول. والأمثلة في هذا الباب كثيرة يُـمْكن التَّعرّف عليها بسُهولة في الأعمدة التي وردت فيها من خلال تأشير أنغلر عليها بالبند الغليظ.

د- التنبيه على ما أضافه الناشران من فقرات وجمل لم يتمكن أنغلر من التَّعرف على مصادرها الأصول أو توثيقها توثيقاً مؤكدا.

ومن الاجتهادات الفيلولوجية البارزة قيَام أنغلر بتجزيء نصِّ دروس إلى مقطوعات نصية *Fragments* مرقَّمة من 1 إلى 3281[2] تقوم كل واحدة منها على فكرة أساسية مستقلة وليس

---

[1]. René Amacker, (1975).

[2]. Rudolf Engler,(1968/1974) , préface, p. XI.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص43-75)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

بالضرورة على أساس الجملة الواحدة. وقابل أنغلر مَجموع الـمقاطع بـِمصادرها الأصول التي رُقمت هي الأخرى حتى يستطيع القارئ-إن هو رغب في ذلك- قراءتَها متسلسلةً باستقلال بعضها عن بعض.

ويتيح التَّرقيم الـمُتَسلِسل لفقرات دروس ولـتدوينات الطلبة رصد الاختلافات الدَّاخلية بينهما من ناحية أولى؛ و بين تدوينات الطلبة فيما بينها من ناحية ثانية، ومقارنة مُختلف مُكوِّناتها مُقارنة إجمالية مباشِرَة. وأخيراً يُساعد ترقيمُ تدوينات الطلبة المُتسلسلُ القارئَ على إعادة تكَوين نصِّ خطاب سوسيرَ في صورته الأولية.

وتوضح الصفحة رقم 13 الـمنقولة عن دروس في اللسانيات العامة من الطبعة النقدية بالـملموس جُزءاً من الـتنقيب الفيلولوجي الدقيق الذي قام بِـه أنغلر في عمله الرائد.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص43-75)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

Introduction: Coup d'oeil sur l'histoire de la linguistique

(dans **ses débuts**) ne **sont** que la reproduction en grand des erreurs qui s'offrent tout naturellement à l'**individu.** Nous examinerons donc (aussi cette première période, pour voir comment la linguistique est arrivée à comprendre son objet). [suite 18]

Intr. I al. 13 18 (18)

[75] Ce n'est que vers 1870 qu'on en vint à se demander quelles sont les conditions de la vie des langues. [76] On s'aperçut alors que les correspondances qui les unissent ne sont qu'un des aspects du phénomène linguistique, que la comparaison n'est qu'un moyen, une méthode pour reconstituer les faits.

D 2 [suite de 59] SM III 95

[75] [> 59] mais **ce n'est que vers 1870 qu'ils en** vinrent **à se** poser questions **sur conditions** générales de la langue, **sa vie.** Il manque à grammaire comparée un point de vue sur la langue. Cela explique attitude hostile de philologie classique à l'égard des comparateurs.

[76] Idée plus générale de linguistique, où **on s'aperçut que correspondance** entre langues n'est **qu'un** des phénomènes du langage, **que comparaison n'est qu'une méthode** (**pour**) connaître **les faits.**

S 1.1 [suite de 59]

[76] **La comparaison n'est qu'un moyen, une méthode.** /[2]

Intr. I al. 14 18 (18)

[77] La linguistique proprement dite, qui fit à la comparaison la place qui lui revient exactement, naquit de l'étude des langues romanes et des langues germaniques. Les études romanes, inaugurées par Diez – sa *Grammaire des langues romanes* date de 1836–1838 –, contribuèrent particulièrement à rapprocher la linguistique de son véritable objet. [78] C'est que les romanistes se trouvaient dans des conditions privilégiées, inconnues des

D 2 SM III 95

[77] **Linguistique,** comprenant la grammaire comparée, **naquit de l'étude des langues romanes.**

[78] Avec ce cercle, on se trouva **dans** d'autres **conditions** que celles des comparateurs indo-européens.

S 1.2

[77] 4° **La linguistique proprement dite, inaugurée par Diez,** est récente. Ce fut le mérite des **études romanes et germaniques** de **rapprocher la linguistique de son véritable objet.** Les Italiens l'appellent *glottologie*, les Allemands *Sprachwissenschaft*. [suite 92]

Introduction: Coup d'oeil sur l'histoire de la linguistique

débuts une science sont celles où donne naturellement tout individu. [suite 18]

J 1 [suite de 59]

[75] **Le dix-neuvième siècle fut plutôt hostile aux comparateurs.**

III C 3 [suite de 59]

[75] Presque jusque vers 1870 ils pratiquèrent ce jeu sans se préoccuper des conditions où la langue vit. La phase très féconde par le nombre des ouvrages est différente des précédentes parce qu'elle porte son attention sur une grande multiplicité de langues et sur leurs relations entre elles, mais elle est dénuée autant que les précédentes d'un point de vue sur la langue, en tout cas d'un point de vue juste, approuvable et raisonnable. Elle est purement comparative. On ne peut pas condamner complètement l'attitude plus ou moins hostile de la tradition philologique contre les comparateurs, car ceux-ci n'apportaient pas en fait un renouvellement produit sur les principes mêmes et qui fit voir immédiatement un bienfait dans l'élargissement de l'horizon matériel qui est certainement à leur actif.

J 1

[77] A quel moment **la linguistique** pure apparait-elle? C'est après l'**étude des langues romanes** que l'on se rendit compte de la valeur de cette science. Et c'est spécialement l'écrit de **Diez** dans son écrit.

III C 3

[77] A quel moment reconnut-on que la comparaison n'est en somme qu'une méthode à employer lorsque nous n'avons pas de façon plus directe de connaître les faits, et à quel moment la grammaire comparée fit-elle place à une linguistique comprenant la grammaire comparée et lui donnant une autre direction? /[4] Ce fut principalement l'étude des langues romanes qui conduisit à des vues plus saines les Indo-européanistes eux-mêmes et fit entrevoir ce qui devait être en général l'étude de la linguistique.

[78] Sans doute le mouvement d'études vers les langues romanes, inauguré par Diez, fut un développement des règles de Bopp du côté des langues indo-européennes. Dans le cercle des langues romanes, on se trouva vite dans d'autres conditions; en premier lieu:

نَـجِد في العمود الأول في يسار الصفحة نص دروس مُجزأً إلى مقطوعات، بينما تتضمن الأعمدة الباقية تدوينات الطلبة التي تتفاوت في طولها مقارنة بما يقابلها في نص دروس. ويُمكن للقارئ أن يدرك بسهولة كيف أنَّ الناشريْن أغفلا الشَّيء الكثير من كلام سوسير الذي تـمكن الطلبة من تدوينه

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

في كراساتهم. أما الفراغ في العمود السادس فيؤشر إلى أنَّ سوسير لم يكْتب شيئاً مما دونه الناشران في نص دروس. وتقوم الهندسة الـمرئية التّي خَطّط لها أنغلر داخل فضاء الصفحات الـمتقابلة على وضع الـمصادر الأصول إلى جنب طبعة بالي وسيشهاي واستثمار قيمة الفضاء التي تَحتلُّه الأعمدة الـمحمَّلة هنا بِمقاطع نصية والشاغرة منها هناك. وتُـقدِّم الأعْمِدة بـِما حوته فقرات الـمصادر أو خَلَت منها كشْفاً مرئياً عن نسْبية علاقة تدوينات طلبة سوسير بنص دروس، قد يعجز العرضُ الـمكتوب عن القيام بِه بطريقة شافية واضحة ومباشرة. وكلّما أمْعن القارئُ النَّظر في مضْمون الأعْمدة، استنتج بتلقائية ويُـسْر أنَّ تطابق كَلمات عِبارات نصِّ دروس مع مصادره الأصول يُقدِّم الدليل الـمادي الملموس على أمانَة الناشرين؛ بيْنما يَكْشف فراغ الأعْمدة أو امتلاؤها عن سُمْك الحجاب الـمُعتم الذي وضعه الناشران على تعاليم سوسيرِ الشَّفوية جراء تدخّلهما في تشكيل فصول نصِه وفقراته وجمله من حيث تركيبها وبناؤها وترتيبها[1].

ورأى البعض فيما قام به أنغلر من توظيف سيميولوجي عبر فضاء الصّفحتين الـمُتقابلين ووضْع الأعمدة والأشكال الـمختلفة للتَّرقيم شكْلاً مادياً ملْموساً على وجود وجْهات النَّظر متعددة إزاء خِطاب سوسير؛ بِحيث تُـصبحُ مقطوعات النُّصوص الواردة في الأعمدة جنْباً إلى جنْبٍ روايات متفاوتة الاختلاف تتيح الموازنة المباشرة بـينها رسْم أدق ملامح نسيج خطاب سوسير المفقود *Discours disparu* ويسمح بتصوير تقاطيعه البارزة[2]. ولكي نقف على القيمتين الـنظرية والمنهجية البالغتين لطبعة أنغلر النقدية وأهميتها في تقريب القارئ أكثر فأكثر من مضْمون خِطاب سوسير الأصْلي ورصْد سِياقِه التاريخي والـمعرفي نقدِّم الـمثال التالي:

[1]. C. Mejia Quijano, (2005), p. 13.
[2]. Ibid, p.10.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

2 IV § 1 al. 8 164 (157)

1838 Ces vues font mieux comprendre ce qui a été dit p. 102 de l'arbitraire du signe. 1839 Non seulement les deux domaines reliés par le fait linguistique sont confus et amorphes, mais le choix qui appelle telle tranche acoustique pour telle idée est parfaitement arbitraire. 1840 Si ce n'était pas le cas, la notion de valeur perdrait quelque chose de son caractère, puisqu'elle contiendrait un élément imposé du dehors. 1841 Mais en fait les valeurs restent entièrement relatives, et voilà pourquoi le lien de l'idée et du son est radicalement arbitraire.

1836 2e éd. faire de la psychologie

D 276 [suite de 1827] SM III 151

1838 Il y avait quelque chose à ajouter au fait lui-même; nous y revenons maintenant.

1839 **Non seulement les deux domaines** réunis **par le fait linguistique sont confus et amorphes, mais le choix** du lien entre les deux, le mariage entre les deux, **est** parfaitement **arbitraire.**

1840 **Si ce n'était pas** arbitraire, il y aurait à restreindre cette idée **de valeur**; il y aurait **un élément** absolu. /[277]

1841 **Mais les valeurs restent** parfaitement **relatives** parce que **le lien est** parfaitement **arbitraire.** [suite 1846]

II R 24 [suite de 1287] SM II 56

1842 Nous ne reconnaissons ⟨donc⟩ comme sémiologique /[25] que la partie des phénomènes qui apparait caractéristiquement comme un produit social ⟨et nous nous refusons à consi-

S 2.42 [suite de 1827]

1839 **Le choix qui appelle telle tranche acoustique pour telle idée est arbitraire.**

1841 Aussi les **valeurs** sont-elles **relatives.** [suite 1846]

G 1.5a [suite de 1287]

1842 Nous ne reconnaissons comme sémiologique que la partie du phénomène qui apparait caractéristiquement comme un produit social. Il s'agit de fixer la nature de ce produit social (car la

B 15 [suite de 1287]

1842 Arrivé là, on voit se dessiner mieux l'horizon sémiologique. Nous nous refusons à considérer comme sémiologique ce qui est proprement individuel. Nous ne considérons com-

III C 399 [suite de 1827]

1838 Il y a même quelque chose à ajouter au fait lui-même, et j'y reviens maintenant.

1839 Non seulement ces deux domaines entre lesquels se passe le fait linguistique sont amorphes, (mais le choix du lien entre les deux,) le mariage ⟨entre les deux⟩ qui créera la valeur est parfaitement arbitraire.

1840 ⟨Si ce n'était pas arbitraire, il y aurait à restreindre cette idée de la valeur, il y aurait un élément absolu.⟩ Sans cela, les valeurs seraient dans une certaine mesure absolues.

1841 Mais puisque ce contrat est parfaitement arbitraire, les valeurs seront parfaitement relatives. [suite 1846]

II C 22 [suite de 1287]

1842 Arrivé à ce point, on voit se définir mieux l'horizon de la sémiologie; nous ne reconnaissons comme sémiologique que la partie des phénomènes qui apparait caractéristiquement comme

1834 *cf.* 1° 1275

يتعلق الأمر بِمقارنة سريعة بين الـمقطعين 1839 و1840 من نص دروس في اللسانيات العامة[1] (العمود الأيسر 2IV§8al.8) وما يقابلهما من تدوينات الطالبين دوگالييه D276₁₈₃₉ في العمود الثاني وقسطنطين III.C399 في العمود الخامس. جاء في نص دروس (العمود الأول):

1839«فليس هذان الصعيدان اللذان يربط بينهما الحدث اللغوي مبهمين وغير واضحي الـمعالم فقط، بل إن الاختيار الذي يستدعي تَخصيص مقطوعة أكوستيكية ما لفكرة ما إنَّما هو اختيار اعتباطي كل الاعتباطية ولو لم يكن الأمر كذلك، لفَقَدَ مفهوم القيمة شيّئاً من صفته؛ إذ إنَّه عندئذ يكون متضمناً بعنصر قد فرض عليه من الخارج فرضاً لكن القيم تبقى في الواقع نِسبية تَماماً ولذلك كان الرابط بين الفكرة والصوت اعتباطياً من أساسه (جذرياً)».

" 1840 «ثم إنَّ اعتباطية العلامة تجعلنا نفهم بصورة أوضح لِمَ كانت الظاهرة الاجتماعية بِمفردها قادرة على إنشاء نظام لغوي ما. فوجود الـمجموعة البشرية أمر ضروري لوضع عدد من القِيم ليس لوجودها من مُبرَر إلا في الاسْتعمال وفي ارتضاء عموم الناس لها، أمّا الفرد فإنَّه عاجز وحده عن أنْ يضع أية واحدة من هذه القيم».

---

[1]. F. de Saussure, CLG/De Mauro (1974), p. 157.، سوسير (1985) دروس في الألسنية العامة، ص174 CLG/Engler (1968/1974), 2, p. 254.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص43-75)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

يطابق مضمون الـمقطوعتين 1839 و1840 من دروس إجمالاً ما هو وارد من كلام في D276$_{1839-1840}$. وإذا كان الـمقطع رقم 1840 في دروس يتضمن الكلمات نفسها الـموجودة في تدوينات الطالبين، فإنَّ العلاقات الـمنْطقية (العلَّة والنتيجة *cause à effet*) التي تربِط بين مُكونات الجمل لها ترتيب آخر. كتب دو گاليه «لكن القيم تبقى نسبية كل النسبة لأن *parce que* الرابط اعتباطي كل الاعتباطية *entièrement*». ويؤكد قسطنطين هذا الرابط الـمنطقي قائلاً: «ولكن "بِما أنَّ puisque التعاقد اعتباطي تَماماً، فإنَّ القيم ستكون نسبية (كل النسبة)». أما الناشران فيقدمان نتيجة مُختلفة عما سبق؛ إذ يذهبان إلى أنَّ الطابع النسبي لقيمة الوحدات هو الذي يُفسِّر اعتباطية الرابط اللغوي: «لكن القيم تبقى في الواقع نسبية تَماماً، ولذلك كان الرابط بين التصور والصوت اعتباطياً من أساسه (جذرياً)»[1].

لا تكمن أهمية الطبعة النقدية في أنّـها تسمح بالاقتراب أكثر من تصور سوسير، بل إن تدوينات الطلبة موثقة ومُحددة على النحو الذي اتبعه أنغلر في ضبطها وتوثيقها من الناحية الزمنية، تقدم معلومات إضافية تتيح أيضاً التَّعرف على ما أجراه النَّاشِران على نص دروس من توليف أو دَمْج بين فقرات يـختلف سـياقها عن السياق الأصلي الذي وردت فيه. ونسْتطيع أنْ نقول انْطِلاقاً من ضبط مصادر الفقرتين السابقتين [*Dégallier* 276 و*Sechehaye* 2.42 و*Constantin* 399 III] أنَّهما تنتميان إلى أحد دروس العام الثالث[2] (1910-1911) الذي يتحدث فيه سوسير عن مفهوم القيمة مُحاولاً أن يشْرح الطابع السلبي والنسبي لأطراف القيمَة في التزامنية الواحدة". ويـُمكن القول بالنسبة إلى ـمقطوعات دروس (1839 و1840 والأرقام الضابطة للـمقطوعات الـمقابلة لها من تدوينات الطلبة وهي [*Riedlinger* II و *Gautier* 1.5.a و*Bouchardy* 15 و II *Constantin22*] بأنَّها دُوِّنت في بداية دروس العام الثاني. ويتمثل الخلاف البارز بين الـمقطوعات في مصادرها الأصول مقارنة بنص دروس في الفارق الزمني والـمعرفي بينهما. ويبدو أن الناشرين لم يَحترما شيئين اثنين وهما التسلسل الزماني للمقطوعات السابقة، والسياق الـمعرفي الذي وردت فيه؛ إذ جمعا بين مقطوعات نصية متباعدة زمنياً بثلاث سنوات على الأقل. أما من الناحية الـمعرفية فإنَّ سوسير حاول أن يكشف لـمستمعيه في دروس العام الثاني (1908-1909) عن الخاصية السيميولوجية للسان كشيء اجتماعي ونفسي. وهو يعرض في سياق حديثه عن الطبيعة اللامادية لـلعلامات لـمفهوم القيمة *valeur* والصعوبات التي تواجهنا في تَحديده، بينما سيتحدث

---

[1]. F. de Saussure, CLG/De Mauro (1974), p. 157.

[2]. بات مؤكدا الآن أن ملحوظة قسطنطين جاءت في آخر درس ألقاه سوسير وكان ذلك يوم 4 يوليوز من سنة 1911. انظر:
F. de Saussure, TCLG/Komatsu (1993), p. 138.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

في دروس العام الثالث (1910-1911) عن مفهوم القيمة لإبراز أهمية نسق العلاقات *Relations* بين وحدات اللسان في حالة معينة. نَجد أنفسنا في دروس العام الثاني ودروس العام الثالث أمام مقاربتين مُختلفتين ومستويين متميزين بوضوح لا يفرق بينهما نص دروس في اللسانيات العامة، هما: الـمنظور السيميولوجي والـمنظور اللساني الخالص للقيمة[1]. وخلاصة القول إنه لم يكن مُمكناً دون الطبعة النقدية التوصل إلى هذه الـمعلومات الـمهمة التي أتاحت تتبع مسار تطور مفهوم القيمة عند سوسير والعلاقة بيْنه وبين الاعتباطية وعلى التَّسلسل التاريخي والـمعْرفي الذي ورد فيه.

3.دو مورو: التحقيق الـموسوعي لنص دروس

لا يستغني الباحث الـمُهتمّ بـلسانيات سوسير عن طبعة طوليو دو مورو *Tullio De Mauro* التي ظهرت منتصف الستينيات من القرن العشرين على هامش ترجمته نص دروس إلى الإيطالية[2]. وتُمثل طبعة دو مورو مرحلة جديدة باعتبارها تُقدِّم خلاصة لأهمّ الـمَكاسب الـمُحصّل عليها في الدراسات الفيلولوجية المتراكمة في قضية التثبت من صِحَّة نسبة نص دروس في اللسانيات العامة وغيره من النصوص إلى سوسير. وتظل الـمعلومات الدقيقة والشاملة التي قدَّمها دو مورو من أشْمل وأدق ما أُنْجز من دراسات فيلولوجية في النصف الثاني من القرن العشرين حول نص دروس في علاقاته بالـمخطوطات الأصول التي باتت متاحة الآن ولاسيما ما قدمه غودل وأنغلر. وقد أسهب دو مورو في الحديث عن حياة سوسير الشخصية وعن تصوراته فأبرز من خلال مقارنة شاملة ودقيقة بين نسق تصوراته وتصورات عدد من اللغويين والمفكرين الـمعاصرين التأثير الإيجابي والواسع لنص دروس في مُختلف اتجاهات الفكر اللغوي الحديث والعلوم الإنسانية في أوروبا وأميركا. ورَصَد دو مورو في قراءاته السياقَ التاريخي والـمعرفي والـمصطلحي لأصول لسانيات سوسير ومفاهيمها الأساس رصداً دقيقاً، فكشف عن جذورها الـمعرفية ومُجمل تحولاتها والـمراحل التي مرّت منْها، والـملابسات الفكرية التي ساعدت على بروزها أو تراجعها عبر التاريخي الفكري واللغوي. ونشرة دو مورو لنص دروس هي في النهاية قراءة موسوعية لـتصورات سوسير وأساليب معالجته لقضايا اللغة عبر فكر آخرين وتصوراتهم، قُدامى ومُحدَثين، مَشْهورين ومَغْمورين. كما تتبع دو مورو فقرات وجُمل، بل وكلمات نص دروس بالتوثيق الدقيق والتعليق العميق والـتحليل الشامل، شارحاً دلالات عبارات سوسير ومفاهيمه وسياقها التاريخي والـمعرفي ومقارناً بينها وبين مفاهيم قريبة منها مبيناً مصدرها وتحولاتها المفهومية والاصطلاحية في علاقاتها بتدوينات الطلبة أو بتدوينات سوسير نفسه.

[1]. René Amacker, (1975), p. 87. cf Claudia Mejia Quijano, (2005), p. 12.
[2]. F. de Saussure, (1974/1967).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ويَحبل تحقيق دو مورو بـِمقارنات مُـفصَّلة ومُدعَّمة بالتَّوثيق الدَّقيق بين تصورات سوسير وأقْطاب اللسانيات الحديثة أمثال، همبولدت ونورن *Noreen* ويسبرين *Jespersen* وماييه وبلومفيلد وتشومسكي وغيرهم، وهي مقارنات قامت على مقاربة فيلولوجية وإبستيمولوجية وفلسفية لما جاء في نص دروس أضاءت بعض الجوانب التي كانت تبدو غامضة في لسانيات سوسير مقارنا بين تصوراته وتصورات مفكرين وفلاسفة ولغويين آخرين في إطار الفكر الغربي قديـمه وحديثه. ويسمح لنا تحليل دو مورو بالاطلاع على تَحاليل فلسفية ومنطقية وإبستيمولوجية ولغوية وفيلولوجية بدءا بأفلاطون والرواقيين مروراً بأغسطين وبور رويال والـمقارنين والنحاة الجدد وكروتشه وصولاً إلى تشومسكي، نتلمس من خلالها درجة حضور تصورات سوسير سواء عند سابقيه أو عند الـمتأخرين عنه.

وبفضل دراسة دو مورو النقدية، أصبح الـمهتم بلسانيات سوسير يَمتلك سجلاً مُذهلاً من الإحالات والـمصادر التي تناولت الـمفاهيم الأساس في دروس بالتعليق والترجمة والنقد مثل؛ مفهوم اللسان واللغة والكلام والعلامة والاعتباطية والفرق بين الآني والتعاقب والنسق والقيمة وغيرها. ولم يفت دو مورو التنبيه على سوء الفهم الذي تعرضت له الـمفاهيم السوسيرية في اللسانيات وما يطبعها من مفارقات وتناقضات ملازمة لها.

4. المصادر الجديدة: كراسات الطلبة

ونشر أيسوك كوماتسو *E. Komatsu*[1] في بداية التسعينيات من القرن العشرين دروس سوسير في اللسانيات العامة حسب التسلسل الزمني الأصلي الذي ألقيت فيه أثناء السنوات الجامعية الثلاث وهي: دروس العام الأول (1907) ودروس العام الثاني (1908-1909) ودروس العام

[1]. F. de Saussure's, (1996), First Course of Lectures on General Linguistics (1907): From the Notebooks of Albert Riedlinger, (Language and Communication Library) Edited and translated by Eisuke Komatsu and George Wolf, Oxford, New York, Seoul, Tokyo, Pergamon Press.
-F. de Saussure's Second Course of Lectures on General Linguistics (1908-1909): From the Notebooks of Albert Riedlinger, (Language and Communication Library), Edited and translated by Eisuke Komatsu and George Wolf, Oxford, New York, Seoul, Tokyo, Pergamon Press,1996.
- F. de Saussure's, Third Course of Lectures on General Linguistics (1910-1911): From the Notebooks of Emile Constantin, (Language and Communication Library) Edited and translated by Eisuke Komatsu and Roy Harris, Oxford, New York, Seoul, Tokyo, Pergamon Press, 1993.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

الثالث (1910-1911). وأخرجت الدروس إخراجا جديدا اعتماداً على الـتدوينات الواردة في كراسات ثلاثة من أبرز الطلبة الذين حضروا هذه الدروس بجامعة جنيف؛ وهم: ألبرت ريدلنجر *A.Riedlinguer* وإميل قسطنطين *E. Constantin* وشارل باتوا *Ch. Patois*. وأعادت كلوديا مايجا كويخانو *C. M. Quijano* ودانيال گمبارارا *D. Gambarara* نشر دروس العام الثالث الـمُدونة في كراسات الطالب إميل قسطنطين[1]. وتتضمّن النَّشرة الجديدة فقرات مهمة من دروس هذا العام لم ترِد ضمن ما نَشَرَه أنغلر وكوماتسو وتتعلق بحديث سوسير عن ظاهرة تنوع الألسن. "ويعدُّ قسطنطين واحداً من أبرز الطلبة الذين تابعوا دروس سوسير واستمعوا إليه أثناء العامين الثاني (1908-1909) والثالث (1910-1911). وتكتسي كراساته أهمية بالغة بالنَّظر إلى حرص صاحبها على نقل أدق تفاصيل الدروس التي كان يستمع إليها. كما عُرِف عنه عنايته الفائقة وتعامله الخاص مع ما كان يلقيه أستاذه من تعاليم شفوية؛ أكسبه مهارة كبيرة في تدوين المُحاضرات. وبلغ به تعلقه بأستاذه أنْ أعاد كتابة خطاب أستاذه بصيغة الـمتكلم[2]. كما عُرِف عن قسطنطين اشتغاله الـمُستمر على كراساته بعد تدوين الدروس؛ إذ كان يعود بعد كل حصة إلى تدوينات زملائه فيتمِّم ما كان ينقص كراساته مضيفاً إليها ما فاته من عبارات أو كلمات لم يتمكن من تدوينها مع حرص شديد على توثيق كل فكرة أو جملة أو كلمات يضيفها بنسبتها إلى من ينقل عنه[3]. وتعدُّ كراساته من أفضل مضامين دروس سوسير في اللسانيات أثناء العام الثالث وأشْملها. ولهذه الأسباب اعْتُبِر الطالب قسطنطين "شاهداً وفيا[4] على الدروس؛ بل ومن "أفضل الشُّهود عليها"[5]. ويرجح أن السِر في عنايته الفائقة بالدروس يكمن في أنه ربّما أدرك القيمة التاريخية التي ستكون لكراساته بعد أن فطن إلى الحالة الصحية الـمُتردية لأستاذه ممَّا جعله يَجْتهد بشكْل مُثير للغاية، فدَوّن كل ما صدر عن سوسير حرفياً مُثبتاً النقطة والفاصلة[6]. ولعل في احتفاظ قسطنطين بكراساته بعيداً عن أنظار الدارسين وتأخره في تقديـمها كوثيقة تاريخية إلى من يهمه أمْر سوسير ما يدعم هذا الرأي. غير أنَّ القيمة الحقيقية لكراسات قسطنطين تتمثَّل في أنَّ صاحبها ظلَّ مُحتفظاً بِـها

---

1. Emile Constantin, (2005) Linguistique générale. Cours de M. le Professeur de Saussure, 1910-1911,
Texte édité par Danièle Gambarara et Claudia Mejia Quijano, In CFS 58, (2005), Genève, Droz, 2006.
2. D. Gambarara, (2005), p. 39.
3. Claudia Mejia Quijano, (2005), p. 49-51.
4. D. Gambarara, (2005), p. 30.
5. Ibid, p. 30.
6. Ibid, p. 49.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

لنفسه في غفلة من الجميع ولاسيما بالي وسيشهاي؛ وهو ما جعلهما لا يعتمدان على مضمونها في إخراج الدروس سنة 1916. ولم يرِد أيّ ذكر لكراسات قسطنطين ضمن كتاب غودل (المصادر المخطوطة 1957) إلى أنْ قام صاحبها بتسليمها له. ولم يكن غودل يدري يوم تقديم أطروحته المصادر المخطوطة لدروس في اللسانيات العامة[1] أنه سيكون على موعد مع التاريخ مرتين: تقديم أطروحة رائدة عن المصادر المخطوطة لدروس سوسير في اللسانيات وتلقيه هدية قسطنطين المتمثلة في كراساته التي تتضمن تدويناته المتميزة لدروس سوسير في اللسانيات. وكان غودل أول من عرّف بوجود كراسات قسطنطين[2]. وأورد أنغلر في طبعته النقدية فقرات متناثرة من هذه الكراسات حسب خطة العمل التي اتبعها في مقابلة نشرة 1916 بِمصادرها الأصول. وتلقي كراسات قسطنطين أضواء جديدة على مضامين دروس بالكشف عن بعض الجوانب الغامضة فيها"[3]. ولعل الأهمية التاريخية والقيمة الفيلولوجية التي تميزت بِها هي التي حذت ببعض الدارسين إلى القول إن عدم اعتمادها في إعداد طبعة 1916 أثر سلباً على اللسانيات العامة في القرن العشرين[4].

5. المقاربات الفيلولوجية والوجه الآخر لسوسير

بفضْل صرامة المقاربات الفيلولوجية ودقة منهجيتها في التعامل مع مضمون نص دروس مقارنة بالمصادر الأصول[5] تَمّ:

- أولاً: ضبط مادة نص دروس في علاقتها بالمادّة الأصليّة الّتي تشكَّل منها والمتمثلة أساساً في تدوينات كراسات الطَّلبة وما عُثِر عليه لاحقاً من نصوص مَخطوطة بيد سوسير نفسه.
- ثانياً: رصد ما ورد في نصِّ دروس من انزلاقات دلالية وارْتباك أو غموض أو سوء فهم وتأويل سواء في صياغة المفاهيم أو الاستدلال عليها نتيجة لإهْمال الناشرين العديد من المصادر المخطوطة وعدم اهتمامهما بالتَّنوع الأُسْلوبي لدى سوسير في التَّعبير عن المفاهيم والمصطلحات أو تأرجح مواقفه أو تردده إزاء العديد من القضايا اللغوية.

وكان للمنحى الفيلولوجي الذي دشنَّه غودل وسار على منواله أنغلر ودو مورو وآخرون نتائج مباشرة على نص دروس أبرزها:

---

[1]. كانت أطروحة غودل بإشراف A.Burger وشارك في مناقشتها هنري فرا H. Frei واللساني أندريه مارتينيه André Martinet يوم 11 يونيو 1957 وهي تحمل العدد الترتيبي رقم 160.

[2]. R. Godel, (1958), Genève, Droz, pp. 23-32.

[3]. E. Komatsu (1993), préface, p.XIII.

[4]. Claudia Mejia Quijano, (2005), p. 52.

[5]. يمكن القول بأنه لم يعد ملائماً اليوم الحديث عن المصادر المخطوطة لدروس سوسير في اللسانيات العامة وغيرها من جناس تصحيفي وتحليل الحكاية الخرافية بعد أن نشرت معظم مسودات النصوص التي تركها سوسير وطلبته.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- العودة إلى سوسير ونصوصه بشكل لافت للنظر،
- إغناء مضامين نصِّ دروس بالعديد من النصوص الـمُكملة له،
- خلخلة كثير من الأحكام والـمواقف إزاء لسانيات سوسير.

وخلُص جل الـمهتمِّين باللِّسانيات الحديثة عامّة وبلسانيات سوسير على وجه الخصوص إلى أنَّه لم يعدْ من الـممكن قراءة نص سوسير دروس في اللسانيات العامة لفَهْم مضامينه النظرية والـمنهجية دون العودة إلى الدِّراسات النَّقدية الفيلولوجية التي ظهرت في فترات مُختلفة من النصف الثاني من القرن العشريـن وبداية الواحد والعشرين. وبرز بوضوح أنَّ طبعة 1916 الرائجة أو الشائعة *La vulgate* لم تعدْ لا كافية ولا ملائمة للكشف عن ملامح لسانيات سوسير أو تحديد طبيعة الـمفاهيم الجوهرية التي تضمّنتها. وأصبح من الضروري العودة إلى دراسات روبرت غودل ورودولف أنغلر وطوليو دو مورو وما قدَّمه الجيل الجديد من مُحققي نصوص سوسير التي تشكل المصادر الحقيقية لتصوراته عن اللغة..

وبالرجوع إلى هذه الـمصادر الأصول التي باتت اليوم متاحة للدارسين؛ يتضح بالـملموس أن تصورات سوسير أقل نزعة نحو التقسيمات الثنائية الصّارمة وأكثر عمقاً وشُمولية في تحاليله للقضايا اللغوية على العكس ممَّا يوحي به نص دروس الذي أعده بالي وزميله[1]. كما اتضح أنَّ ثـمّة فجوة عميقة بين الصورة التي رسَمتها طبعة 1916 للسانيات سوسير وصورة لسانياته كما تظهر في الـمصادر الأصول وكتاباته الأخرى نقصد هنا كتاب سوسير الجديد في الجوهر المزدوج للغة الصادر سنة 2002 . وقد سَمحت النَّتائج الـمُحصل عليها في المقاربات الفيلولوجية لنص دروس ومقارنته بنصوص سوسير الأصلية بظهور مَجموعة من التأويلات الجديدة. وأصْبح هدف مريدي لسانيات سوسير وأتباعه في إطار السوسيرية الجديدة[2] تأويل تصوراته في ضوء النصوص التي ظهرت منذ 1957 . وعرفت هذه الـمرحلة الجديدة في تلقي سوسير ظهور مَجموعة من الدراسات التي حاولت أن تُقدِّم صورة مغايرة عن لسانيات سوسير بالعودة إلى نصوصه الأصلية وليس نص دروس فقط هدفها:

أ- توضيح الجوانب الغامضة في تصورات سوسير ومفاهيمه الأساسية،

ب- إعادة النظر في فهم الثنائيات الشهيرة، (وخاصة لسان كلام وآني/ تعاقبي، وقيمة ودال ومدلول وغيرها)،

---

1. R. Amacker, (1975), p. 17.
2. Ibid.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص43-75)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ج- محاولة تقديم لسانيات سوسير كمنظومة نظرية متكاملة قابلة لأن يُنظر إليها في سياق الإنجازات التي حققتها اللسانيات ما بعد البنيوية، ولاسيما بعد بروز نظرية النحو التوليدي وتيارات لسانية أخرى مثل تحليل الخطاب والتداولية،

د- مُحاولَة إدْماج لسانيات سوسير في خضَم التَّحولات النظرية والـمنهجية التي عرفها الدرس اللساني الحديث بانفتاحه على فلسفة اللغة العادية والمباحث الدلالية والتداولية وقضايا التأويل بكل أبعاده وجوانبه اللغوية والاجتماعية والنفسية والثقافية.

ومن شأن العودة إلى نصوص سوسير الأصلية أن تقدم صورة دقيقة عن مضمون محاضرات سوسير في اللسانيات؛ وأن تزيل ما جاء فيها من اختزال مفرط لتصوراته العميقة والخصبة وما ترتب على ذلك من سوء فهم والتباس في تقدير قيمتها النظرية والـمنهجية وطريقة تقديمها في المحافل العلمية بحثا وتدريساً. ويحرص العديد من الدارسين اليوم في سياق العودة إلى سوسير الأصيل والبحث عن لسانياته الحقيقية على الانطلاق ليس من طبعة 1916 فقط؛ بل أيضاً من النصوص التي تم التعرف عليها مؤخراً ومن تدوينات الطلبة في كراساتهم. وأصبح هدف بعض مؤولي لسانيات سوسير تناول "سوسير منظوراً إليه في ذاته"؛ أو "سوسير في حد ذاته ولذاته"[1]، باستقلال عن نص دروس في اللسانيات العامة الذي أشرف على إخراجه بالي وسيشهاي. وإذا ما تمت أية إحالة على مضامين طبعة 1916؛ فلن يكون ذلك إلا من باب الـمقارنة والاستئناس لسبب بسيط يتمثل في أنّ هذه الطبعة تُقدِّم نصاً تمّ بناء فصوله وإعداد فقراته وصياغة عباراته جملة وتفصيلاً. ولم يكن نص دروس في نهاية التحليل سوى صيغة تأويل الناشريْن لتصورات صاحب هذه الدروس، ومن ثمة فإنَّ اعتماد نص 1916 منطلقاً وحيداً في تقديم لسانيات سوسير نوع من الدوران في حلقة مفرغة[2]. ويُعَدُّ دو مورو من أكثر الدارسين إلحاحاً على ضرورة القيام بدراسة نقْدية شاملة لنص الدروس في ضوء مجمل الـمصادر الأصول والنصوص الأصلية[3] التي تَجعل القارئ أقرب مسافة إلى الصّورة التي أُلقيت بِها هذه الدروس شكلاً ومضموناً.

6. المقاربات الفيلولوجية والقبض على لسانيات سوسير

لقد أسهمت المقاربات الفيلولوجية التي سبقت الإشارة إليها لنص دروس في اللسانيات العامة في الكشف عن جزء من الغموض وتبيان التناقض الذي لازم فترة طويلة تصورات سوسير بالبحث فيلولوجيا عن أصولها وخلفياتها وسياقاتها الـمعرفية تاريخيا.

---

[1]. Loïc Depecker, (2009), p. 49.
[2]. Ibid, p.16.
[3]. André Petrof, (2004), p. 34.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص43-75)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ومنذ ظهور المقاربات الفيلولوجية الأولى بدأت لسانيات سوسير تنكشف في صورتها الجديدة لتطرح إشكالات تاريخية وفلسفية ومنهجية لم يلتفت إليها في الحقبة الأولى من تلقي سوسير لاسيما في النصف الأول من القرن العشرين أي مرحلة التلقي الـمباشر للسانياته من خلال نشرة دروس الصادرة سنة 1916. وتبدو القراءات التي تناولت جوانب معينة من لسانياته وفق مقاربات لسانية وإبستمولوجية وتاريخية ونفسانية وأدبية وشعرية متقاربة لدرجة التطابق أحياناً؛ ومتباعدة لدرجة التناقض أحياناً أخرى. وبلغت تأويلات نص دروس مستويات متقدمة من التعقيد الذي أصبح يتطلَّب جهداً كبيراً وقُدْرة هائلة من الكدِّ والصَّبر للإمْساك بالخُطوط العامَّة لتصورات سوسير التي تُـقدِّمها مُختلف القراءات. ويكاد الـمرء وهو يطلع على الأدبيات السوسيرية الحديثة أن يُصاب بالدوران؛ إذ بات مُجرد التَّعرف على عناوين الـمصادر الأساس المتعلقة بتلقي لسانيات سوسير في سياقها الجديد، واستخراج ما يهمه منها، وترك ما لا فائدة منه مسألة صعبة إن لم نقل متعذرة عملياً لاسيما في ضوء تقنيات التواصل الحديث ووسائل النشر الـمتنوعة التي لا تعرف التوقف. ولم يعد في مقدور الدارس أمام تعدد سياقات هذا التلقي واختلاف أبعاد تأويل تصوراته أن يتعرف على الوِجْهةَ التي ينبغي اتباعها لرصد الملامح الحقيقية للسانيات سوسير: كيف نستطيع القبض تصورياً على لسانيات لم يرسم صاحبُها ملامحها ولم يصغها صياغة مكتملة ونهائية؟

أعلن جورج مونين غداة صدور مؤلف غودل الـمصادر الـمخطوطة أنَّ قراءة سوسير أصبحت مشكلة حقيقية[1] . ومنذ نهاية الخمسينيات لم تزدد الصورة إلا التباساً وغموضاً لاسيما في ظل الدينامية التي عرفتها حركة نشر نصوص أخرى لسوسير واستمرار الإحالة إلى نص دروس والاهتمام الـمتنامي بِه في الوقت نفْسه. ومقارنة بتلقي لسانيات سوسير في النصف الأول من القرن العشرين، فإن تلقيه في العقود الأخيرة يبدو أكثر غنى تصورياً ومنهجياً. لكن القراءات الـمعاصرة لسوسير عبر نصوصه الجديدة عملت يوماً بعد يوم -من حيث تدْري أو لا تدْري- على أنْ "تُقدِّم لنا سوسير مُلْغِزاً *énigmatique* ومُقْلقاً"[2]. فمن يكون سوسير الحقيقي أو سوسير الأصيل؟ أين تتجلى لسانياته الحقيقية؟ هل هو سوسير عالم النحو الـمقارن الـمتألق في الـمذكرة التي أصدرها سنة 1879 حول نظام الصوائت الأولية في الألسنة الهندية الأوروبية؟ أم سوسير الباحث في الجناس التصحيفي *Anagrammes*؟ أم سوسير الضليع في تحليل الحكاية الخرافية والأساطير الجرمانية؟ أم هو أخيراً سوسير اللسانيات؟ لكن أيّة لسانيات نقصد؟ أهي اللسانيات دروس أم لسانيات الـمصادر الأصول

---

[1]. George Mounin, (1968), p. 17.

[2]. Hermann Parret, (2009),

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص43-75)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

التي نشرها غودل وأنغلر ودو مورو وكوماتسو وغيرهم أم اللسانيات الواردة في الـماهية الـمزدوجة للغة وباقي الـمقطوعات *fragments* الـمنشورة مؤخراً؟

7. حدود الـمقاربات الفيلولوجية

لقد أسهمت الـمقاربات الفيلولوجية في تَجاوز بعض التناقضات التي يعُج بِها نص دروس بتوضيح ملابساتها وتبيان أسباب حدوثها، وجعلت مشروع اللسانيات الذي قدَّمه سوسير في دروسه مفهوماً أو على الأقل قابلاً للفهم في سياق تاريخي ومعرفي مـحدد. وعلى الرغم من أنَّ الحركة الفيلولوجية النقدية وما تلتها من أدبيات نَجحت إلى حد كبير في إثبات نسبة نص دروس في اللسانيات العامة إلى سوسير وتبيان درجة التعديلات ومستوى الـتغيرات التي طالت فقرات مُختلفة منه؛ فإنَّها لم تفلح بعْد في تغيير الصورة النمطية والـمختزلة الموروثة عن نظريته تغييراً شاملاً؛ أو إضعاف النزعة السوسيرية التي سادت اللسانيات حقبة غير قصيرة من القرن العشرين التي نجحت إلى حد كبير في اختصار لسانياته في صيغة ثنائيات مستقلة. وما يزال سوء الفهم قائِماً جراء عدم ربط أساسيات اللسانيات الواردة في طبعة 1916 بنصوصه الأخرى وبالسياق التاريخي الذي ظهرت فيه لاسيما في علاقته بنصوص لسانيين آخرين سبقوه بفترة وجيزة أو عاصروه أمثال، ويتني وميه ويسبرسن وشوخاردت وغيرهم.

لقد حصرت الحركة الفيلولوجية أهدافها وانشغالاتها في رصد درجة تجليات علاقة التقارب أو التباعد بين نص دروس والـمصادر الأصول حول قضايا لغوية معينة. ولم يتم بعد تقديم حصيلة نهائية تنهي هذا الجدل الـذي طال أكثر من اللازم حول نسبة هذا التقارب أو التباعد لتظلَّ المقاربات الفيلولوجية السوسيرية هي الأخرى سجينة رؤية أحادية ثابتة تجعل من نص دروس في اللسانيات العامة وحدة عضوية ومركز لسانيات سوسير[1]. ويبدو أنَّ الدراسات السوسيرية الجديدة تُهْمِل في معالجتها الفيلولوجية شيئاً جوهرياً-يتمثل في عدم عنايتها بالنسق التصوري العام لـلسانيات سوسير وأسسها الإبستيمولوجية وطبيعتها النظرية والـمنهجية كما تجسدها نصوص كتاباته اللغوية الأخرى وليس نص طبعة 1916 فقط. وقلَّما عالجت المقاربات الفيلولوجية قضايا لسانية خالصة بحثاً عن أجرأة الـمفاهيم اللسانية الواردة عن سوسير. ولم يهتم أتباع اللسانيات السوسيرية الجديدة كثيراً بِمدى إجرائية مفهوم العلامة في التحليل التركيبي ورصد الجوانب الـمشتركة بين مفهوم العلامة اللغوية ومفهوم الـمورفيم كوحدة دنيا في التحليل التركيبي التوزيعي أو مفهوم الـمونيم في الـمدرسة الوظيفية البنيوية عند مارتينيه. هل يعد مفهوم العلامة اللغوية مفهوماً نظرياً عاماً أم مفهوماً إجرائياً في تحليل الألسن البشرية أم خاصية نوعية مميزة للنسق السيميولوجي؟ في أي

[1]. Simon Bouquet, (1997), chapitres III et IV.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

مستوى من التحليل اللغوي يـمكننا أن نتصور العلامة اللغوية؟[1] كيف يـمكننا الاستعانة بـمفهوم العلامة اللغوية في التحليلين الصرفي والتركيبي؟ نَحن نعرف أنَّ سوسير ميّز بدقة بين بعض الـمصطلحات مثل، الكلمة *mot* والكيان اللغوي *entité* والوحدة *unité* والحد اللفظ *terme* والعلامة *signe* وغيرها. يقول سوسير: "يجب أن نبحث عن الوحدة خارج الكلمة. وكثير من الكلمات هي وحدات مركبة. ومن السهل أن نُميَز الوحدات فرعية (سوابق ولواحق وجذور الخ). عن الوحدات الـمشتقة مثل *eux* + désir و *eux* + *malheur* تنقسم إلى أجزاء متميزة لكل منها دور واضح"[2] ما هي مُسوغات اللجوء إلى هذه التسميات من الناحية الإجرائية؟ على أي أساس فرّق بينها سوسير؟ لِماذا فضل سوسير في النهاية مفهوم العلامة دون غيره؟

ولم يعمل أتباع الحركة الفيلولوجية السوسيرية على تبيان العلاقة بين الـمكونات اللغوية في صيغها الـمتعددة بالرغم من أن سوسير نفسه اعتمد حسب الـمصادر الأصول على عدد من الأمثلة اللغوية الـملموسة التي استمدها من ألسن مُختلفة[3] ولم يهتم أتباع اللسانيات السوسيرية الجديدة بأهمية دراسة "اعتباطية العلامة" لـمعرفة نتائج تطبيقها في التحليل الصرفي والدلالي على أساس انعدام أي صلة بين الدوال والـمدلولات داخل بنية الوحدات الصرفية من جهة أولى؛ وفي علاقتها من جهة ثانية بالحقول الدلالية وتحديد التصورات العامة. إن ما يُفَسِّر وجود البدائل الصرفية (الألوموروفات *allomorphes*) في التحليل الصرفي هو انعدام العلاقة الأحادية *bijectives* بين الـدال والـمدلول؛ إذ لا يكتفي دال واحد دائماً بالارتباط بِـمدلول واحد اعتباطياً والعكس صحيح؛ بل إنَّ دالاً معيناً غالباً ما يرتبط في الوقت ذاته بِمدلولين مُختلفين أو أكثر. وقد يُعبّر عن الـمدلول الواحد بدالين مـختلفين أو أكثر[4].

8. المقاربات الفيلولوجية ومركزية نص دروس

حصرت الحركة الفيلولوجية اهْتماماتِها بنص سوسير في أمرين اثنين: البحث في الـمسارات التكوينية والتفسيرية الهيرمنوطيقية لنص دروس والاقتصار على رصد تأثيراته الـعامة في الـمدارس اللغوية الحديثة (حلقة براغ، هلمسلف إلخ). ولم تأخذ الدراسات الفيلولوجية في الحُسّبان أن نص دروس نفْسَه لم يكن إلا إنتاج مناولة تحريرية"[5]. ولهذا فإن أهمّ ما يُعاب على عمل أنغلر بالرغم من أهميته وقيمته التوثيقية الهائلة؛ أنَّه اتَّخَذَ من نص دروس في اللسانيات العامة مُنْطلقاً ومصدرا

[1]. Françoise Gadet, (1989), p. 20.
[2]. CLG/Engler (1968/1974), p. 148.
[3]. Touratier Christian, (2006), p. 55. Edité par Louis de Saussure.
[4]. C. Touratier (2006).
[5]. François Rastier, (2003), p. 23.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

له حين قام بترتيب نشرته النقدية على أساسه. وكان بإمكانه مثلاً أنْ يَعْتمد كراسات الطَّلَبة مُراعاة لتَسَلْسل إلْقاء الدُّروس زمنياً ممَّا يسْمح برَصْد درجة التطابق أو الاختلاف بين نص دروس والـمصادر الأصول؛ ويقف بيسر على حجّم التَّعديلات. لكن حرص أنغلر على اتِّخاذ نص دروس في اللسانيات العامة نقطة انطلاق جَعَل متابعة الـمصادر الأصول زمانيا أمراً صعب التحقيق لأنَّ نظام الإحالَة عليْها وفْق تسلسل مقطوعاتها لا يَسْمح بقراءتِها بشكل مُنتظَّم ومتتابع لاختلاف أرقّام تسلسل موضوعاتها الأصلية عن تسلسل مقطوعات نص دروس. والحديث عن مركزية نص من النصوص لا يَحصل عادة إلا في مَجال الهيرمينوطيقا الـمتعلقة بالنَّصوص الدينية عامة والـمُقدَّسة منها بوجه مخصوص. ولم تكن مصادر سوسير الأصول في حاجة إلى نص مركزي تدور حوله أو تنطلق منه سواء تعلق الأمر بنص دروس الشائع أو بغيره على نحو ما فعل غودل وأنغلر ودو مورو؛ فليس لتعاليم سوسير الشفوية في دروسه في اللسانيات نص مركزي ووثوقي *dogmatique* إلاَّ نصاً غائباً[1]. لكن غودل يرى أنَّه من الصَّعب بـمكان فصل أية طبعة نقدية للمصادر الأساس عن نص دروس في اللسانيات العامة. ولن يجد قارئ الحواشي النقدية الـمتعلقة بِتدوينات الطلبة سوى شذرات معزولة عن سياقها الأصلي، ولن يكون لديه وسيلة للحكم في نطاق معين على التوزيع الجديد الذي يعكس فكراً تمّ في كل لحظة تصحيح مقاربته[2]. أما أنغلر فيرى أن الانطلاق من نص دروس تعني من بين ما يعنيه "أن ننطلق من الـمعلوم إلى الـمجهول ومن النص الكلاسيكي إلى الـمصادر"[3].

لقد ظلت المقاربات الفيلولوجية من خلال الـمنظور الضيق الذي اتَّبَعته في التَّعامُل مع نصوص سوسير الأصول منذ غودل سجينة تبعيتها المطلقة لنص دروس الذي وضعه بالي وسيشهاي، بينما "الـمشكل الحقيقي بالنسبة إلى لسانيات سوسير اليوم ليس هو إعادة تكوين الصورة التَّامة والصحيحة عن الأستاذ (أي سوسير) أو البحث عن الـمادة الحقيقية للنسخة الرائجة أو البحث أبْعد من ذلك عن انشغالات سوسير العميقة. ما يهم اليوم هو مسارات اللسانيات التي انطلقت من سوسير وتفرّعت عنه والدَّور الذي لعبه نص دروس في تشْكيل اللسانيات الحديثة. لم يَعد الأمر يتعلق بالبحث عن "سوسير-الرجل" وإنـما ينبغي أن نعالج "سوسير-الصورة" ومكانته في إبستيمولوجية اللسانيات[4].

وتعاني الأدبيات القائمة على التحليل الفيلولوجي لنصوص سوسير من عدم قدرتها على تجاوز سياق نص دروس ووقوفها عند حدود تتبع انتقال الكلمات والجمل وطريقة تكوينها وبنائها في

1. François Rastier, (2012), p. 16.
2. Robert Godel, (1959), p. 102.
3. Rudolf Engler, (2003), p. 19.
4. Louis Jean Calvet, (1975), p. 57.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص43-75)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

دروس مقارنة بالنصوص الأصول. ولـمّا كانت الفيلولوجيا بحكم طبيعة انشغالاتِها مرتبطةً بتوثيق النص ووضع الشروح الـمساعدة عليه، فإنَّ المقاربات الفيلولوجية ظلت لصيقة بالبحث عن كل أشكال التثبت من صدقية فقرات نص دروس وجمله وبالتنقيب عن تفاصيل مسارات تكونه genèse ونشأته كنص محوري مِما جعلها غير قادرة على أن تُقدِّم أي تصور دقيق عن النَّسق النظري العام لـلسانيات سوسير سواء من خلال تعاليمه في نص دروس نفسه أو في نصوص كتاباته الأخرى، وسواء أكان هذا النسق جاهزاً في ذهن سوسير نِهائياً أم أنَّ الرجل حاول بناءه تدريجياً طيلة الفترة التي كان يلقي فيها سلسلة مُحاضراته.

ومن الـمفارقات ا لدالة أنَّ المقاربات الفيلولوجية التي كانت تـسّعى إلى تَجاوز وثوقية *Dogmatique* نص دروس لم تُفلح بدورها في الإفلات من قوة قبضته وتَجاوز سلطته الـمعرفية الراسخة في اللسانيات المعاصرة، مما جعلها تبقيه منطلقاً مركزياً لكل معالجاتها النقدية[1]. ويبدو أن الدعوة إلى سوسير حقيقي أو أصيل غير قادرة على تجاوز سوسير دروس، إذ لم يُنظر حتى الآن إلى تأملات سوسير اللغوية إلا في إطار ما له علاقة مباشِرة بنص دروس في اللسانيات العامة وفق نشرة1916. ولم يكن غودل يهدف من دراسته النقدية للمصادر المخطوطة لدروس سوى إلى إلقاء الضوء على نص بالي وسيشهاي معتبراً أن عمله إنما هو استمرار للمقاربة الجريئة التي قام بها الناشران[2]. ويستعمل غودل مثلاً عبارة الـمصادر الـمخطوطة *les sources manuscrites* في إشارة لا إلى الـمصادر الأصول لنص دروس في اللسانيات العامة وحسب؛ وإنـما إلى مُجمل كتابات سوسير في اللسانيات العامة التي يعود بعض منها إلى سنة 1891. ويسميها الـتدوينات [أو الملحوظات] *Notes* واضعاً بذلك مُجمل نصوص سوسير في دراسة اللغة على قدم الـمساواة مع تدويناته للدروس التي ألقاها ما بين 1907 و1911[3].

ما يـمكن أن يعاب على تلقي سوسير القائم على التحليل الفيلولوجي لنص دروس في علاقته بِالـمصادر الأصول يتمثل في أن هذا التلقي استند إلى قراءات تَجاوزت حدود التَّمحيص والتثبت من صحة فقرات طبعة 1916 وصدقية نسبتها إلى سوسير لتتحوّل إلى نوع من التحليل الهيرمنوطيقي الـمؤسس على التأويل الذاتي. وهكذا بات يُسّتخلص من نص نشرة 1916 ما لم يفكر فيه سوسير نفسه، لتسقط التأويلات التي يُجسد دو مورو نَموذجها البارز-بشكل مفارق في الـمأزق الذي وقع فيه بالي وسيشهاي من قبل، وهما يحاولنا تَـثْبيت لسانيات سوسير غير التامة وإعطاءها صورة نِهائية

1. François Rastier, (2009), p. 9.
2. Robert Godel, (1959) p. 251.
3. Simon Bouquet, (1997), p. V, note1.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

تعكس نسقاً تصورياً جاهزاً ومفتوحاً على كل الاحتمالات التصورية والـمنهجية مُقْتَنعيْن بأنَّ كل ما كان يتعيّن على سوسير أن يقوله مُتضمّن بشكل أو بآخر في نص دروس في اللسانياتِ العامة[1].

ويرسم دو مورو بِحِسِّه العقْلاني وبتساؤلاته الفلْسَفية العميقة صورة لسوسير أدقَّ وأكثر تَماسكاً وتَجاذ ساً مِمَّا هي عليه صورة سوسير في الواقع. ولم يهتم دو مورو كثيراً لا بطبيعة التباين الحاصل بين دروس الأعوام الثلاثة ولا بـمسألة ترتيبها وعلاقتها بالنسق التصوري العام عند سوسير؛ وإنما جعل كل موضوعات تَحقيقه الـموسوعي تدور حول نص دروس في اللسانيات العامة، منه ينْطلِق وإليه يعود. وليس معنى هذا أن دو مورو لم يكن واعياً بنسب الاختلاف بين طبيعة الأهداف النظريَة والـمنهجية التي قصدها سوسير في دروس كل عام على حدة، وإنـما عمل على التقليل من أهميتها وقيمة دورها بالنظر إلى قلة عددها معتبراً أنها مسائل غير أساسية لا تَمس في شيء البنية التصورية العامة الَّتي يُجسِّدها نصّ دروس. ومع ذلك يمكن القول بأن حصيلة الأبحاث الفيلولوجية التي أنجزت منذ أبحاث غودل حتى اليوم توضح بما لا يدع مجالاً للشك أن التعديلات التي أدخلها الناشران على فكر سوسير لم تكن لا قليلة ولا تافهة، ولا مـُجرد هفوات فيلولوجية بسيطة كما يعتقد دو مورو، بل بالعكس من ذلك تُـجسد تحريفاً نظرياً حقيقياً وملموساً لا يستهان به لتصورات سوسير.

خاتمة

في ظلِّ التراكم الهائل من الـمصادر والدِّراسات النَّقدية والفيلولوجية منذ عمل غودل (المصادر المخطوطة 1957) نستطيع أن نتصوّر الصعوبات الجمّة التي باتت تعترض سبيل قارئ كتاب دروس في اللسانيات العامة أو الـمُهتمِّ بلسانيات سوسير. فلم يعدْ من الـمقبول اليوم أن تُنْسب إلى سوسير أية عبارة من نص دروس دون التَّثبت من أنَّها ليست ببساطة من تَحرير بالي وسيشهاي[2]. وأصبح واضحاً أنَّ الإمساك بأساسيات لسانيات سوسير ليس بالأمر الهيِّن مثلما كانت الحال في النِّصف الأوّل من القرن العشرين؛ أو إنْ شئنا قبل ظهور المقاربات الفيلولوجية التي توالت منذ نهايةِ خمسينيات القرن الماضي. وفي سياق الـمسعى الحثيث لمحو ملامح الصورة النمطية الجاهزة التي رسَـمتها طبعة 1916 لـلسانيات سوسير؛ أو على الأقل مُـحاولة رسم حدود جديدة فاصلة بينها وبين نظيرتِها في الـمصادر الأصول التي استندت إليها المقاربات الفيلولوجية؛ شرع بعض الدارسين في التخلي عن الإحالة الـمباشِرة على نص دروس الذي يبدو أنه بدأ يفقد سلطته الـمعرفية بعد أن كان لـمدة تزيد

[1]. George Mounin, (1972), p. 67.
[2]. André Petrof, (2007), mise en ligne le 21 août 2007, http//semen. revues. org/ 4281.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

عن نصف قرن الـمصدر الوحيد للتعرف على لسانيات سوسير[1]. وكلّما اعتُمد نص آخر غير دروس في اللسانيات العامة الذي أخرجه بالي وسيشهاي أو تدوينات كراسات أحد طلبته كان ذلك أفضل في تلقي سوسير وتأويل تصوراته باعتبار النصوص الجديدة تعكس بصدق تصورات سوسير الحقيقية أو الأصلية، وتقطع الطريق على وساطة تأويل الـمتلقين الآخرين. ولم يعُد مسموحاً به اليوم قراءة سوسير دون الرجوع إلى كافة النصوص التي أصبحت رهن إشارة الدارسين منذ ظهور الـمصادر الـمخطوطة لغودل. وبدلاً من اعتماد نص دروس وحده؛ يتم الإلحاح بقوة على ضرورة العودة إلى نصوص سوسير نفسه وإلى الـمصادر الأصول للدروس بغية الاقتراب من تعاليمه الأصلية وتفادياً للتدخل المزدوج في تأويل تصوراته: تأويل الطلبة لخطاب أستاذهم وهو يدونون ما سَمعوه؛ وتأويل بالي وسيشهاي الـمقدم في نص دروس[2].

وليس معنى ما سبق أنَّ النّصوص النقدية لنص دروس أو الـمرتبطة به هي أقلّ قيمة منه أو إنَّها مـجرد نصوص مُكمِّلة أو مُوثِّقة أو شارِحة له فحسب؛ بل هي نصوص أضحت أساسية بصفتها تفسح لنا الطريق لرسم صورة موضوعية عن لسانيات سوسير، وتسمح لنا بالغوص في عمق تصوراته و مفاهيمه؛ وتكْشف عن جوانب مغمورة منها تختلف عما هو وارد في نص دروس في اللسانيات العامة اختلافاً نوعِياً شكلاً ومضموناً، بل تناقضه أحياناً كثيرة.

---

[1]. Loïc Depecker, (2010).

[2]. André -Jean Petroff, (2004), p. 36.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

المصادر:

- أريفيه ميشال (2009) البحث عن فيردينان دوسوسير، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، [ترجمة محمود خير البقاعي]
- غلفان مصطفى (2014) اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- غلفان مصطفى (2016أ) لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- غلفان مصطفى (2016ب) اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- غلفان مصطفى (2016ج) لسانيات سوسير: سياقات التلقي وأبعاد التأويل، الملتقى الدولي: اللسانيات 100 سنة بعد إلقاء دروس دو سوسير. جامعة الجزائر 2، 14-15-16 نونبر 2016.
- غلفان مصطفى (2018) دروس في اللسانيات العامة (نشرة 1916): قراءة نقدية في ضوء المصادر الأصول، مجلة أنساق، الدوحة جامعة، قطر، المجلد الثاني العدد الأول، فبراير 2018 ص135-187.
- هاريس روي (2001) سوسير ومؤولوه، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، [ترجمة أ. شاكر الكلابي] قيد الطبع.
- سوسير (1916/ 1985). دروس في الألسنية العامة. تونس. الدار العربية للكتاب. [ترجمة محمد الشاوش ومحمد عجينة، مراجعة صالح القرمادي].

Bibliographie

- Amacker, René (1975) La linguistique saussurienne, Genève, Droz.
- Bouquet, Simon (1997) Introduction à la lecture de Saussure, Paris, Payot.
- (2003) Saussure un siècle après ,in Simon Bouquet éd. (2003).
  éd. (2003) Saussure, Cahiers L'Herne 76, Paris.
- Bergounioux, Gabriel (1993) Le tournant psychologique de la linguistique saussurienne: l'exemple de Bally et Sechehaye, Communication du 11 juin 1993 au Colloque, La psychologie et ses frontières du XIX ième siècle à nos jours, Actes polygraphiés du colloque. 361-377.
- Calvet, Louis Jean (1974) Pour et contre Saussure, Paris, Payot.
- Constantin, Emile (2005) Linguistique générale, Cours de M. le Professeur de Saussure, 1910-1911, CFS, 58. Paris, Droz. 83-290. Suivi de Saussure, F. de : Notes préparatoires pour le cours de linguistique générale 1910-1911. (Texte établi par Gambarara, D et Mejía Quijano, C).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- CLG/ De Mauro =Saussure, Ferdinand (1916) Cours de linguistique générale, Paris, Payot, 1974, (Edition critique préparée par Tullio de Mauro.
- CLG/ Engler = Saussure, Ferdinand de (1916) Cours de linguistique générale, Tome 1, (1968) Tome 2 Appendice, (1974) Notes de F. de Saussure sur la linguistique générale, Edition critique par Rudolf Engler, Otto Harrassowitz, Wiesbaden.
- Engler, Rudolf (2003) Polyphonie, Simon Bouquet, éd. (2003). 16-19.
- Fehr, Johannes (2000) Saussure entre linguistique et sémiologie, Paris, PUF.
- Gambarara, Daniele (2005) Un texte original, CFS, 58, Paris, Droz. 29-42.
- Godel, Robert (1954) Notes inédites de F, de Saussure, CFS, 12, Paris, Droz. 49-71.
- Godel, Robert (1959/ 1969) Les sources manuscrites du CLG de F. de Saussure, Genève, Droz.
- Mejia Quijano, Claudia (2005) Sous le signe du doute, Présentation des textes d'Emile Constantin, CFS 58, Paris, Droz. 49-51.
- Pergnier, Maurice (2012) De Saussure à Saussure, Bruxelles, Editions l'Age de l' Homme.
- Pétroff, André–Jean (2004) Saussure : la langue, l'ordre et le désordre, Paris, L' Harmattan.
- Pétroff, André–Jean (2007) L'autre Saussure, in Siemen, http//semen, Revues, org/ 4281.
- Rastier, François (2003) Le silence de Saussure ou l'ontologie refusée, in Simon Bouquet, éd. (2003) Saussure, Cahier de l'Herne 76, Paris. 23-51.
- Rastier, François (2005) Saussure au futur, Ecrits retrouvés et nouvelles réceptions, Texto! http://www,revue-texto,net/ Saussure/ Sur Saussure /Rastier_Saussure, html.
- Rastier, François (2012) Lire les textes de Saussure, Langages 185, Paris, A. Colin. 7-20.
- Rastier, François (2015) Saussure au futur, Paris, Les Belles Lettres, (Collection encre marin).
  النص العربي ترجمة حافظ إسماعيلي علوي (2021) عمان، دار كنوز المعرفة،
- Rousseau, André (2006) Saussure descripteur des langues à la lumière d'un cours inédit sur le gotique, in Louis de Saussure (2006) Nouveaux regards sur Saussure, Genève, Droz.71-94.
- Saussure, Ferdinand de (1957) Cours de linguistique générale, Cours II (1908-1909) Introduction d'après des notes d'étudiants, CFS, 15, Genève, Droz. 6-103.
- Saussure. F de (1993) Saussure's Third Course of Lectures on General Linguistics (1910-1911) From the Notebooks of Emile Constantin, Edited and translated by Eisuke Komatsu and Roy Harris, Oxford, New York, Pergamon.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- Saussure, F. de (1996) Saussure's, First Course of Lectures on General Linguistics (1907) From the Notebooks of Albert Riedlinger, Edited and translated by Eisuke Komatsu and George Wolf, Oxford, New York, Pergamon.
- Saussure, F. de (2002) Ecrits de linguistique générale (= ELG), Paris, Gallimard, (Texte anoté par S. Bouquet et R. Engler).

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص77-91)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

سوسير ومحيطه الثقافي: جدلية الامتداد والقطيعة

أ.د. ربيعة العربي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر/ المغرب

raelarabi@hotmail.fr

الملخص:

يربط هذا المقال فكر دو سوسير بالسياق التاريخي والمحيط الثقافي العام الذي تبلور فيه هذا الفكر، ويحاول تتبع مختلف الاتجاهات العامة التي كانت سائدة في النصف الثاني من ق*19* والتي شكلت روافد هامة لنظرية دو سوسير، وذلك من منطلق أن الفكر اللساني هو جزء من الفكر الإنساني، وبالتالي فهو خاضع لجدلية الامتداد والقطيعة.

لقد استفاد دو سوسير من علم التشريح المقارن والجيولوجيا والعلوم الاجتماعية والفلسفة وعلم النفس وغيرها من العلوم التي أثرت بشكل مباشر على الدرس اللغوي عموما وعلى اللسانيات السوسيرية على وجه الخصوص.

بالإضافة إلى هذه العلوم كان للمحيط الثقافي الذي نشأ فيه دو سوسير هو أيضا دور إيجابي ساعده في بناء مشروعه الفكري، فسوسير كان معاصرا للسانيين كبار من أمثال بهاس وأوطو يسبرسن وبول باسي وسيجموند فرويد ودوركهايم وهنري برجسن وغيرهم من المفكرين الذين كان لهم تأثير مباشر على فكر دو سوسير سواء في بناء تصوره ومنهجه أو في اقتراحه لجملة من المفاهيم المؤسسة.

الكلمات المفتاحية:

قطيعة إبستيمية، أنموذج، المحيط الثقافي، الداروينية، علم التشريح المقارن، الفلسفة الوضعية، النسق، المقاربة البنيوية، المقاربة التاريخية التجزيئية، الدياكرونية، السنكرونية.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

Saussure and its cultural environment

The dialectic of extension and rupture

Pr. Rabiaa Elarabi

faculty of letters and human sciences, ibn Zouhr University

raelarabi@hotmail.fr

***Abstract*:**

This article links the thought of de Saussure to the historical context and the general cultural environment in which this thought developed, and attempts to review the various general trends that prevailed in the second half of the 19th century, and that constituted important sources of the theory of de Saussure. We adopt in this article that Human thought, is subject to the dialectic of extension and Epistemological estrangement.

Saussure had a wide knowledge of comparative anatomy, geology, social sciences, philosophy, psychology, and other sciences that have directly influenced linguistic thought in general, and saussurian linguistics in particular.

In addition, his cultural environment also had a positive role in helping him to build his theory. Saussure was a temporary of great linguists such as Boas, Otto Jespersen Paul Passy, Sigmund Freud, Emile Durkhelm, Henry Bergson and other thinkers who had a direct influence and whose ideas were background adopted by Saussure in establishing his theory and methodology and in proposing a set of Important concepts.

Keywords:

Cultural paradigm - universal system of language - General Linguistics-diachronic- synchronic

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

للحديث عن المحيط الثقافي الذي بلور فيه دو سوسير نظريته اللغوية، وربط هذه النظرية بجدلية الامتداد والقطيعة ننطلق من مسلمتين أساسيتين:

- الفكر اللساني هو جزء من الفكر الإنساني العام، وبالتالي لا يمكن فهمه وضبطه إلا بربطه بمجمل الحقول المعرفية، ومن هنا يغدو رصد تاريخ اللسانيات في جزء منه رصدا لتاريخ الأفكار، ويغدو الوقوف على النظرية اللغوية متعذرا دون الوقوف على المحيط الثقافي العام بأبعاده المتعددة بما في ذلك البعد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعلمي الذي أسهم في بلورته؛ أي بعبارة أخرى البراديغم الثقافي.
- ليس هناك فواصل صارمة بين الحقول المعرفية؛ بل هناك علائق فيما بينها تمكنها من تبادل التأثير والتأثر. من هذا المنطلق نربط نظرية سوسير التي ظهرت في بداية القرن العشرين بالحركة الثقافية العامة التي سادت في القرن 19 باعتبارها حركة هيأت المناخ العلمي العام الذي انتقل باللسانيات من أنموذج paradigm إلى أنموذج آخر وهيأ لسوسير، بالتالي، إحداث قطيعة إبستيمية مع نمط التصور اللغوي الذي كان سائدا في عصره. من هنا نلح على أنه لوضع نظرية سوسير في سياقها التاريخي وتقديم صورة متكاملة عن محيطه الثقافي لابد من رصد الاتجاهات العامة خلال النصف الثاني من ق19، ليس فقط في حقل اللغة؛ بل أيضا في حقل الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد السياسي والتاريخ والسياسة والعلوم الطبيعية والفيزيائية وغيرها من العلوم التي كان لها تأثير على الباحثين في حقل اللسانيات.

كانت اللسانيات في القرن التاسع عشر منفتحة على جملة من التأثيرات من حقول معرفية متعددة وجدت صدى لها في التصورات اللغوية التي صيغت في تلك الفترة. يمكن أن نستدل على قولنا هذا بإنجاز كوفيير *Cuvier* 1817 في علم التشريح المقارن الذي كان منطلقا لغريم *Grimm* وبوب *Bopp* وشليجل *Schlegel* لتقديم مجموعة من الاقتراحات التي تهم بنية اللغة ووسائل وصفها، فقد انطلقوا من النظر إلى اللغة باعتبارها كائنا حيا. الأمر نفسه يمكن أن

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص77-91)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

نقوله عن الداروينية التي أثَّرت في فكر شلايشر *Schleicher* ودفعته إلى تأسيس مبادئه النظرية بربطها بمبادئ التطور كما بسطها داروين في كتابه أصل الأنواع 1859. بالإضافة إلى هذه التأثيرات، نجد التأثير الذي مارسته الجيولوجيا على الدرس اللغوي في تلك الفترة، وخير مثال على ذلك مبادئ الجيولوجيا لـليل Lyell سنة 1830 التي مكنت لسانيي القرن 19 من صوغ المبادئ المنهجية التي خولت لهم تفسير التغيرات اللغوية (كورنر 1971، ص4). تشير هذه الأمثلة وغيرها إلى مدى تأثير إنجازات العلوم على الدرس اللغوي ليس فقط من حيث التصورِ والمنهجِ والنتائجِ؛ بل أيضا على المفاهيم. إذا تجاوزنا العلوم الطبيعية والجيولوجية نجد أن الدرس اللغوي قد تأثر أيضا بالعلوم الاجتماعية. للتدليل على ذلك يقدم كونراد كورنر *Konrad Koerner* (ن. م، ص4). أمثلة عديدة؛ فويتني *Whitney* مثلا، حين أكد الطبيعة الاجتماعية للغة كان متأثرا بالعالم الاجتماعي سبنسر *Spenser*، ولا ننس أيضا التأثير الكبير للفلسفة؛ فأفكار هامبولدت *Humboldt* اللغوية كانت امتدادا لآراء كانت Kant، كما أثر النسق الفلسفي لهيجل *Hegel* في النظرية اللغوية لشلايشر *Schleicher*، ومن المرجح أيضا أن سوسير تأثر بموسوعة هيجل Hegel 1817، وخاصة فيما يتعلق بمسائل التعارض والاختلافات وطبيعة اللغة. بالإضافة إلى هذا هناك تأثير الفلسفة الوضعية ونذكر على الخصوص أوغست كونت *Auguste Comte* وكتابه "دروس في الفلسفة الوضعية" الذي أعيد طبعه خلال أكثر من خمسين سنة وكان له تأثير حاسم على تطور ليس فقط اللسانيات؛ بل أيضا العلوم الإنسانية بوجه عام (ن. م، ص5).

علم آخر شكل مكونا من الأنموذج الثقافي للقرن 19 هو علم النفس، وهنا نذكر فيكتور إجر *Victor Egger* الذي نشر كتابه الموسوم بـ"الكلام الداخلي" *La parole intérieure* سنة 1881 وهو محاولة في علم النفس الوصفي تستثمر العلاقة بين الفكر واللغة والظاهرة المرتبطة بالكلام غير المنطوق *subvocalisation*، بعده ظهر كتاب مبادئ علم النفس لويليام جيمس *William James* سنة 1890 الذي كان له أيضا تأثير كبير على الحقل اللساني.

تأسيسا على ما سبق سنحاول في هذا البحث رصد المحيط الثقافي الذي طور فيه دو سوسير فكره وذلك لتحقيق استراتيجية عامة تتلخص في ضبط الامتدادات والقطائع، مع التركيز على أن الإحاطة الكافية بفكر سوسير لا يجب أن تغفل الظروف الاقتصادية والسياسية التي لها هي الأخرى دورها في تفسير تشكل تصور دو سوسير بخصوص طبيعة اللغة.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

1. حياة سوسير:

إذا ألقينا نظرة على المحيط الثقافي لسوسير نلحظ أنه كان معاصرا لمجموعة من أعلام الفكر. عاصر سوسير لسانيين كبار من أمثال بواس *Boas* (1858-1942) وأوطو يسبرسن *Otto Jespersen* (1860-1943) وبول باسي *Paul Passy* (1859-1940) كما عاصر مؤسس التحليل النفسي سيجموند فرويد *Sigmund Freud* (1858-1939) وعالم الاجتماع دوركهايم *Emile Durkhelm* والفيلسوف هنري برجسون *Henri Bergson* (1859-1941) والعديد ممن أسهموا في تقدم العلوم والمعرفة الإنسانية، ولا يمكن أن نقف على المحيط الثقافي لسوسير إذا نحن أغفلنا المفكرين الذين تتلمذ عليهم من أمثال جورج كورتيوس *Georg Curtius* الذي درس على يديه النحو المقارِن وأوغست ليسكيان *August Leskien* الذي درس على يديه السلافية والليتوانية وإرنست فندش *Ernest Windisch* الذي درس على يديه السلتية وهرمان أوسطوف *Herman Osthoff* الذي درّسه السنسكريتية وويليام براون *William Braune* الذي درسه تاريخ الألمانية، أضف إلى ذلك ما ورد عند هوكيت Hockett (هوكيت 1965، ص186) الذي أشار إلى احتكاكه به حينما التحق بجامعة ليبزيغ سنة 1876 بـ فرنر *Verner* وبروغمان *Brugman* وسيفرز *Sievers* وبراون *Brown*.

إذا انتقلنا من المحيط الثقافي العام لنتحدث عن الحياة الخاصة لسوسير نصادف ما قاله موريل ليما *Mourelle-Lema* (موريل 1969، ص4) الذي يتلخص في أنه ليس هناك الكثير مما يمكن قوله بهذا الخصوص، وهذا في حد ذاته يطرح مشكلا، كما أشار إلى ذلك مونان *Mounin* (مونان 1968، ص12-13) وخاصة إذا ما رُبط بالفهم الحقيقي لعمله. إن حياة دو سوسير يمكن أن تفسر بعمق عمله ليس من حيث حوافزُه التاريخية والاجتماعية والشخصية؛ بل أيضا من حيث دقتُه ومعماريتُه. إن المصادر التي أرخت لمونجان فرديناند دو سوسير (كورنر 1971، ص21-22) *Mongin-Ferdinand De Saussure* تذكر أنه ولد في 17 نونبر 1857 في جنيف بسويسرا، وهو من أسرة تميزت بنشاطها العلمي. التحق بجامعة جنيف سنة 1875 في عمر 17 عاما لمتابعة الدراسة في العلوم الطبيعية. في هذه الفترة تحول إلى الاهتمام بالدراسات اللسانية بفضل أدولف بكتيت *Adolph Pictet* (1799- 1875) صاحب كتاب أصول الهندية الأوروبية *Origines Indo –européennes*- وقد اطلع دو سوسير على مجموعة من فصول هذا الكتاب فحرر مقاله الموسوم بـ"النسق العام للغة" الذي أطلع عليه بيكتت، غير أن هذا الأخير نبهه إلى طموحه الزائد فترك سوسير فكرة الانشغال بالنسق الكلي للغة وحاول دراسة اللغات الهندية الأوروبية. في خريف 1876 التحق بجامعة ليبزغ لدراسة اللسانيات الهندية الأوروبية، ومن ثمة أصبح عضوا في "جمعية

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

اللسانيات بباريس". في سنة 1881 حصل على منصب أستاذ محاضر للقوطية والألمانية القديمة وفي 1891 عاد إلى جنيف ليَدَرِّس التاريخ المقارن للغات الهندية الأوروبية إلى غاية 1896 حيث توارى عن الأنظار ودخل في عزلة تامة وانقطع إنتاجه العلمي (دبة 2001، ص54). اعتبر مونان (مونان 1968، ص15) أنه انهار أمام إحساسه بعدم فهم الناس له. أما غودل *Godel* (غودل 1966، ص479) فقد أشار إلى أن سوسير كان يكره تقديم محاضراته؛ إذ أصيب بالاكتئاب والحيرة والإحساس بعدم الكفاية. يقول: "حوالي نهاية 1906 تم تعيينه لتقديم محاضرة في اللسانيات العامة في جامعة جنيف التي كان يُدَرس بها السنسكريتية والفيلولوجيا المقارنة لخمسة عشر عاما. أخبرني صديق له أن هذا التعيين الجديد كان ببساطة يفزعه. لم يكن يحس بأنه في مستوى المسؤولية ولم تكن لديه الرغبة في القضاء على هذه المشاكل بشكل نهائي. لكنه كان يقوم بما كان يعتقد أنه واجبه".

أشار بلومفيلد *Bloomfield* (بلومفيلد 1970، ص106) إلى أن سوسير كان هو الوحيد الذي يحاضر في اللسانيات العامة، لأن الاهتمام الذي كان سائدا في تلك الفترة هو تاريخ اللغات والأسر اللغوية ولم يكن هناك إلا اهتمام قليل بالمظاهر العامة للكلام البشري، ولعل هذا الأمر، في اعتقادنا، هو الذي جعله قلقا وفي حيرة من أمره، فقد أشار (سورن 2016، ص3) إلى أن هناك الكثير من الشهادات التي تؤكد بأن سوسير كان في حالة دائمة من عدم الثقة بالنفس وعدم الاطمئنان إلى الأفكار الجديدة التي اقترحها خلال المحاضرات، وقد يكون هذا هو السبب وراء عدم نشر سوسير لمحاضراته. يقول سورن (ن. م، ص2): "إن كون سوسير لم يكتب بنفسه نص محاضراته مهم رغم أنه يُنسى غالبا".

فبالي وسيشهاي يعتذران بحرارة في تقديمهما للطبعة الأولى قائلين إنهما اجتهدا لـ"بلوغ الفكر الذي هما فقط صدى له" وأن "[الـ]أستاذ قد لا يكون مجيزا لنشر هذه الصفحات".

غير أنه في الآن نفسه، يشير إلى أن سوسير لم يكن دائما مترددا؛ بل على العكس حينما كان شابا كان مغرورا وسبّاقا على المستوى الثقافي.

بخصوص الإنتاجيات العلمية لسوسير، نسجل أنه شرع في كتابة المقالات منذ أن كان عمره سبعة عشرة سنة، وفي سن الواحد والعشرين؛ أي في سنة 1878 ألف كتابا من 326 صفحة بعنوان "أطروحة حول النسق البدائي للصوائت في اللغات الهندية الأوروبية". يشير كورنر *Koerner* (كورنر1971، ص24) إلى أن سوسير سعى في أطروحته هاته إلى تقديم أساس لأصل الصوائت الهندية الأوروبية مستعملا في ذلك مفهوم النسق *system* بمعنى دقيق لم يسبق إليه واعتبر لراي *Leray* (لراي1967، ص33) أن سوسير أسس في هذه الأطروحة لنظرية الجذر التي شكلت

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

منطلقا للدراسات في مورفولوجيا اللغات الهندية الأوروبية، ويشير سورن (سورن 2016، ص3) إلى أنه اقترح في هذه الأطروحة فرضية جريئة وذكية حول أصل نسق الصوامت الهند-أوروبية، وهذا وحده كان كافيا لجعله يحظى بموقع بارز في تاريخ اللسانيات.

إن تركيز سوسير في هذه الأطروحة على العلاقات الداخلية المتحكمة في نسق اللغات الهندية- الأوروبية مكنه من تجاوز المنهج الذي كان سائدا في تلك الفترة والذي كان يعتمد بالأساس على الوصف الصوتي. بهذا يمكن القول إن سوسير قد أحدث قطيعة مع التصور السابق الذي كان يتبنى المقاربة التاريخية التجزيئية التي كانت تميز لسانيات عصره بانطلاقه من مجموعة من الفرضيات الجريئة. في الإطار يقول لبشاي (لبشاي 1970، ص42) "ترتبط اكتشافات سوسير في الأطروحة بتحليل لا نتردد اليوم في تسميته ببنيوي. بأخذ النسق في شموليته بعين الاعتبار افترض عناصر ذات طابع مجرد تحددت على أساس وظيفتها البنيوية عوض شكلها الصوتي".

غير أن هذه القطيعة كانت تحمل في طياتها امتدادا لتصورات لاحقة، هي التي جعلت غودل *Godel* (1966) يعتبر أنه بمقارنة الأطروحة مع المحاضرات يمكن أن نذهب إلى الاعتقاد بأن هناك تطورا طبيعيا خولت له العديد من الظروف أن يغير مسار دو سوسير من النحو المقارن إلى النظرية اللغوية. وأيضا لتطورات سابقة جعلت كورنر (كورنر 1971، ص25) يؤكد أن سوسير لم يتحول عن اللسانيات التاريخية التقليدية والدراسات المقارنة للهندية الأوروبية؛ بل كان هناك تطور ثابت من اللسانيات الدياكرونية إلى المقاربة السنكرونية للغة، وقد دعم رأيه هذا بإشارة سوسير الذي اعتبر أنه ينبغي البدء باللسانيات التاريخية قبل دراسة اللسانيات السنكرونية. يقول: "يجب أن نشير إلى أن سوسير لم يتحول عن اللسانيات التاريخية التقليدية والدراسات المقارنة للهندية أوروبية؛ بل كان هناك تطور ثابت من اللسانيات الدياكرونية إلى المقاربة السنكرونية للغة".

في سنة 1881 قدم دو سوسير رسالة لنيل الدكتوراه في جامعة ليبزغ بعنوان "استعمال الجر المطلق في اللغة السنسكريتية *De l' emploi du génitif absolu en sanscrit* لكن بعد هذه الإنجازات الرائدة، كما يشير سورن (سورن 2016، ص2)، كان هناك تدنٍ مثير لحجم منشوراته وطبيعتها. فإلى حدود وفاته في 1913، نشر عددا قليلا من المقالات القصيرة جدا في أغلبها، كلها حول جزئيات إيثيمولوجية أو جزئيات لهجية. أما بخصوص الأفكار المعروضة في المحاضرات فلم يسبق له أن نشر ولو كلمة منها رغم أنه بلور هذه الأفكار منذ 1880 وما بعدها.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

2. إشكال التأثير الخارجي

1.2. الطابع الاجتماعي للسان

بدا تأثير دوركهايم *Durkheim* على دو سوسير واضحا من خلال محاضراته، وذلك بتأكيده الطابع الاجتماعي للسان، فهو يرى أن اللسان نتاج اجتماعي لملكة اللغة، وهو عبارة عن اصطلاحات تواضعت عليها العشيرة اللغوية. هذا ما جعل اللسانيين الذين أتوا بعد سوسير يعتبرون أن اللسانيات السوسيرية هي بالأساس اجتماعية من حيث طبيعتُها وأن التنظير الدوركهايمي الاجتماعي هو المصدر الأساس لفكر سوسير. هذا ما أشار إليه فندرييس *Vendryes* (فندرييس 1952، ص18) مثلا، بقوله: "من خلال قراءة كتابه (أي المحاضرات) يتشكل لدينا انطباع قوي بكون اللسانيات (السوسيرية) هي بالأساس اجتماعية"، وهذا ما أشار إليه أيضا دينن *Dinneen* (دينن 1967، ص192) بقوله: "حينما نفحص بعض الإسهامات المميزة لسوسير في المقاربة البنيوية للغة يمكن أن نقدر إلى أي حد تأثر بأفكار دوركهايم".

قد يكون مرد هذا الانطباع تأكيد دو سوسير في تحديده للسان على أنه "مؤسسة اجتماعية". فسوسير يعتبر اللسان معطى اجتماعيا مستقلا عن الأفراد، وهو موجود بفعل تعاقد بين أفراد العشيرة اللغوية، فسوسير هنا يستخدم مفهوم "اجتماعي" بربطه بآلية التغير اللغوي. يستخدم الأفراد اللسان كل يوم، وهذا يتضمن أنه معرض للتأثير المستمر الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى إحداث تغيرات لغوية.

إذا كان فندرييس قد أشار إلى أن سوسير كان متأثرا بنظرية دوركهايم في تأكيده الطابع الاجتماعي للسان وتبعه في ذلك دينن وروبنس *Robins* (روبنس 1967، ص200)، وغيرهم، فإن كورنر (كورنر 1971، ص50) يتخذ منحى آخر باعتباره أن هذه الفكرة كانت من ضمن المعرفة المشتركة بين لسانيي عصره. للتدليل على ذلك يحيل على بلومفيلد (1970) حيث جاء في مقدمة كتابه قوله: إن لغة الفرد: "ليست من إبداعه ولكنها تتشكل من العادات التي يتبناها أثناء تواصله التعبيري مع أفراد عشيرته".

وفي هذا إشارة إلى أن ال فرد لا يمكن أن يستعمل اللسان إلا بالطريقة نفسها التي يُستعمل بها من قبل العشيرة اللغوية، أما بخصوص التغير اللغوي فبلومفيلد يعتبره تغيرا تدريجيا وغير واع.

من خلال هذه المقارنة ينتهي كورنر (1971) إلى خلاصة مفادها أنه بغض النظر عن المصطلحات السيكولوجية التي وظفها بلومفيلد للتعبير عن فكرته، يمكن أن نلاحظ أوجه الائتلاف

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص77-91)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

بين نصوص بلومفيلد المتأثر بعلم النفس عند فاندت *Wundet* ونصوص سوسير المتأثر بعلم الاجتماع الدوركهايمي.

يذهب كورنر أبعد من هذا في محاولته تأكيد أن القول بالبعد الاجتماعي للسان لم يكن بتأثير من دوركهايم؛ بل كان التأثير من داخل الحقل اللساني وخاصة ويتني. للتدليل على ذلك يرتكز على معطيين:

1. المعطى الأول: يتمثل في إحالة دو سوسير في محاضراته على ويتني *Whitney* في اعتباره اللسان مؤسسة اجتماعية. لقد أشار ويتني سنة (ويتني 1867، ص38) إلى أن اللسان ليس نتاجا فيزيائيا وإنما هو مؤسسة اجتماعية، فويتني يشير بوضوح إلى أن اللسان ليس ملكا فرديا؛ بل هو ملك جماعي، وهذا التعارض بين ما هو فردي وما هو جماعي هو ما مكن سوسير من إقامة الثنائية لسان/ كلام.

2. المعطى الثاني: يتمثل في الوقوف عند المسألة الاصطلاحية لإجراء مقارنة بين المصطلحات التي استعملها دوركهايم وتلك التي استعملها دو سوسير؛ فدوركهايم استعمل مفهوم القيد الاجتماعي الذي بواسطته حدد المعطى الاجتماعي، وعلى العكس من ذلك أشار دو سوسير في العديد من المواضع إلى الحرية الفردية في الكلام.

نعتبر أن دو سوسير رغم كونه قد ألح على الطابع الفردي في تحديده للكلام، فإنه في الآن نفسه قد ألح على الطابع الاجتماعي في تحديده للسان، وبالتالي لا يمكن أن ننفي تأثره بدوركهايم خاصة وأنه قد تساءل عما إذا كان بالإمكان إدراج اللسانيات في علم الاجتماع ما دام اللسان معطى اجتماعيا.

إذا كنا نعتبر أن تأثر دو سوسير بويتني ودوركهايم يمثل للامتداد، فإن القطيعة التي أحدثها دو سوسير بخصوص هذه المسألة تتلخص في المنظور وطريقة التناول، ذلك أنه نظر إلى اللسان ليس في بعده الاجتماعي فحسب؛ بل أيضا في بعده النسقي. يؤكد سوسير الخاصية النسقية للسان محددا إياه باعتباره نسقا من العلامات الاعتباطية أو الاصطلاحية. علامات ترجع أصولها إلى التواضع والاصطلاح، إنه شفرة.

إن نسقية اللسان في تصور دو سوسير تتزاوج مع بعد هام ومحدد هو البعد السيميولوجي، فسوسير اعتبر اللسان معطى اجتماعيا بسبب خاصيته السيميولوجية؛ إذ يعتبر أن المعطى اللغوي هو الذي يخلق ما يوجد داخل النسق السيميولوجي. وهذا المنظور هو الذي جعل سوسير يقترح علما جديدا يدرس نسق القيم الاجتماعية الاعتباطية الثابتة: أي العلامات. هذا العلم هو الذي سماه السيميولوجيا.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

2.2. اعتباطية العلامة اللغوية:

لاحظ ويتني في دراسته لطبيعة اللسان أنه نسق من العلامات الاعتباطية، وقد أشار سوسير إلى أن ويتني يقيم ترابطا بين طبيعة اللسان باعتباره مؤسسة اجتماعية والطابع الاعتباطي للعلامة اللغوية، واعتبر أن المتحكم في هذا الترابط هو مفهوم المواضعة والاصطلاح. لخص سوسير (سوسير1894، ص13أ) ذلك بقوله: "يكفي القول إن قوة العلامات هي في طبيعتها الاصطلاحية وطبيعتها الاعتباطية وطبيعتها المستقلة عن الوقائع التي تشير إليها".

إذا كان القول باعتباطية العلامة يشكل امتدادا لما ورد عند ويتني، فإن سوسير قد تناوله من منظور أدق؛ إذ اعتبر هذه الاعتباطية هي السمة التي تميز اللسان عن باقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى؛ فقد أشار في العديد من المواضع في محاضراته إلى أن اللسان اصطلاح، وهي فكرة كانت واردة أيضا عند ويتني الذي أشار إلى الطبيعة الاعتباطية للعلامة اللغوية، لكن ويتني لم يشر إلى أن هذا هو ما يميزها عن باقي المؤسسات الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك يقيم ويتني تمييزا بين العلامة وما تدل عليه معتبرا أن الكلمات ما هي إلا علامات على الأفكار.

نرى أن سوسير بدوره يقيم هذا التمايز غير أنه يختلف عن ويتني في كونه أقام هذا التمايز في إطار العلامة اللغوية بين الدال والمدلول وليس بين العلامة اللغوية وما تحيل عليه في العالم الخارجي، وهو بهذا يكون قد تجاوز الطرح الذي تبناه ويتني الذي أقام تقابلا بين العلامة وما تحيل عليه، بينما حصر سوسير اهتمامه في طرفي العلامة؛ أي الدال والمدلول وأخرج من دائرة اهتمامه المدلول عليه.

3.2. ثنائية لسان/ كلام

انبثق التمييز بين اللسان والكلام من إشكالات لها علاقة بقضية آليات التغير اللغوي وأسبابه (تشومسكي 1966، صx) بخصوص هذه ثنائية يعتبر كورنر (كورنر1971، ص225) أن تمييز سوسير بين اللسان والكلام له أهمية بالغة في النظرية اللسانية. أهمية فرضتها إشكالات لغوية وليس تصورات خارجة عن طبيعة اللغة وتطورها. في هذا الإطار، يشير إلى أن هذه الثنائية اعتبرها العديد من الباحثين مستوحاة من فان دير كبانتز *Von der Gabelentz* (1891) ويعتبرها دو مورو (مورو1968، ص350) مستوحاة من هرمان بول Herman Paul الذي ظهر له كتاب مشهور سنة 1880 بعنوان *The History of Language Principles* تضمن التمييز بشكل واضح بين اللسان *sprachusus* والكلام *sprenchtätigkeit*.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

إذا كان دو مورو قد اعتبر أن ثنائية لسان/ كلام تعد امتدادا لما نجده عند هرمان بول *Herman Paul*، فإن كورنر(كورنر1971، ص226) اعتبرها أيضا امتدادا لما طرحه هيجل؛ بل هي أيضا امتداد لما نجده عند ويتني الذي اعتبر أن الإنسان يتوفر على ملكة الكلام التي هي من أهم خصائصه المميزة، وأكثر من هذا يشير إلى أن هذه الثنائية تندرج في إطار ما سماه المعرفة المشتركة محيلا بهذا الخصوص على مقدمة بلومفيلد (1914) التي يؤكد فيها أنه على الفرد أن يتكلم كالآخرين وإلا لن يتم فهمه وأنه ينبغي أن يتبنى نفس اللسان الذي تتكلم به العشيرة اللغوية، وفي هذا إشارة واضحة إلى ثنائية لسان/ كلام الواردة عند سوسير.

إن الربط الذي أقامه دو سوسير بين هذه الثنائية وظاهرة التغير اللغوي، نجده أيضا واردا عند بلومفيلد الذي يرى أن هذه الظاهرة ترتبط بالتغير التدريجي اللاإرادي في عادات العشيرة اللغوية برمتها.

غير أن كورنر (ن. م، ص54) يميل إلى اعتبار أن هذه الثنائية قد اقتبسها سوسير من ويتني بالأساس، خاصة وأنه يربطها بظاهرة التغير اللغوي. هذا الر بط نجده أيضا قائما عند ويتني الذي يرى أن كل تغيير في اللسان يكون مصدره الفرد؛ فتأثير الفرد يظل بلا فائدة ما لم تتبناه العشيرة اللغوية، بل أكثر من هذا نجد ويتني –كما يؤكد كورنر (ن. م، ص79) قد أشار إلى الطبيعة النسقية للسان في محاولته لجرد أصوات اللغة الإنجليزية. يقول: "ليس هناك فوضى ولكن [هناك] نسق من التمفصلات مع شبكة من التعالقات القائمة بينها في مختلف الاتجاهات".

4.2. مفهوم القيمة

إن مفهوم القيمة -كما يشير إلى ذلك إستانيسلو صوفيا *Estanislao Sofia* (2013 أ)- أثار جدلا حادا، وقد تولدت عن هذا الجدال مجموعة من الآراء المتضاربة.

إذا انطلقنا من التحديد الذي صاغه سوسير لمفهوم القيمة، يظهر لنا أنه أخذه من الاقتصاد السياسي، فبعد أن أكد أن اللسانيات، شأنها في ذلك شأن الاقتصاد السياسي، تتضمن مفهوم القيمة، اعتبر أنه في كلا المجالين يجب التعامل مع نسق التوازنات بين شيئين متقابلين. يقول سوسير (سوسير1916، ص115) "في أحدهما (الاقتصاد السياسي) بين العمل والأجر وفي الآخر (أي اللسانيات) بين الدال والمدلول".

في نفس الاتجاه ربط باريونت *Pariente* (1969) بين مفهوم القيمة الوارد عند دو سوسير ومفهوم "قيمة المبادلات *valeur d'échange*" الوارد عند والراس *Walras* (1834-1910) في كتابه "مبادئ الاقتصاد السياسي" *Eléments d'économie politique*.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

إذا تجاوزنا باريونت نجد أن سويجر *Swiggers* (سويجر1982، ص329) قد حاول الاستدلال على أن المفهوم كان مستعملا في ق 19 وما قبله، معتبرا أن سوسير عقد مقارنة بين قيمة الكلمات وقيمة النقد، وهذا يحيل على الاقتصاد، وهي الفكرة التي يدافع عنها سلجزارفا *Sljusareva* (سلجزارفا 1980، ص541) وبنزيو *Ponzio* (وبنزيو2005، ص2) الذي يفترض أن دو سوسير قد أخذ مفهوم القيمة من المدرسة الهامشية في الاقتصاد التي طورها منجر *Menger* (1840-1921) ومدرسة لوزان التي طورها والراس وباريتو *Pareto* (1848-1923). يقول: "نلاحظ في نظرية القيمة اللغوية لدو سوسير تماثلات غير عرضية مع نظرية القيمة الاقتصادية لمدرسة لوزان".

في اتجاه مغاير، يرى سويجر (سويجر 1982، ص329) أن مفهوم القيمة ظهر عند جيرار *Girard* منذ 1747 في إطار نظرية لسانية بمعنى تقني يشبه المعنى التقني الذي يحيل عليه مفهوم القيمة عند دو سوسير، مستدلا على ذلك بقول جيرار (جيرار 1747، ص5- 6). "إن جوهر الكلمة هو صوت متلفظ يولد في الذهن فكرة. إن هذه الخاصية هي ما نسميه قيمة".

إذا عدنا إلى دو سوسير (سوسير 1916، ص158) نقرأ: "حينما نتحدث عن قيمة كلمة ما نفكر غالبا وقبل كل شيء في خاصية تمثيلها لفكرة، وهذا بالفعل من بين جوانب القيمة اللغوية. لكن إذا كان الأمر كذلك في ماذا تختلف القيمة عن الدلالة؟ هل هاتان الكلمتان مترادفتان. لا نعتقد ذلك رغم أنه يسهل الخلط بينهما".

هذا يعني أن دو سوسير قد أقام تمايزا بين القيمة والدلالة. يقول: "لأن القيمة منظورا إليها في جانبها التصوري هي بدون شك عنصر [من عناصر] المعنى وهذا يجعلنا ندرك وجود جوانب أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار. هنا أيضا يجب تمييز القيمة "منظورا إليها من جانبها التصوري" عن الدلالة".

خلاصة القول إن مفهوم القيمة عند سوسير يشكل امتدادا لمفهوم القيمة الوارد في إطار الاقتصاد السياسي، كما يمكن أن يشكل امتدادا لمفهوم القيمة الوارد في أطر مرجعية أخرى، غير أنه مع ذلك لا يمكن أن نقيم موازاة بينهما، لأن دو سوسير كما يشير إلى ذلك كورنر (1971) استعمله بشكل تقني وأوّله بشكل خاص به. بالإضافة إلى ذلك جعله منطلقا للتمييز بين المحور التزامني والمحور التعاقبي، فهو يميز بين الاتجاه التزامني الذي يدرس النماذج اللغوية والاتجاه التعاقبي الذي يدرس المِراحل اللغوية، مع الإلحاح على ضرورة الاهتمام بالمنظور التزامني؛ لأنه في رأيه هو الوحيد الذي يمِكن من اعتبار اللغة نسقا من القيم التي لا يحددها أي شيء خارج اللحظة الراهنة. إن هذا

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

الربط هو الذي ساقه إلى اقتراح علم جديد يدرس نسق القيم الاجتماعية الاعتباطية الثابتة؛ أي العلامات وهذا العلم هو الذي سماه السيميولوجيا.

5.2. التقابل بين اللسانيات التاريخية واللسانيات الوصفية

ننتقل إلى الحديث عن التقابل بين اللسانيات التاريخية واللسانيات الوصفية. في هذا الإطار يشير دينن *Dinneen* (دينن 1967، ص192) إلى أن سوسير طور مفهومه للسنكرونية بعدما تعرف على نظرية دوركهايم، مؤكدا أنه لم يكن راضيا على اعتبار اللسانيين المعاصرين له بأن اللسانيات التاريخية هي وحدها اللسانيات العلمية. يقول: "لم يكن يعرف كيف يمكن للدراسة التي لا تأخذ بعين الاعتبار التطور التاريخي للغة أن تكون أكثر دقة حتى تعرف على عمل دوركهايم".

يحاول كورنر (1971) أن يستدل على أن التقابل بين اللسانيات التاريخية واللسانيات الوصفية كان معروفا في الستينات والثمانينات من ق19، غير أن سوسير قام بإبراز هذا التقابل بشكل واضح. معتبرا أنه بالرغم من أنه لم ينشر أي شيء مرتبط باللسانيات العامة فهناك ما يشير إلى أنه أقام هذا التمييز في الثمانينات من ق19؛ أي قبل صدور كتاب دوركهايم *les règles de la méthode sociologique* سنة 1895.

إذا كان دينن يرجع التقابل الذي أقامه دو سوسير بين اللسانيات التاريخية واللسانيات الوصفية إلى دوركهايم، فإن بيرتيل ملمبرغ *Malmberg* (ملمبرغ 1990، ص22) يرجع هذا التقابل إلى هرمان بول *Hermann Paul*؛ إذ يشير إلى أن ما يثير الانتباه هو أن هرمان بول يقيم تمييزا بين النسق المجرد للعلاقات والتمظهر الملموس لهذا النسق. هذا يعني أنه قد ميز بين الاستعمال العام والمعيار الأمثل. يبين هذا التمييز أنه قد حاول البحث عن الصيغ التي تمكنه من الترميز للثابت باعتباره مقابلا للمتغير وأولى أهمية خاصة لوصف حالات اللسان. هذا ما يمكن أن نلمسه من خلال تنبيه هرمان بول إلى أن كل وصف تطوري يفترض أساسا له وصفا سنكرونيا. في هذا الاتجاه يقول ملمبرغ (ن. م، ص24): "يجب دائما أن نقرأ بين سطور بول لكي نكشف عن أفكار البنية والعلاقات السنكرونية التي توجد فيها".

خلاصة القول. كان غرضنا من هذا البحث هو إلقاء نظرة على المحيط الثقافي لسوسير وربط بعض الأفكار التي أتى بها بمجموع الأفكار التي كانت رائجة في عصره. ما يمكن استخلاصه بوجه عام هو أن سوسير قد طور هذه الأفكار وأدرجها في قالب نسقي وفي بناء نظري محكم في إطار جدلية الامتداد والقطيعة.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

المراجع

- ماري آن بافو جورج إلياس رفاتي 2012: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية. ترجمة محمد الراضي المنظمة العربية للترجمة – لبنان.
- الطيب دبة 2001: مبادئ اللسانيات البنيوية دراسة تحليلية إبستيمولوجية- دار القصبة للنشر الجزائر.
- Bloomfield .L 1933. Language .New York. Holt. Rinhart&Winston
- Chomsky. N 1966. Cartesian Linguistics. A chapter in the History of Rationalist Thought .New York Harper & Row
- Dinneen. F.1967. An introduction to General linguistics .New York. Holt Rinehart& Winston.
- Girard.G.1737. La justesse de la langue Française ou les différentes significations des mots qui passent pour synonymes. Laurent d'Houry. Paris
- Godel. R 1966.F. de Saussure 's theory of language. Current Trends in Linguistics III.
- Hockett. C.F. 1965. Sound Change. Language V 41 n 2.
- Lepschy. G. 1970. A Survey of structural Linguistics. London. Faber.
- Leroy. M. 1967. The main Trends in modern Linguistics Trans by Glanville Price. Oxford. Blackwe
- Malmberg.B 1990. En relisant Hermann Paul. in Working papers 36.
- Mounin.G .1968. Saussure ou le structuraliste sans le savoir. Paris. PUF.
- Mourelle-Lema. M. 1969. The geneva School of Linguistics .A Biographical Recor. Geneve School Reader
- Pariente. J. C. .1969 Essais sur Le langage. Textes de E. Cassirer. & al. Paris. Ed. De Minuit.
- Ponzio.A.2005. Valeur linguistique et valeur marchande. Saussure, Chomsky, Schaff, Rossi-Landi. Conférence Plénière prononcée à l'international Symposium, Language, literature and Semiotic, Budapest,13-14 décembre 2005.
- Robins .R.H. 1967. A Short History of Linguistics .Ibid & Bloomington. Ind. Indiana Univ. Press
- Saussure. F. 1894. Appraisal of Whitney' .Manuscriptin FdS .Notes inedites personnelles ed. by Rudolf Engler.Wiesbaden O. Harrassowitz1972.
- Saussure.F. 1957. Cours de linguistique générale. Introduction. Ed .by Robert Godel.CFS

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- Seuren.P.A.M. 2016. Saussure and his intellectual environment; History of Europeen Idea DOI: 10.1080⁄01916599. 22016. 1154398
- Sljusareva.N.A. 1980. Notion of Value.the Heart of F. de Saussure 'Theory of Language Zeitschrift fur Phonetic sprachwissenschaft und Kommunikatiosforschung vol XXXIII n 5.
- Sofia Estannislao. 2013a. Petite histoire de la notion saussurienne de valeur.in CI Normand & E.Sofia (dir) .Espaces theoriques du langage . Des paralleles flous; Louvain-la-Neuve ; Academia.
- Swiggers.P. 1982. De Girard a Saussure. Sur l'histoire du treme valeur en linguistique. Travaux de linguistique et littérature vol XX n 1.
- Vendryes. J.1952. Choix d' études Linguistique et Celtique. Paris. C. Klincksieck.

مجلة اللساني، المجلد (1) - العدد (1) شتاء 2021م (ص ص93-115)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة

أ.د. محروس السيد بريك

جامعة قطر، وكلية دار العلوم، جامعة القاهرة
mmohammad@qu.edu.qa

الملخص:

يحاول هذا البحث أن يقف على ملامح التلقي العربي الراهن لأعمال سوسير؛ وذلك بعد العثور على مخطوطات جديدة اكتُشفَت في مشتل البرتقال الخاص بآل سوسير عام *1996*م. وبخاصة أنه قد وردت بتلك المخطوطات أفكار تعارض بعض ما ورد في كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) الذي نشره بالي وسشيهاي عام*1916*، والذي ذهب رومان جاكبسون، في محاضرة له بالكوليج دي فرانس، إلى أنه كتابٌ مؤلَّف مُختلَق.

تمثّلت أهم تلك المخطوطات في قصاصات وملحوظات تحضيرية لهذه المحاضرات بخط سوسير، نشر سيمون بوكي ورودولف إنجلر مائة صفحة منها بعنوان (كتابات في اللسانيات العامة *Writings in General Linguistics*) عام *2002*م بباريس، وهي تمثل ثلث تلك المخطوطات المكتشفة، وترجمت تلك الكتابات إلى ثلاث عشرة لغة ليست العربية من بينها حتى كتابة هذه السطور.

فهل ما زلنا نحن العرب أسرى الأفكار التي وردت في كتاب (المحاضرات)، والتي غَدت عندنا أشبه بالمسلّمات اللسانية؟ أم أن هناك فئة واكبت ذلك التطور المعرفي في حقل اللسانيات؟ وهل توقفنا عند مجرد نقل المعرفة وتمثّلها أم أن هناك دوراً عربياً في نقد المعرفة اللسانية؟

الكلمات المفاتيح:

دي سوسير- التلقي العربي الراهن- مخطوطات مشتل البرتقال- بالي وسشيهاي- كتابات في اللسانيات العامة.

.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص93-115)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

Contemporary Arabic Reception of Saussure After his discovered Manuscripts recently

Dr. Mahrous Borayyek
Qatar University, Dar al-Ulum - Cairo University
mmohammad@qu.edu.qa

Abstract:

This research attempts to capture the features of Arab reception of the Writings of Ferdinand de Saussure, after the discovery of new manuscripts acquired in Saussure orange orchard in 1996. In particular, these manuscripts contained ideas that conflicted with some of the book "Lectures in General Linguistics" published by Paley and Sishai, which Roman Jacobson, in his lectures at the Collège de France, found it as A lied book.

Simon Bocky and Rudolf Engler published 100 pages of these manuscripts under the title "Writings in General Linguistics" in 2002 in Paris, representing one-third of these manuscripts, which translated into thirteen languages, none of them are Arabic.

Are the Arabs still prisoners of ideas, which were mentioned in the first book, which became axiomatic? Or are there researchers that accompanied that cognitive development in the field of linguistics? Have we stopped at the mere transfer of knowledge and represent it or is there an Arab role in the criticism of linguistic knowledge?

Keywords:

Arabic Reception- Orbital Manuscripts- Writings in General Linguistics.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص93-115)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

تمهيد:

بعد قرن من الزمان على رحيل سوسير عاد مؤسس اللسانيات الحديثة مرة أخرى ليبعثر أوراق اللسانيين ويشغل أذهان الباحثين في اللغة والأدب على حد سواء، فشرع فريق منهم يُعِيد قراءة لسانياته في ضوء أمرين:

أولهما: أن (بالي *Bally* وسشيهاي *Séchehaye*) لم يطلعا على كل ما دونه جميع تلامذة سوسير خلفه في محاضراته، وأن ما أثبتاه في كتاب (محاضرات في علم اللغة العام) ما هو إلا خلْقٌ شائه من فكر سوسير[1] لا يعبر بصدق عن أفكار سوسير بقدر ما يعبر عن فهمهما الخاص للسانيات سوسير، وبخاصة أنهما لم يحضرا محاضرات سوسير بسبب التزامات مهنية (راستييه 2017، ص452).

ثانيهما: العثور على مخطوطات جديدة عام1996م، وردت بها أفكار تعارض بعض ما ورد في ذلك الكتاب الذي نشره بالي وزميله. وتمثلت تلك المخطوطات في:

1- نصوص بعنوان (الماهية المزدوجة للغة) وهي نصوص كتبها سوسير في الفترة من 1891 و1896؛ أي أنها نصوص سابقة على دروس سوسير التي نشرها بالي وزميله،

2- مدونات بقية الطلبة لدروس سوسير،

3- قصاصات وملحوظات تحضيرية لهذه الدروس بخط سوسير، اكتشفت في مشتل البرتقال الخاص بآل سوسير عام 1996م[2]. وعُرفت بين الدارسين باسم (مخطوطات مشتل البرتقال).

---

[1]. "ذهب رومان جاكبسون، في محاضراته بالكوليج دي فرانس، إلى أن كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) مؤلَّف مُختَلَق"، كما أن "ألبير ريدلنغر، الذي كانت دفاتره المصدر الأساس لشارل بالي وألبير سشيهاي، قد خلص إلى أن بالي قد بترَ اللسانيات العامة". انظر: أن نقرأ نصوص دي سوسير، فرانسوا راستييه، ترجمة: حسن المودن، وحافظ إسماعيلي علوي، ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2017م، ص453، و454.

[2]. نشر سيمون بوكي ورودولف إنجلر مائة صفحة من هذه المخطوطات بعنوان (كتابات في اللسانيات العامة *Writings in General Linguistics*) عام 2002م بباريس، وترجمت تلك الكتابات إلى ثلاث عشرة لغة ليس من بينها العربية حتى الآن

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص93-115)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

لم ينشر سيمون بوكي *Simon Bouquet* ورودلف إنجلر *Rudolf Engler* من هذه المخطوطات المكتشفة بالفرنسية سوى مائة صفحة بعنوان (كتابات في اللسانيات العامة *Writings in General Linguistics*) عام 2002م بباريس، وهي تمثل ثلث المخطوطات المكتشفة (راستييه 2017، ص458)، وترجمت تلك الكتابات إلى ثلاث عشرة لغة ليست العربية من بينها حتى كتابة هذه السطور.

صدرت الترجمة الإنجليزية للكتاب بعنوان *Writings in General Linguistics* عام 2006م في 366 صفحة من القطع المتوسط (سوسير 2006)، في أربعة فصول تسبقها مقدمة بقلم المترجمة كارول ساندرز *Carol Sanders* ومقدمة الناشرَين بوكي وإنجلر، وتتلوها ببلوغرافيا بعنوان (كتابات على سوسير) بقلم المترجمين كارول ساندرز وماثيو بيريس *Matthew Pires* ثم فهرس بالموضوعات. أما الفصول الأربعة فكانت على النحو الآتي:

الفصل الأول: حول الجوهر المزدوج للغة،

الفصل الثاني: متفرقات وأمثال،

الفصل الثالث: كتابات أخرى في اللسانيات العامة،

الفصل الرابع: ملاحظات تمهيدية حول محاضرة في اللسانيات العامة.

كل تلك المخطوطات المكتشفة -ما نُشر منها وما هو قيد النشر- تشير إلى أن سوسير الحقيقي لا يتجلى فيما خطّه بالي وسشيهاي في الكتاب المنسوب إليه (محاضرات في علم اللغة العام) بل فيما خطّه هو بنفسه وفيما خطه بقية طلابه. فعلى سبيل المثال تطرح مخطوطات سوسير موقفه من البعد الاجتماعي للغة؛ إذ شاع أنه يرى أن اللسانيات تدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها بعيدًا عن أية مؤثرات خارجية، وهي فكرة تتضح جلية في السطر الأخير الذي ورد في نهاية كتاب (محاضرات في علم اللغة العام)؛ إذ يثبت نص بالي وسشيهاي أن سوسير يتصور اللسانيات بوصفها "علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته *la linguistique a pour unique et véritable objet la langue envisagee en elle-meme et pour elle-meme*" (سوسير 1997، ص317). ويشير فرانسوا راستييه إلى أن هذه الجملة ليست من كلام سوسير بل هي صيغة تعود إلى فرانز بوب (1816م) (راستييه 2017، ص452)؛ أي قبل سوسير بقرن من الزمان.

للأسف الشديد. ويقوم الآن بوكي بإعداد طبعة جديدة لمحاضرات سوسير اعتمادا على كراسات الطلاب. (انظر: علوي والمــــودن 2017م. ص396، ح2).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

إن خطورة تلك الجملة أنها جعلت من سوسير بنيويّا صارمًا، لا يعبأ بأية مجالات خارج البنية اللغوية، في حين أن مخطوطات سوسير تؤكد اهتمامه بالبعد الاجتماعي للغة؛ حيث ينص على أنه "لا وجود للسان خارج المجتمع، وأن واقع اللسان واقع اجتماعي قبل أي شيء آخر" (دوبيكير 2015، ص193)، وينص كذلك على أن "اللسان هو واقعة اجتماعية... فالإنسان لا يكون كاملا إلا بما يستعيره من وسطه" (راستييه 2017، ص457)، وبعبارة أخرى لسوسير: "اللسان واقع اجتماعي، إن الفرد، المعد لأن يتكلم، لن يتمكن من استعمال جهازه إلا من خلال المجتمع المحيط به، هذا بالإضافة إلى كونه لا يشعر بأي حاجة لاستعماله إلا في علاقاته معه. إنه مرتبط كامل الارتباط بهذا المجتمع" (دوبيكير 2015، ص198). وهذا يرجح أن تكون جملة (علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته) من وضع بالي وسشيهاي لا من إملاء سوسير؛ فهي أشبه بالنتيجة التي يتوصل إليها التلميذ بناء على فهمه الخاص للكلام، وليس بناء على إملاء الأستاذ؛ خاصة وأن بالي وسشيهاي نفسيهما يثبتان حديث سوسير عن الجانب الاجتماعي للسان في كتاب المحاضرات؛ ومن ذلك قوله: "اللسان له جانب فردي وجانب اجتماعي، ولا يمكن أن نتصور أحدهما بدون الآخر" (سوسير، ص26). ويشيران إلى أن سوسير يرى أن المظهر الاجتماعي قائم في أذهان أصحاب اللغة؛ إذ اللغة ليست كاملة في الفرد، بل تكتمل في أذهان جميع الأفراد الناطقين بهذه اللغة (ن. م، ص31 وما بعدها). فالجانب الاجتماعي عند دي سوسير -وفقًا لهذا العرض- هو الصور الذهنية للكلمات المخزونة في جميع عقول المتكلمين بهذه اللغة.

إن تلك الجملة (الهدف الوحيد للألسنية هو علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته) تعد من أكثر الجمل اقتباسًا من كتاب (محاضرات في علم اللغة العام)، وقد استُخدمت لتدعيم الزعم بأن سوسير "لم يكن معنيًا إلا بالنظام الشكلي المجرد للغة، وليس بدراسة اللغة في السياقات الاجتماعية الواقعية، ووفقًا لهذا التفسير فإنه لا يمكن فهم القواعد الكامنة للغة إلا بإقصاء التاريخ والمجتمع والثقافة والسياسة والناس والاستعمال" (كاراسكو 2017م، ص369).، وقد أدى ذلك إلى انحراف الدرس اللساني عن وجهته الحقيقية ردحًا من الزمن؛ وذلك بدراسة الأبنية اللغوية منعزلة عن المؤثرات الخارجية.

هذه أهم الأفكار التي جرى تحريفها، وهناك عدة أفكار غيرها كشفت عنها مخطوطات سوسير تبين لنا مدى جناية بالي وسشيهاي على سوسير من حيث إرادتهما الإحسان إليه.

لقد أدت جناية بالي وسشيهاي إلى انتقادات عديدة للسانيات سوسير في سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته ؛ انصبت على أن لسانيات سوسير السانكرونية (الآنيّة) قد فشلت وأصابها العقم؛ لأنها استبعدت عناصر جوهرية من حقل اللسانيات هي (الفرد والمَجتمع والتاريخ)؛ لذا لابد من إبعاد سوسير ولسانياته عن اللسانيات الدياكرونية (التعاقبية) (راستييه 2017، ص456-457).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

لم تتوقف جناية بالي وسشيهاي على جانب المحتوى فحسب، بل على الجانب الأسلوبي؛ يقول جاكبسون: "لقد كان هناك تغيير في الأسلوب، فعندما يضع سوسير علامة استفهام، يضع المحرَران نقطة نهاية. وبذلك تحوّل السؤال إلى معتقد" (ن. م، ص465). ولم يفطن بالي وسشيهاي إلى طبيعة الفكر السائد في ذلك الوقت، إنه فكر "ينتمي بلا شك إلى التراث الذي كان يسمى سابقًا تساؤليًا" (ن. م، ن ص)، وإلى ذلك الضرب من الفكر كان ينتمي سوسير؛ إنه يضع أفكاره في صيغة تساؤلات تقبل النقاش لا في صيغة معتقدات جازمة لا تقبل الجدل، وأكّد تلك الفكرة أن سوسير لم يكن يقرأ من كتاب، بل كان يلقي محاضراته بناء على قصاصات يعدها سلفًا.

تجليات التلقي العربي الراهن لسوسير الجديد:

يمكننا تتبع أهم تجليات تلقي الباحثين العرب لسوسير الجديد في الوقت الراهن في ضوء المتغيرات الآنفة الذكر، وذلك من خلال رصد أربعة محاور:

1- نقل المعرفة: ونرصد من خلالها ترجمة بعض المؤلفات والمقالات التي تدور حول الأفكار الجديدة لسوسير.
2- تمثُّل المعرفة: ونعني بذلك التأليف العربي الراهن حول لسانيات سوسير الجديد.
3- الاحتفاء بالمعرفة: من خلال رصد جوانب الاحتفاء بمئوية سوسير.
4- نقد المعرفة: ويعد هذا الجانب أهم جوانب التلقي العربي الراهن لسوسير.

أولا: نقل المعرفة:

الناظر في الجهود العربية في مجال ترجمة بعض منجزات الغربيين حول سوسير الجديد يجد أنها تميزت عن تلك التي سبقتها في ترجمة كتابه الذي وضعه بالي وزميله من جهتين:

أولاهما: التنوع في الترجمات الراهنة عن عدة باحثين غربيين من الذين اهتموا بسوسير بعد ظهور تلك المخطوطات المشار إليها.

وثانيهما: أنها اتسمت بالمتابعة شبه السريعة من الجهة الزمنية.

فنقل الكتاب الأول الذي وضعه بالي وسشيهاي إلى اللغة العربية لم يتحقق إلا بعد مرور عشرات السنوات على صدوره عام1916 م؛ وقد سبقَ نقلَ ذلك الكتاب ورودُ بعض أفكار سوسير في كتابات الرعيل الأول من اللسانيين العرب الذين اتصلوا اتصالا مباشراَ باللسانيين الغربيين في منتصف القرن العشرين؛ لكن هذا الجيل لم يُقدم على نقل الكتاب إلى العربية، ولعل أهم أسباب ذلك ما ورد في

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

تلك الرواية الشفوية التي يرويها الكراعين في مقدمة ترجمته لكتاب سوسير من أن كمال بشر أراد أن يترجم هذا الكتاب لكنه أحجم عن ذلك لصعوبة هذا الكتاب في رأيه (سوسير 1985، ص4).

ولعل أبرز محاولة مبكرة لترجمة بعض فقرات من كتاب سوسير هي تلك التي قام بها عبد الرحمن الحاج صالح في بحثه الموسوم "مدخل إلى علم اللسان الحديث" نشره في العدد الأول من مجلة اللسانيات الصادرة عن جامعة الجزائر 1972م. وفي العام نفسه نشر كمال بشر بحثًا في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعنوان: "كتاب محاضرات في علم اللغة العام لسوسير وموقعه في آثار الدارسين" قدم فيه عرضًا تعريفيا موجزاً بالكتاب، وتناوله بالنقد مبيّنًا بعض أوجه القصور التي تخللته من وجهة نظره؛ ومن ذلك ما شاب لغة الكتاب من اضطراب وتعقيد، فسره بشر بأن عبارة التلميذ (يعني بالي وزميله) لا ترقى إلى عبارة الأستاذ في الدقة والوضوح، وذلك يؤكد ما ذكره الكراعين أن أهم أسباب عزوف بشر –وربما كثير من المترجمين في فترة مبكرة- عن ترجمة هذا الكتاب تتمثل في صعوبة لغته والتواء أسلوبه (ن.م، ن ص).

وأما ترجمة الكتاب كاملا فقد تأخرت كثيراَ حتى الربع الأخير من القرن الماضي؛ إذ صدرت أول ترجمة لكتاب سوسير عام 1984 عن دار نعمان للثقافة ببيروت، بعنوان (محاضرات في الألسنية العامة) وأنجز تلك الترجمة يوسف غازي ومجيد النصر. وصدرت في عام 1985م ثلاث ترجمات للكتاب نفسه؛ أولاها: ترجمة يوئيل يوسف عزيز ومراجعة مالك المطلبي بعنوان: (علم اللغة العام) عن دار آفاق عربية، بغداد. وثانيها: ترجمة صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة عن الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، بعنوان: (دروس في الألسنية العامة). وثالثها: ترجمة أحمد الكراعين عن دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية بعنوان: (فصول في علم اللغة العام). ثم ترجمة أخرى لعبد القادر قنيني عن دار أفريقيا الشرق عام 1987م بعنوان: (محاضرات في علم اللسان العام).

ولا يخفي عز الدين المجدوب دهشته من غرابة تأخر نقل هذا الكتاب المهم إلى العربية، ويحاول أن يضع أيدينا على بعض الدوافع التي كانت خلف ذلك التأخر؛ نجمل أهمها فيما يأتي (المجدوب 1987، ص43-45):

- جدة هذا العلم الطارئ على العرب،
- في هذا الكتاب صعاب يرجع بعضها إلى الفترة التاريخية التي كتب فيها، وبعضها الآخر إلى ملابسات نشره بعد وفاة سوسير،

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- ظهر الكتاب في حقبة قريبة العهد باللسانيات التاريخية؛ لذا تشيع فيه كثرة الشواهد المستمدة من لغات أخرى؛ مما يضفي على ترجمته صعوبة لا يتيسر الإلمام بها لكثير من المترجمين.
- ظهور مصطلحات سوسيرية جديدة استعملها سوسير بمعنى ثم تطورت اللسانيات فأكسبتها محتوى جديدًا يخالف معناها عند سوسير،
- إن من نشر الكتاب ليس مؤلفه بل تلميذاه بالي *Bally* وسشيهاي *Sechehaye*؛ مما يعني أن الكتاب كان عرضة لتصرفهما تبعًا لفهمها الخاص.

لكنّ الأشد غرابة هو ظهور تلك الترجمات الخمس لهذا الكتاب في بضع سنين من 1984 حتى 1987، وكل ترجمة من هذه الترجمات تختلف عن الأخرى في اللغة والأسلوب وفي كثير من المصطلحات، بل في طريقة الكتابة العربية لاسم (سوسير) نفسه! وهذا مردّه إلى غياب مؤسسة عربية جامعة في مجال الترجمة.

هذا في حين أن حركة الترجمة الآنية لبعض ما يثار حول سوسير الجديد تتسم بالمتابعة شبه السريعة إلى حدٍّ ما، وإن كانت هناك صعوبة بالغة في متابعة كل ما تلقي به المطابع حول سوسير في ظل مخطوطاته المكتشفة مؤخرًا، مع الأخذ بعين الاعتبار أن أهم كتاب في هذا المجال وهو كتاب (كتابات في اللسانيات العامة) الذي نشره سيمون بوكي ورودولف إنجلر عام 2002م بباريس، ولم يترجم إلى العربية بعد، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه عبارة عن مائة صفحة من مخطوطات سوسير نفسه، علاوة على أن سيمون بوكي يعكف الآن –بعد وفاة إنجلر عام 2003[1]- على إعداد طبعة جديدة لمحاضرات سوسير اعتمادا على كراسات الطلاب.

على أية حال، ما زالت الترجمات العربية في هذا المجال في حاجة إلى مزيد من الجهد، وقد قادنا البحث في الترجمات العربية إلى رصد ما يلي:

- البحث عن فردينان دي سوسير، لميشيل أريفيه، ترجمة: محمد خير البقاعي. نشر المترجم بعض أجزائها مُنجّمة خلال عامي 2007م و2009م في مجلة نوافذ الصادرة عن النادي الأدبي في جدة بالسعودية. ثم نشرها كاملة في كتاب صدر عن دار الكتاب الجديد المتحدة،

[1]. أشار راستييه إلى أن هناك طبعة أخرى من مخطوطات سوسير يقوم على إعدادها بوكي وإنجلر، حيث يقول: "وسوف تتلوها طبعة جديدة للمحاضرات أعداها اعتمادا على كراسات الطلاب". [سُوسير في المستقبل: كتاباتٌ مُكتَشَفة وتلقّيات جديدة/ مدخلٌ إلى إعادة قراءة سوسير، ص396، حاشية رقم2].

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ببيروت، لبنان، عام 2009م. في 324 صفحة من القطع المتوسط منها 26 صفحة فهارس فنية.

- الفصل الرابع من كتاب: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تأليف: ماري بافو وجورج سرفاتي، نقله إلى العربية: محمد الراضي، ونشرته المنظمة العربية للترجمة عام 2012م.
- وقد عرض المؤلفان في هذا الفصل محتوى (الدروس) اعتمادا على الطبعة الأصلية لبالي Bally وسشيهاي Sechehaye بتقديم وتعليق مورو 1995م، وعلى ما نشره كوماتسو وهاريس عام1993م لمذكرات أحد الطلبة بعنوان (المحاضرة الثالثة في علم اللغة العام)، وعلى نصوص نشرها إنجلر وبوكي عام 2002م بعنوان (*Writings in General Linguistics*).
- سوسير واللسانيات المعاصرة، وهو مجموعة بحوث علمية قام بترجمتها د. تحسين رزاق عزيز وأشواق محمد مطلق، وصدر عن بيت الحكمة، بغداد، 2014م، ويحتوي الكتاب على 13 بحثًا هي ثمرة المناقشات التي دارت في طاولة الحوار التي أقامها قسم اللسانيات العامة والأسلوبية بكلية اللغة والآداب في جامعة فرونيش بالتعاون مع قسم اللغة والأدب الفرنسي في الكلية نفسها؛ حيث ناقشت تلك الطاولة المسائل اللسانية النظرية للسانيات المعاصرة التي تأثرت بلسانيات سوسير.
- فهم فرديناند دو سوسور وفقًا لمخطوطاته: مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات، تأليف: لويك دوبيكير، وترجمة: ريما بركة، نشرته المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، سبتمبر2015م. وهو كتاب في 319 صفحة من القطع المتوسط منها 25 صفحة فهارس فنية.
- أن نقرأ نصوص دي سوسير، بحث من تأليف: فرانسوا راستييه، ترجمه إلى العربية: حسن المودن وحافظ إسماعيلي علوي، نُشر ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م، وهذا الكتاب هو الجزء الأول من الأبحاث التي ألقيت ضمن مؤتمر "ده صوسير بعد مائة عام من الغياب" الذي عقد بجامعة القاضي عياض بالمغرب يومي 13 و14 إبريل 2017م.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- سُوسير في المستقبل: كتاباتٌ مُكتَشَفة وتلقّياتٌ جديدة/ مدخلٌ إلى إعادة قراءة سوسير، تأليف: فرانسوا راستييه، ترجمه إلى العربية: حافظ إسماعيلي علوي وحسن المودن، نُشر كذلك ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.
- بعد مرور قرن من الزمان مخطوطات سوسير تعود لتبعثر اللسانيات، تأليف: سيمون بوكي، ترجمه عن الفرنسية: د. مبارك حنون، نُشر أيضا ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.
- النظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف دي سوسير، تأليف: وليم ج. كاراسكو، ترجمة: محيي الدين محسب، نُشر كذلك ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.

عند النظر في محتوى تلك الترجمات العربية التي بين أيدينا نستخلص عددًا من الأمور المهمة حول اللسانيات السوسيرية في ضوء المخطوطات المكتشفة، ونوجز تلك الأمور فيما يأتي[1]:

1- إن كتاب (محاضرات في علم اللغة العام) الذي نشره بالي وسشيهاي عام 1916م ليس من تأليف سوسير، بل هو تلفيق منهما؛ إذ إنهما لم يحضرا أية محاضرة من محاضرات سوسير، كما أنهما اعتمدا على دفاتر ثلاثة طلاب فقط من طلاب سوسير.

2- إن بالي وسشيهاي لم يكن لديهما ذلك البعد الفلسفي الذي كان لدى سوسير، فجاء عملهما ملفقًا، وغير مكتمل؛ إذ حذفا مقدمة الفصل الثاني التي كتبها سوسير والمكونة من 100 صفحة، وفي هذه المقدمة خلاصة فكر سوسير.

3- يشير راستييه إلى أن بالي وسشيهاي قد حدّدا فكر سوسير بأنه (نظام من اللسانيات السكونية)؛ وكان دافعهما في هذا الحكم على لسانيات سوسير يتغذى على القطيعة بين لسانيات سوسير واللسانيات التاريخية المقارنة، دون أن يبررا تلك القطيعة.

[1]. انظر -إضافة إلى الكتب المترجمة المشار إليها في المتن- الترجمات الآتية التي نشرت ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن2017م: (أن نقرأ نصوص دي سوسير تأليف: فرانسوا راستييه، ترجمه إلى العربية: حسن المـــودن وحافظ إسماعيلي علوي). و(سُوسير في المستقبل: كتاباتٌ مُكتَشَفَة وتَلَقِّيَاتٌ جديدة: مدخلٌ إلى إعادة قراءة سوسير، تأليف: فرانسوا راستييه، ترجمه إلى العربية: حافظ إسماعيلي علوي وحسن المودن). و(بعد مرور قرن من الزمان مخطوطات سوسير تعود لتبعثر اللسانيات، تأليف: سيمون بوكي، ترجمه عن الفرنسية: د. مبارك حنون). و(النظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف دي سوسير، تأليف: وليم ج. كاراسكو، ترجمة: محيي الدين محسب).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

4- اتسم نشر بالي وسشيهاي لكتاب (محاضرات في علم اللغة العام) بالتناقض خاصة فيما يتصل بتعريف الحقل المعرفي ذاته، وهنا تكمن الخطورة؛ إذ يثبت نص بالي وسشيهاي أن سوسير يتصور اللسانيات بوصفها (علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته)، في حين تقضي مخطوطاته بأن الجانب الاجتماعي والتداولي جزء جوهري في اللسانيات. وبذلك يتضح خطأ تلك الفكرة التي تلقاها اللسانيون عبر سنوات طويلة، إنها فكرة وجود لسانيات منعزلة في برجها البنيوي العاجي.

5- تتفق تلك الترجمات على أن كتاب (محاضرات في علم اللغة العام) الذي نشره بالي وسشيهاي يُعدّ أقل المصادر مصداقية وأكثرها انحرافًا عن فكر سوسير؛ لذا فهو يأتي في ذيل المصادر المعتمدة لفهم تفكير سوسير.

وتختلف تلك الترجمات حول ما ينبغي البدء به؛ ففي حين يرى بعض الباحثين أنه علينا أن نبدأ بقراءة مخطوطات سوسير أولا، ثم تدوينات طلابه، يرى بعضهم الآخر أنه ينبغي أن نبدأ بتدوينات الطلاب، ثم بمخطوطات سوسير. ويعلل الفريق الثاني وجهة نظره بأنه من الصعوبة بمكان تأويل كتابات سوسير، كما أن في تواريخها ووضعها بعض الإشكال، في حين تحظى كراسات الطلاب بجودة عالية، كما أنها متطابقة بشكل عام (راستيي 2017، ص396، ح1).

وعلى الرغم من أن كتاب المحاضرات هو أقل تلك المصادر مصداقية فإن هناك فئة كبيرة من العلماء والباحثين ما زالت تستقي فكر سوسير من ذلك الكتاب دون غيره!! وسأمثّل لذلك بأمثلة عربية فيما بعد في هذا البحث في المبحث الموسوم بـ: (جهود عربية راهنة لم تتمثل المعرفة الجديدة حول سوسير).

6- تثبت مخطوطات سوسير أنه لم يكن يقصد بثنائياته المشهورة (الدال/ المدلول) (اللغة/ الكلام) (التزامني/ التاريخي) (الفردي/ الاجتماعي) أن تكون متقابلات أو متواجهات أو أزواجًا متضادة، وليس أدل على ذلك من تلك الجمل الدالة التي وردت في مخطوطات سوسير المكتشفة:

- "كما أنه لا جدوى من اعتبار الفكرة خارج العلامة، فإنه لا جدوى من اعتبار العلامة خارج الفكرة" (ن، م، ص401).
- "لم يعد لكم الحق في أن تُقَسموا، وأن تقبلوا بالكلمة من جهة، وبدلالتها من جهة أخرى، فهما يشكلان شيئًا واحدًا" (ن. م، ص402).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- "سيميولوجيا= مورفولوجيا، نحو، تركيب، ترادف، بلاغة، أسلوبية، معجميات، إلخ؛ فهي كلها شيء غير قابل للانفصال" (ن. م، ص409).

لم يكن سوسير إذن، يقصد بتلك الثنائيات أن تكون جزرًا منعزلة، بل كانت رؤية سوسير للغة رؤية شمولية ما دامت السيميائيات تشمل (الصرف، والنحو، والمعجم، والبلاغة، والأسلوبيات، والتداوليات...، وكلها غير قابلة للفصل، وكل فصل بينها هو فصل إجرائي لا غير). فأين سوسير البنيوي الذي زعموه؟!

ثانيًا: تمثُّل المعرفة: التأليف العربي الراهن حول لسانيات سوسير الجديد:

لم تتوقف جهود العرب في اللحظة الراهنة على نقل المعرفة عن طريق الترجمة، بل تخطّت ذلك إلى الإسهام في تأويل تلك الأفكار الجديدة، والوقوف على أبعادها، ونقدها في بعض الأحيان، وبيان أثرها لا في دراسة اللغة فحسب بل وفي دراسة الأدب والنقد. لكن على الرغم من ذلك بقيت بعض الجهود العربية الراهنة حبيسة تلك الأفكار القديمة التي وردت في كتاب (محاضرات في علم اللغة العام). وبيان ذلك فيما يأتي:

الاتجاه الأول: جهود عربية تمثّلت المعرفة الجديدة حول سوسير:

ولعل أهم تلك الجهود ما أنجزه مصطفى غلفان الذي أصدر سِفرين من أهم ما كتب عن سوسير الجديد؛ وقد صدر كلا الكتابين مطلع عام 2017 عن دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، أحدهما بعنوان (لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد)، ويقع في 380 صفحة من القطع المتوسط، والآخر بعنوان: (اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول)، وبلغ عدد صفحاته 344 صفحة من القطع المتوسط.

يتسم هذان الكتابان بالعمق المعرفي والإحاطة بأفكار سوسير؛ إذ اطلع المؤلف على تلك الأفكار في لغتها الأم دون واسطة، واستطاع أن يصوغ رؤيته الخاصة حولها، من خلال حسن العرض ووضوح الفكرة وسلاسة اللغة.

ففي الكتاب الأول (لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد) آثر غلفان معالجة أهم الإشكالات التي أثارها تلقي سوسير الجديد، وفي مقدمتها التحليلات الفيلولوجية التي أنجزها الدارسون حول كتاب (محاضرات في علم اللغة العام) المنسوب لسوسير؛ من خلال تناول أهم المفاهيم التي شاعت في ذلك الكتاب نحو: موضوع اللسانيات، ومفهوم اللغة، واللسان، والكلام، والعلامة اللغوية، والاعتباطية، والسيميولوجيا. ولم يشَأ غلفان في هذا التناول أن ينصرف إلى الجزئيات التفصيلية، بل اهتم بالأساس بالقضايا المنهجية العامة لسوسير.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

والجديد في عمل غلفان هذا هو أنه تناول تلك القضايا من خلال إطلاع القارئ العربي على جزء من تناول الغربيين حول (سوسير الجديد) أو (سوسير الحقيقي)، وليس سوسير النمطي الذي عهده الدارسون العرب من خلال الكتاب المعروف.

وأما الكتاب الآخر لغلفان (اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول) فيعد مكمّلا لما أسلفه في كتابه السابق؛ إذ تناول فيه ثلاثة مفاهيم رئيسة في لسانيات سوسير وفي اللسانيات الحديثة بشكل عام وهي: (اللغة) و(اللسان) و(العلامة اللغوية)، وهو في ذلك ينطلق من جملة من المصادر الأصول التي تتمثل في المخطوطات التي اكتشفت مؤخرًا، والتي أشرنا إليها في صدر هذا البحث.

وقد حرص المؤلف في كتابه هذا على وضع ملحق مهم للقارئ العربي، يتمثل في نصوص من طبعة إنجلر *Engler* النقدية[1] تكشف عمليات التحريف التي أجراها بالي *Bally* وسشيهاي *Sechehaye* من خلال الإضافة أو الحذف أو التعديل؛ حيث وضع نصوص بالي وزميله مقابل النصوص التي دوّنها الطلبة نقلا عن سوسير، ويتبدى للقارئ من خلال المقارنة السريعة أن سوسير المحاضرات (محاضرات في علم اللغة العام) ليس هو سوسير الحقيقي؛ بل هو صورة غائمة الملامح وربما بدون ملامح حقيقية لسوسير.

إن أهم نتيجة يؤكدها كتابا غلفان هي أن نسبة التقاطع بين سوسير الذي رسمه بالي *Bally* وسشيهاي *Séchehaye* وسوسير الحقيقي (أو الجديد) نسبة ليست بالكبيرة، وأنه بات من الإنصاف إعادة فهم سوسير فهمًا جديدًا وفقا لتلك الأصول المكتشفة.

وأما ثاني هذه المحاولات العربية في التأليف حول سوسير الجديد فهي محاولة لمحيي الدين محسب؛ فقد نشر مقالا في 24 صفحة عام 2016م بمجلة فصول المصرية ع79، عنوانه: (خطاب اللغة في الأدب وتحولاته الإبستمولوجية) أشار في مطلعه إلى المخطوطات السوسيرية المكتشفة حديثا وما قدّمته من أفكار جديدة حول لسانيات سوسير، ويطرح سؤالا حول علاقة سوسير بقضية اللغة في الأدب، ويؤكد أن لسانيات سوسير أحدثت ثورة في نظرية الأدب تأثيرًا وتأسيسا في الشكلانيات والبنيويات والأسلوبيات والسيميائيات، ويصل محيي الدين محسب إلى نتيجة مفادها أن العلاقات

[1]. في عام 1957 ظهرت دراسة روبير غودل R. Godel (المصادر المخطوطة لمحاضرات في علم اللغة العام)، وتلتها عام 1968 طبعة نقدية أنجزها ألبرني رودولف إنجلر Alberni Rodolf Engler قدم فيها عرضًا إجماليًّا عن مجموع كراسات طلاب سوسير المتاحة آنذاك. (انظر: بعد مرور قرن من الزمان مخطوطات سوسير تعود لتبعثر اللسانيات، سيمون بوكي، ترجمة: د. مبارك حنون، ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2017م، ص386).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

والتحولات الإبستمولوجية في الخطاب بين النظريات اللسانية في تعاملها مع الظاهرة الأدبية، والنظـريات النقـدية في تعاملها مع الظاهرة اللغوية، تـؤكـد -على الأقل- أمرًا واحدًا حاسمًا وهو إسقاط المنظور الأحادي في تفسير هذه الظاهرة.

الاتجاه الثاني: جهود عربية راهنة لم تتمثل المعرفة الجديدة حول سوسير:

سوف نكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الجهود العربية الراهنة التي اهتمت بالتأليف حول لسانيات سوسير، لكنها لم تطلع على الدراسات حول مخطوطات سوسير المكتشفة لا في لغتها الأم ولا في ترجماتها إلى اللغة العربية، فظلت بذلك تدور في فلك سوسير التقليدي المحرّف الذي عهده الناس عبر قرن من الزمان.

ولعله من الغريب حقًّا أن يصدر عنوان عام 2017 ولا يلتفت إلى تلك الضجة حول سوسير الجديد؛ إذ نشر فوزي الشايب كتابًا عنوانه (سوسير: أبو اللسانيات، الخلفيات والأفكار) صدر عن عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. ومع أن عنوان الكتاب يومئ إلى وجود جديد في ظل تلك الثورة التي أحدثتها مخطوطات سوسير فإن فصول الكتاب دارت حول الثنائيات السوسيرية كما وردت في كتابه (محاضرات في علم اللغة العام) الذي نشره بالي وسشيهاي، ثم يدور الحوار والنقاش حول ما ورد في ذلك الكتاب دون أن يتسمّع إلى تلك الضجة التي أحدثتها تلك المكتشفات الجديدة.

وعلى هذا النحو كذلك سار ثامر الغزي من قبل في بحث له بعنوان (ماذا بقي من سوسير؟) المنشور في مجلة علامات بجدة، المجلد 12 العدد 46، عام2002م. وعلى الرغم من أن العنوان يغري بوجود جديد، فإن المحتوى يدور في فلك اللسانيات السوسيرية كما وردت في كتابه الذي وضعه بالي وزميله، دون أدنى ذكر للمخطوطات السوسيرية الحديثة أو إشارة إلى ما استجد في الموضوع.

وكذلك الأمر في بحث آخر بعنوان: (بحث في دي سوسير عالما لسانيا فذا) لعلي الشروش وعبد الكريم السلامات، نشراه في مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، العدد 29 الجزء 3، وعلى الرغم من أن تاريخ نشر هذا البحث هو عام 2016 فإنه لا يتضمن أية إشارة إلى سوسير الجديد، ويسير كسابقه في فلك سوسير المحرّف كما ورد في كتابه القديم.

ولو استرسلنا في عد الكتب والبحوث التي سارت على هذا النهج لأعيانا الأمر، وهذا يعني أن هناك فئة كبيرة من الباحثين العرب عموما، ومن اللسانيين خصوصا تنأى بنفسها عن متابعة ما يجد من أفكار لسانية متسارعة، في الوقت الذي نشطت فيه حركة الترجمة العربية في مجال اللسانيات، ولم تعد تتأخر في نقل المعرفة كما كانت في السابق، وتلك إشكالية من إشكالات تلقي اللسانيات في ثقافتنا.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ثالثًا: الاحتفاء بالمعرفة:

نشير هنا إلى الاحتفاء بسوسير في بعض النشاطات العلمية التي احتضنتها بعض الجامعات العربية، على غرار الجامعات الغربية، احتفاء بمئوية سوسير، ومن ذلك:

1- المؤتمر العلمي الدوليّ التاسع عشر لكلية الآداب بالجامعة المستنصرية بالعـــراق، مــن 2 إلى 4 أبريل/ نيسان 2013 م بعنوان (سوسير: حياة في اللغة)، وقد نُشرت بحوث ذلك المؤتمر في كتاب يحمل العنوان نفسه، إعداد وتنسيق: د. مؤيد آل صوينت، وصدر الكتاب عن مكتبة الحضارات ببيروت، في 484 صفحة من القطع المتوسط. وقد احتوى الكتاب على خمسة وعشرين بحثًا، تدور أغلبها حول سوسير التقليدي، سوى بحث مصطفى غلفان بعنوان (نص لم يكتبه مؤلفه) بيّن فيه جناية بالي وسشيهاي على سوسير، وهو بحث شكل جزءاَ من كتابيه الآنفَي الذكر.

2- ندوة (اللسانيات: مائة عام من الممارسة) المنعقدة يوم 26 نوفمبر2013 بمخبر أبحاث في اللغة والأدب بجامعة بسكرة. "ولا تكشف أوراق هذه الندوة عن أصداء لما كانت واقعات الكشوف السوسيرية في الفضاء المعرفي الغربي قد بدأت تدور به، منذ أواخر خمسينيات القرن العشرين، وصولاً إلى ذروتها في العقدين الماضيين" (كاراسكو 2017، ص352).

3- مؤتمر (اللسانيات: 100 سنة بعد دروس دي سوسور) عقد في الفترة (من 14-16 نوفمبر 2016) نظمته جامعة الجزائر2 بالاشتراك مع مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية التابع لـ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائرية، وفي بعض العناوين المقدمة في هذا المؤتمر ما يشير إلى التنبه إلى تناول سوسير وفق مخطوطاته المكتشفة مؤخراَ، خاصة بحث لفرانسوا راستييه الذي شارك في هذا المؤتمر ببحث بالفرنسية بعنوان (كيف يُقرأ دي سوسير)[1].

4- مؤتمر (ده صوسير بعد مائة عام من الغياب) نظمته كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة القاضي عياض بمراكش – المغرب، في يومي 13 و14 إبريل 2017م، وتدور بحوث هذا المؤتمر حول سوسير الجديد؛ وكانت فئة من هذه البحوث ترجمات

[1]. قدم د. محيي الدين محسب عرضًا موجزًا لهذا المؤتمر، انظر: السابق، ص352–353. أما بحث فرانسوا راستييه فقد ترجمه لاحقًا حسن المودن وحافظ علوي بعنوان (أن نقرأ نصوص دي سوسير)، ونشر ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، ص447–470.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

لبعض ما كُتب حول سوسير بعد اكتشاف مخطوطاته. ونُشرت بعض تلك الأبحاث في كتاب بعنوان (العودة إلى سوسير) وقد عرضتُ البحوث التي احتواها ذلك المؤتمر في ثنايا هذا البحث من قبل.

رابعا: نقد المعرفة:

نادرًا ما تنصرف جهود العرب في حقل اللسانيات إلى نقد المعرفة المترجمة، وبخاصة في مرحلة مبكرة من مراحل نقل تلك المعرفة؛ إذ تنصرف الجهود -عادةً- في تلك الحقبة المبكرة إلى تعريف القارئ العربي بما استجد في اللسانيات لدى اللسانيين الغربيين، في وقت تتعاقب فيه المدارس اللسانية في سنوات وجيزة، بخلاف ما كان عليه الأمر في القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين.

ومن أهم الدراسات التي تناولت نقد المعرفة اللسانية حول سوسير دراسة حديثة مصطفى غلفان بعنوان: "دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول" صدرت تلك الدراسة ضمن مجلة أنساق الصادرة عن قسم اللغة العربية بجامعة قطر، المجلد الثاني، العدد الأول، فبراير 2018م.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تنقد نشرة بالي وسشيهاي الصادرة عام1916 في ضوء مخطوطات سوسير المكتشفة مؤخرا، والتي أشرت إليها آنفًا غير مرة. وتعد دراسة غلفان هذه دراسة فيلولوجية تبين مدى تدخل بالي وسشيهاي في الجوانب المنهجية والمصطلحية والأسلوبية لسوسير (غلفان 2018، ص135).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن نشرة بالي وسشيهاي قد تعرضت للنقد المنهجي في الغرب في وقت مبكر انطلاقًا من معطيات فيلولوجية؛ إذ تتابعت الأعمال النقدية بدءًا من روبرت جودل *Robert Godel* الذي "نشرَ في الفترة من 1954م إلى 1957م نصوصًا جديدة منسوبة إلى سوسير وبعض تلامذته... نقلا عن دفاتر أحد طلبة سوسير" (ن. م، ص137). ثم مشروع رودلف إنجلر *Rudolf Engler*عامي 1967م و1974م وهو المشروع الفيلولوجي الأهم في هذا السياق؛ إذ "جاءت طبعة إنجلر في صفحتين متقابلتين مشطورة إلى ستة أعمدة، يُعيد أولها نص نشرة بالي، وتعرض الأعمدة الثانية والثالثة والرابعة فقرات المصادر المخطوطة التي اعتمدها الناشران [بالي وسشيهاي]، بينما يقدم العمودان الخامس والسادس فقرات نصية كانت مجهولة إبان صدور طبعة 1916" (ن. م، ن ص).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

والذي يلفت الانتباه أن هذا النقد الفيلولوجي قد سبق نقل نشرة بالي وسشيهاي إلى العربية بثلاثين سنة، لكنّا لم نجد أحدًا من المترجمين العرب قد أخذ تلك النشرات الفيلولوجية في الحسبان عند عملية الترجمة، على الرغم من أن كتاب المحاضرات قد تُرجم إلى العربية في خمس نسخ مختلفة في بضع سنين، كما أشرت من قبل.

ثم تتابع النقد المنهجي لنسخة بالي وسشيهاي في نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين، بعد اكتشاف مخطوطات مشتل البرتقال الخاص بآل سوسير عام 1996م، وظهور تلك النسخة الجديدة من عمل سوسير التي نشرها سيمون بوكي ورودولف إنجلر بعنوان (كتابات في اللسانيات العامة) عام 2002م.

يشير غلفان إلى أن تلك الأعمال الفيلولوجية قد أسفرت عن عدة أمور أهمها أن نشرة 1916م (محاضرات في اللسانيات العامة) قد تعرضت لتدخل بالي وسشيهاي، وتمثَّل ذلك التدخل في عدم تجانس المادة المعتمدة في نص الكتاب، وتغيير الترتيب الأصلي لموضوعاته، وتأويلهما لتصورات سوسير، وتعديل المنظومة المصطلحية لسوسير، وإهمال التغير الحادث في تصورات سوسير خلال السنوات التي ألقى فيها دروسه (المرجع نفسه، ص138)؛ إذ كان يقدم فكرًا تساؤليًا، مما حدا بهما إلى تأويل خاص لتصورات سوسير ربما قصد إلى بعضها ولم يقصد إلى بعضها الآخر.

أما عدم تجانس المادة المعتمدة في نشرة بالي وسشيهاي فمردّه إلى عدة أمور يمكننا أن نستخلص أهمها في أمرين (ن. م، ص138-140):

1- إن الناشرَين قد اعتمدا على دفاتر ثلاثة طلاب فقط من طلاب سوسير هم فرنسيس جوزيف، وهيلين، ودو بوردي،

2- إنهما أضافا فقرات من مخطوطة لسوسير بعنوان (ملحوظات من أجل كتاب في اللسانيات العامة) كتبها ما بين عامي 1893 و1894، وفقرات حول تحوّل العلامة ضمن مقالة كتبها سوسير عام1894 بمناسبة تأبين العالم الأمريكي ويليام ويتني.

وكل تلك الإضافات سابقة على محاضرات سوسير بفترة ليست بالقصيرة، وفي تلك الفترة كانت أفكار سوسير تتعرض للتغيير الدائم.

وأما تغيير ترتيب بعض الموضوعات فيتجلى في عكسهما لترتيب سوسير بين موضوعين مترابطين هما (تنوع الألسن) و(مفهوم اللسان)، بل إنهما باعدا بين هذين الموضوعين، فجعلا مفهوم اللسان في المقدمة والفصول الأولى، وتنوع الألسن أو (العائلات اللغوية) في آخر الكتاب (ن. م، والكراعين، ص401).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

لكن أشدّ التحريفات التي قام بها بالي وسشيهاي فتتمثل في بعض الإضافات التي لم يقل بها سوسير، وإنما أُضيفت بناء على "تأويل تصورات الأستاذ في اتجاه قد لا يكون بالضرورة ما قصده صاحبها"[1]، وتعد تلك الجملة الحاسمة في نهاية الكتاب "الموضوع الحقيقي للألسنية هو علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته *la linguistique a pour unique et véritable objet la langue envisagee en elle-meme et pour elle-meme*"[2] أشدها خطورة؛ إذ وجّهت -لفترة طويلة- معالم الدراسات اللسانية نحو الجانب الشكلي للغة بعيدًا عن الجوانب الاجتماعية للكلام. هذا في الوقت الذي تنص فيه مخطوطات سوسير المكتشفة مؤخرا على أنه كان على وعي بالدور الاجتماعي للكلام[3].

ولم يقتصر الأمر على الإضافة بل تعداه إلى حذف مقدمة محاضرات العام الثاني على الرغم من أهميتها؛ إذ "تتضمن الخطوط العامة لمشروع سوسير حول السيميولوجيا"[4]، وإذا ما علمنا أن تلك المقدمة تتناول جوهر تصورات سوسير حول "كل ما يجعل اللسان نظام تواصل اجتماعي" (ن. م، ن ص)[5] فقد تأكد لنا أن تلك الجملة الختامية الحاسمة (الموضوع الحقيقي للألسنية هو علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته) إنما هي من وضع بالي وسشيهاي، وليست من إملاء سوسير.

ومن القضايا التي لم تبرز في ثنايا نشرة بالي وسشيهاي ذلك التردد الذي لازمَ سوسير في إطلاق بعض المصطلحات (ن. م، ص148-149)؛ نحو مصطلح علامة Signe الذي يدل إما على الجانبين الصوتي والدلالي للوحدة اللغوية، وإما على الجانب الصوتي فحسب، وظل هذا التردد مصاحبَا لسوسير حتى نهاية محاضرات العام الثالث حيث اطمأن إلى ثنائيته الشهيرة (دال/ مدلول).

لم تظهر كذلك في ثنايا نشرة بالي وسشيهاي تلك النزعة التساؤلية لدى سوسير، وهي نزعة كانت سائدةً في عصر سوسير، كما أشار إلى ذلك راستييه (ص465)[6]؛ إذ "لم يكن سوسير يمتلك أجوبة جاهزة أو حلولا نهائية يواجه بها عمق المعضلات اللغوية" (ص149)[7]، لذا يُعتقد أن عظمة سوسير تكمن في هذا الفكر التساؤلي المتجدد (المرجع نفسه، ص150)، ويصدق عليه وصف جاكبسون له بأنه ذلك

1. دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول، ص141.

2. Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, Publié par Charles Bailly et Albert Séchehaye, avec la collaboration de Albert Riedlinger, Édition critique préparée par Tullio de Mauro,1997, p317.

3. انظر: النظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف سوسير، ص369. و: دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول، ص142.

4. دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول، ص144.

5. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6. انظر: أن نقرأ نصوص دي سوسير، فرانسوا راستييه، ص465.

7. دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول، ص149.

مجلة اللساني، المجلد (1) - العدد (1) شتاء 2021م (ص ص93-115)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

"الشَّكَّاك الكبير *Le grand douteur* الذي يرى دائمًا في المسائل المدروسة جانبين" (المرجع نفسه، ص152)[1]. ولعل ذلك التردد الاصطلاحي الذي أشرت إليه آنفًا والذي صاحبه حتى نهاية محاضراته كان مردُّهُ إلى ذلك الشكّ أو تلك النزعة التساؤلية. لذا كان من التحريف الذي يبدو في ظاهره غير ذي شأن، وهو في الواقع تحريف جوهري، ذلك التغيير في علامات الترقيم، بأن يضع بالي وسشيهاي نقطة في نهاية الجملة، في الوقت الذي يضع فيه سوسير علامة استفهام طبقًا لمخطوطاته المكتشفة. فتحوّل بذلك السؤال إلى معتقد على حد تعبير راستييه[2].

لم تقتصر تحريفات بالي وسشيهاي على جانب علامات الترقيم، بل تعدت ذلك إلى جانب شكلي آخر له بُعد معرفي مهم، هو التحريف في بعض الأشكال التوضيحية، كما في الشكل الذي يظهر عملية التواصل اللغوي بين المتكلم والمستمع، على النحو الآتي[3]:

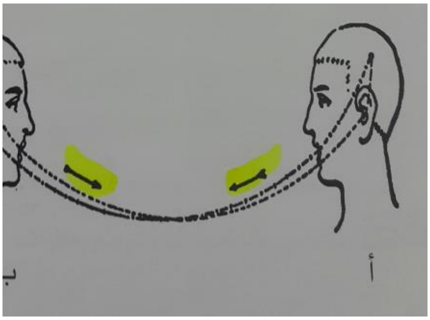

الشكل في نشرة بالي وسشيهاي

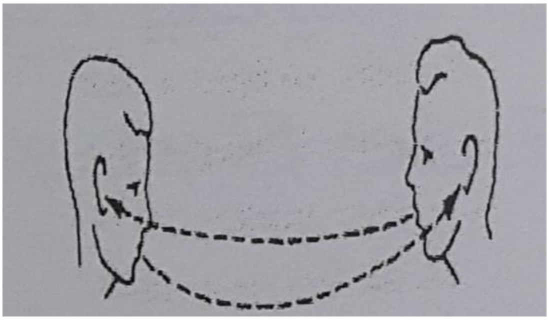

الشكل في دفاتر الطلبة

إذ يشير الشكل كما ورد في دفاتر طلبة سوسير إلى أن السهم ينطلق من (الدالّ) إلى (المدلول) في اتجاه واحد من الفم إلى الأذن، وليس كما يصوره الشكل في نشرة بالي وسشيهاي؛ إذ يتجاوز السهم الأذن والفم إلى حدود العقل بعدهما في اتجاهين متقابلين؛ مما يعني أن الشكل لديهما يعبر عن تأويلهما الخاص لمفاهيم سوسير، فالشكل عندهما يشير إلى أن المدلول يسبق الدالّ، وأن الفكر له الأولوية على اللسان، "حيث ترتبط الحقائق الفكرية (الأفكار) بما يمثلها من الأصوات اللغوية (الصور الصوتية) التي تستخدم للتعبير عن هذه الأفكار، فالفكرة المعينة تثير الصورة الصوتية التي ترتبط بها. وهذه الظاهرة السايكولوجية تتبعها عملية فسيولوجية؛ إذ يرسل الدماغ إشارة مناسبة للصورة

[1]. المرجع نفسه، ص152.
[2]. انظر: أن نقرأ نصوص دي سوسير، فرانسوا راستييه، ص465. وانظر: المرجع نفسه، ص153.
[3]. انظر: علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، ص29، وانظر: دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول، ص144 –145.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص93-115)
https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

إلى الأعضاء المستعملة لإنتاج الأصوات ..." (سوسير)[1]، وهذا يعني أن هذا الفكر "فكر جاهز وموجود في دماغ الفرد المتكلم، ينتظر من يمده بالأصوات للتعبير عن نفسه" (ص145)[2].

خاتمة:

أولا: اتسمت الجهود العربية في مجال نقل بعض منجزات الغربيين حول مخطوطات دي سوسير المكتشفة مؤخرًا بأمرين إيجابيين: أولهما: التنوع في الترجمات الراهنة عن عدة باحثين غربيين من الذين اهتموا بسوسير بعد أن نشر بوكي وإنجلر ثلث مخطوطات سوسير المكتشفة في كتاب بعنوان *Writings in General Linguistics* عام 2002م. والآخر: المتابعة شبه السريعة لمستجدات الدرس اللساني حول سوسير الجديد. وعلى الرغم من ذلك لمّا يُنقل إلى العربية ذلك الكتاب الأهم الذي يحوي ثلث مخطوطات سوسير.

ثانيا: استطاعت فئة قليلة من الباحثين العرب تمثُّل المعرفة اللسانية الجديدة حول سوسير من خلال التأليف العربي الراهن حول تلك اللسانيات في ضوء مخطوطات سوسير المكتشفة مؤخرًا.

ثالثا: تقليدًا لبعض الجامعات الغربية عقدت بعض الجامعات العربية بعض الندوات والمؤتمرات حول لسانيات سوسير عامَي 2016 و2017 احتفاء به بعد مرور مائة عام على رحيله، وكان في بعض بحوث تلك المؤتمرات صدى للمنجز اللساني حول مخطوطات سوسير المكتشفة.

رابعا: يُعدّ نقد المعرفة أهم جوانب التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة. ولعله بعد كل تلك المراجعات النقدية الفيلولوجية لنشرة بالي وسشيهاي، في ضوء مخطوطات الطلبة ومخطوطات سوسير المكتشفة مؤخرًا، تترجح عندنا مقولة رومان جاكبسون في محاضراته بالكوليج دي فرانس أن كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) "مؤلَّف مُختَلَق"، ومقولة ألبير ريدلنغر "أن بالي قد بتَرَ اللسانيات العامة".

خامسًا: ترتب على تلك المراجعات الفيلولوجية نتيجة مهمة تتمثل في التردد في قبول بعض الأحكام اللسانية التي ترتبت على كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) على مدار قرن من الزمان بسبب هذه النشرة التي نشرها بالي وسشيهاي.

---

[1]. علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، ص30.
[2]. دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول، ص145.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص93-115)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

سادسًا: لعلنا نطمئن إلى أن كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) الذي نشره بالي وسشيهاي لم يعد هو المصدر الأول الموثوق به في استقاء أفكار سوسير، بل غَدَا آخر المصادر موثوقية بعد مخطوطات سوسير ثم مخطوطات طلابه.

سابعًا: أوصي في خاتمة هذا البحث بضرورة ترجمة كتاب *Writings in General Linguistics* إلى العربية؛ لكونه يمثل ثلث مخطوطات سوسير المكتشفة مؤخرًا، ولما له من أهمية بالغة في فهم سوسير وإعادة تشكيل بعض المفاهيم اللسانية المستقرة منذ قرن من الزمان. ولهذه الأهمية تُرجم إلى ثلاث عشرة لغة، ليست العربية من بينها حتى كتابة سطور هذا البحث.

***

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

مراجع البحث:

- **أن نقرأ نصوص دي سوسير**، فرانسوا راستييه، ترجمة: حسن المودن وحافظ إسماعيلي علوي، نُشر ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.
- **البحث عن فردينان دي سوسير**، ميشيل أريفيه، ترجمة: محمد خير البقاعي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ببيروت، لبنان، عام 2009م.
- **بحث في دي سوسير عالما لسانيا فذا**، علي الشروش وعبد الكريم السلامات، مجلة كلية الآداب - جامعة طنطا- مصر، العدد29 الجزء 3، 2016م.
- **بعد مرور قرن من الزمان مخطوطات سوسير تعود لتبعثر اللسانيات**، تأليف: سيمون بوكي، ترجمه عن الفرنسية: د. مبارك حنون، نُشر ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.
- **ثلاث ترجمات لكتاب فردينان دي سوسير**، عز الدين المجدوب، حوليات الجامعة التونسية، ع29، 1987م.
- **خطاب اللغة في الأدب وتحولاته الإبستمولوجية**، د. محيي الدين محسب، مجلة فصول، مصر، ع79، 2016م.
- **دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول**، د. مصطفى غلفان، مجلة أنساق الصادرة عن قسم اللغة العربية بجامعة قطر، المجلد الثاني، العدد الأول، فبراير 2018م، ص135.
- **سوسير: أبو اللسانيات، الخلفيات والأفكار**، د. فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث –إربد– الأردن، 2017م.
- **سوسير: حياة في اللغة**، إعداد وتنسيق: د. مؤيد آل صوينت، مكتبة الحضارات، ببيروت.
- **سُوسير في المستقبل: كتاباتٌ مُكتَشَفة وتلقّياتٌ جديدة/ مدخلٌ إلى إعادة قراءة سوسير**، فرانسوا راستييه، ترجمة: حافظ إسماعيلي علوي وحسن المودن، نُشر ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.
- **سوسير واللسانيات المعاصرة**، مجموعة بحوث علمية قام بترجمتها د. تحسين رزاق عزيز وأشواق محمد مطلق، بيت الحكمة، بغداد، 2014م،
- **علم اللغة العام**، دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف، مراجعة: مالك المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، 1985.
- **فصول في علم اللغة العام**، دي سوسير، ترجمة: أحمد الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1985م.
- **فهم فردينان دي سوسير وفقًا لمخطوطاته، مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات**، تأليف: لويك دوبيكير، ترجمة: ريما بركة، نشرته المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، سبتمبر 2015م.
- **كتاب محاضرات في علم اللغة العام لسوسير وموقعه في آثار الدارسين**، كمال بشر، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج29، 1972م.
- **لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد**، د. مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت، لبنان، 2017م.
- **اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول**، د. مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة– بيروت، لبنان، 2017م.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- **ماذا بقي من سوسير؟**، ثامر الغزي، مجلة علامات، النادي الأدبي بجدة، المجلد 12 العدد 46، 2002م.
- **مدخل إلى علم اللسان الحديث**، عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات الصادرة عن جامعة الجزائر، ع1، 1972م.
- **النظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف سوسير**، وليم كاراسكو، ترجمة د. محيي الدين محسب، ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2017م.
- **النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تأليف: ماري بافو وجورج سرفاتي، نقله إلى العربية: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة،2012م.**
- Ferdinand de Saussure, ***Writings in General Linguistics***, Edited by Simon Bouquet and Rudolf Engler, Translated by Carol Sanders and Matthew Pires, Oxford University Press. 2006.
- Ferdinand de Saussure, ***Cours de linguistique générale***, Publié par Charles Bailly et Albert Séchehaye, avec la collaboration de Albert Riedlinger, Édition critique préparée par Tullio de Mauro,1997.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص117-140)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

قوانين التطوّر اللغويّ في اللسانيات السوسيرية

د. حسين السوداني
المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، قطر
soudani.houcine@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة مفهوم مركزي في اللسانيات عموما وفي اللسانيات السوسيرية خصوصا، هو مفهوم التطوّر في وجهيه: التفسيريّ والاستشرافيّ. وتعود مركزية هذا المفهوم إلى أمرين؛ أولهما قدرته الاستشرافية والتاريخية في مقاربة تطور الألسنة البشرية، وثانيهما وجوده في تقاطع بين مختلف المفاهيم اللسانية الأخرى التي تظهر في شكل رؤوس منهجية مثل مفهوم النظام، أو في شكل ثنائيات مثل الآنية والزمانية، أو في ثواليث مثل اللغة واللسان والكلام. ومركزية مفهوم التطوّر كَفيلةٌ بإيضاح حقيقة العلاقة بين الآنية والزمانية في دروس فردينان دي سوسير الذي استقر في تقدير اللسانيين أنه الأب المؤسس لعلم اللسانيات. ولا شكّ أن إيضاح المسألة في خلفيتها السوسيرية ستزيل كثيرا من الأوهام التي رسّختها التصورات المدرسية التبسيطية للعلاقة بين التصورين السكوني النظامي والتطوري التاريخي للغة، ناهيك أنّ مصطلح التطوّر يرتبط على نحو ما بمفهوم "التغيّر" من جهة، ويستدعي مفهوم التغاير من جهة أخرى. فبين هذه المفاهيم من اللطف ما يجعل التمييز بينها ضروريا وجوهريا.

الكلمات المفتاحية:

التغيّر، التغاير، التطور، الآنية، الزمانية، اللسانيات، فردينان دي سوسير.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص117-140)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

Laws of linguistic evolution in Saussurean linguistics

Houcine Soudani
Arab Center for Research and Policy Studies, Qatar
soudani.houcine@gmail.com

Abstract:

This paper aims to study a central Saussurean concept which is "evolutionary change". The centrality of the concept of "evolution" stems from its position at an intersection between various Saussurean linguistic concepts appearing either as central heads such as the concept of System, or in dichotomies like synchrony and diachrony, or trichotomies such as langage, speech, and discourse.

In fact, the centrality of the concept of linguistic evolution is enough to clarify the depth of Saussure's conception about the relation between synchrony and diachrony, which is deeply different from the vulgarizing and simplistic approaches, which reduce and shorten the Saussurean project in overtaking the diachrony.

Keywords:

Evolutionary change, Saussurean linguistic, synchrony, diachrony.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

يعد

اللساني linguist

0. مقدمة

يعد مفهوم التغيّر من المنظور الفيزيائيّ أساس إدراك الإنسان لما حوله من الظواهر بما فيها الزمن، والتغيّر في التقدير اللسانيّ صنو التطوّر والحركة، ويعدّ التغيّر محورا اصطلاحيا يستقطب حركية اللغة من المنظور اللسانيّ في الوجهيْن: الزماني التطوري والآني السكوني، وبهذا المفهوم تتحدد الفروق الأساسية بين مناهج الدراسة اللغوي؛ فالحد الفاصل بين التصوّرين السكوني والتطوري في الظواهر اللغوية إنما هو أخذ التغيّر بعين الاعتبار أو عدمه، ويضاف إلى ذلك أنّ هذا المفهوم يقع في نقطة تقاطع بين المفاهيم السوسيرية المركزية والموصولة على نحو مّا بمفهوم التغيّر، فهذا المفهوم يبدو في البحوث التبسيطية سليل لسانيات القرن التاسع عشر متمثلةً في النحو المقارن واللسانيات التاريخية. ومن الأوهام التي رسّختها بعض الدراسات التبسيطية أنّ سوسير إنما بنى دروسه على أساس إبطال المقاربة التطورية. وهذا التصوّر هو الذي أشاع فهْما خاطئا لدروس سوسير رسخته التيارات البنيوية والشكلانية الناشئة من استثمار دروس سوسير، فلذلك اقترن نقد البنيوية في العقود الأخيرة من القرن العشرين بتحامل كبير على آراء سوسير لاسيما لدى من لم يطّلعوا عليها في متن دروس سوسير واكتفوا بقراءة سوسير من خلال ما كُتب عنه.

1. مفهوم التغيّر: حدّه وحدوده

يدلّ على معنى التغيّر في الاصطلاح السوسيري مصطلحان هما (*changement*) و(*variation*). ويفيد مصطلح التغيّر انتقالا في مستوى لغوي معيّن من وضع (أ) إلى وضع (ب). ويُعَدّ التغيّر من المنظور السوسيري ظاهرة كونية ترتبط بكل كائن حيّ يتطوّر، وتقاس اللغة في ذلك على الكائنات الطبيعية فمن منظور سوسير "مثلما يتغيّر

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص117-140)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

جهاز النبتة الداخلي بفعل عوامل خارجية كالتربة والمناخ إلخ، فإنّ جهاز اللغة النحوي يتغيّر كذلك بمفعول العوامل الخارجية التابعة للتغيّر اللغوي"[1].

وللغة من المنظور اللسانيّ وجهان: منطوق ومكتوب، ورغم أنّ المشافهة هي الأصل في اللغة فإنّ لمؤسسة الكتابة سلطانا عليها، فعلى هذا الأساس يرى سوسير أنّ مؤسسة الكتابة تخفِّفُ أحيانا من سرعة التغيّرات التي تطرأ على اللغة، لكن وبخلاف ذلك، فإن دوام اللغة وبقاءها لا يؤثر فيهما انعدام الكتابة بالمرة. ومثاله في ذلك أن ˝الناس في مطلع القرن العشرين لا يعرفون اللغة الليتوانية من خلال الوثائق المكتوبة إلا منذ 1540، وذلك على أنها لغة لا يزال الناس يتكلمون بها في بلاد بروسيا الشرقية وفي قسم من تراب بلاد روسيا. ولكنها تقدم لنا في تلك الفترة المتأخرة من تاريخها بوجه عام صورة أمينة عن اللغة الهندية الأوروبية تضاهي في صدقها ونقائها الصورة التي تقدمها لنا عنها اللغة اللاتينية في القرن الثالث قبل الميلاد. وهو الأمر الذي يقوم وحده برهانا على مدى استقلال اللغة عن الكتابة[2].

ومن المعطيات الأساسية في علاقة سوسير بالمقاربات التاريخية التطورية أنه خلال المسيرة العلمية لسوسير، طالبا وباحثا ومدرّسا، قد عايش أوج صعود المقاربات التاريخية في الدراسات اللغوية؛ فقد استقرّ مفهوم التطور الخلفية النظرية للعلوم في القرن التاسع عشر، وتجلى التسليم بمبدأ التطور في المنزعيّن اللذين تحددت بهما فلسفة المناهج المعرفية قاطبة في ذلك العصر، فأما أولهما فمنزع الوعي بأثر التاريخ وفعله في صيرورة الإنسان، وأما ثانيهما فمنزع البحث عن القوانين المتحكمة في كل الظواهر الطبيعية منها والإنسانية[3].

---

1. F. de. Saussure, (1997), p42.

نعتمد في الشواهد على الترجمة التونسية بالأساس، ونوثق باعتماد الإحالة على الأصل الفرنسي حتى يتسنى للباحث أن يستفيد من ضبط السياقات التي ورد فيها المصطلح الفرنسي من دروس سوسير. ومن ميزات الترجمة التونسية أنها تحيل على ترقيم الصفحات في الأصل الفرنسي، على أننا تصرفنا في النص العربي كلما اقتضى الأمر تعديلا بما يناسب ما نترجم به المصطلحات السوسيرية.

2. Ibid, p45.

3. عبد السلام المسدي، (1986)، ص110.

وقد كان سوسير دقيق التمثل وواضح الامتثال لروح المنهج التاريخي التطوري السائد في القرن التاسع عشر الذي يمثل الإطار العلمي الحاضن لتكوينه الأكاديمي، فمن خصائص المسيرة العلمية لسوسير أنه انتقل في سنة 1875 إلى ليبزغ حيث أشهر جامعة في تدريس الفيلولوجيا. وقد جسّدت المدة التي قضاها في ليبزغ مع الإقامة القصيرة التي قضاها في برلين الفترة الأساسية في تحصيله العلمي، فقد استطاع الاطلاع على السنسكريتية والإيرانية والليتوانية وكلّ من الإيرلندية والسلافية القديمتين. وكانت له خلال ذلك مساهمة فعالة في الجدل العلمي الذي كان يقوده النحاة الجدد مثل كارل بروغمان (Karl Brugmann) (1849- 1919) وهيرمان أوستوف (Hermann Osthoff) (1847- 1909) وأوغست لسكيان (August Leskien) (1840-1916). وفي

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص117-140)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

فقد كان البحث التاريخي المقارن في القرن التاسع عشر قائما على التسليم بفكرة التطوّر باعتبار أساسي هو أنّ اللغة كائن طبيعي تنطبق عليه قوانين الظواهر الطبيعية عموما، وقد أذكى هذا التصورَ ورسخه تطوّر علوم الأحياء لاسيما بعد ظهور كتاب شارل داروين (*Charles Darwin*) (1809-1882) عن أصل سنة 1859[1]. وهو الكتاب الذي صدرت منه إلى حدود 1890 تسع وثلاثون طبعة. وقد لقي المنظور الدارويني تطبيقات مبكرة له في سياق اللغة انطلاقا من بحوث دارسين مثل شلايشر (*Kurt Von* 1882-1934) (*Schleicher*) في سعيه إلى صياغة مشجّر للألسنة البشرية. وبعيد هذه السنة أصدر أوغست لسكيان (1916- 1840) (*August Leskien*) خلاصة آرائه في الحتمية في كتاب له صدر سنة 1876 بعنوان "الانحراف في اللغتين البالتية السلافية والجرمانية" (*Germanischen Die Deklination im Slawisch-Litauischen und*)[2].

ولكن سوسير لا يسلّم بمبدأ التطور لمجرد الانخراط في روح التيار المهيمن في عصره؛ فمن جهة يرى أنّ التطور من صميم اللغة، ولكنه من جهة ثانية يبني تصورَه لمفهوم التطوّر على غير الخلفية العلمية التي استقرت في القرن التاسع عشر، فتطور اللغة حتمي من المنظور السوسيري، ولكنه متحقق من جهة أنّ اللغة كائن تاريخي اجتماعي لا من حيث هي كائن طبيعي. والفرق في مفهوم التطوّر بين المنظورين أن التطور الطبيعي للكائنات والظواهر التي تعدّ طبيعية هو تطوّر لا دخل للإنسان في تغيير مساراته، ومثال ذلك أنّ للنموّ الفيزيولوجي البشري مسارا يبدأ بالولادة والطفولة ويتوسط بالشباب والكهولة وينتهي بالكهولة والشيخوخة. وليس بإمكان التدخل البشري أن يحوّر هذا المسار أو يعكسه. أما المنظور التاريخي للتطوّر فيعني أنّ للإنسان يدا على تطوّر اللغة بالإبطاء أو التسريع، وبالإقرار أو الإبطال. ومثال ذلك في سياق اللغات أن من الألسنة ما كان يعدّ ميتا ثم أعيد إحياؤه بقرار بشري على نحو ما تمّ في اللغة العبرية، ومنها ما يكون حيا مستعملا ثم

سنة 1877 تقدم سوسير إلى الجمعية اللسانية بباريس بمقال طوّره لاحقا ليكون موضوع مذكّرة بحث قدمه وعمره 21 سنة في ليبزغ عن "النظام الأوّلي للحركات في الألسنة الهندية الأوروبية". وبعد سنتين ناقش أطروحة دكتوراه عن "استعمال المضاف المطلق في اللسان السنسكريتي، وبعد الحصول على الدكتوراه قدِم إلى باريس فأتيحت له متابعة دروس ميشال بريال (Michel Bréal) (1832- 1915) عن النحو المقارن في المعهد التطبيقي للدراسات العليا، وهو الدرس الذي سيتولى سوسير تقديمه بنفسه بداية من سنة 1881، فتواصل تقديمه لذلك الدرس خلال ست سنوات.

[1]. Charles Darwin, (1959).

[2]. يعود الفضل إلى لسكيان في ترجمة كتاب ويتني من الفرنسية إلى الألمانية "حياة اللغة وتطورها" سنة 1975 أي بعد ظهوره بسنة.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

تتم إماتته بقرار سياسي، ومثال ذلك ما كان متداولا من اللغات في جمهوريات روسيا ثم تقرر تبني لغة موسكو لغة رسمية للاتحاد السوفياتي بدلا من التعدد اللغوي الحاصل قبل توحيد الجمهوريات.

إن تسليم سوسير بمبدأ التطوّر في اللغة جعله يرى أنّ ما قد يبدو من ثباتها ينبغي أن لا يغرينا بالتسليم بأزليتها؛ ذلك أنه "لا وجود في اللغة لخصائص ثابتة لا تتغيّر، ودوامها إنما هو من محض المصادفة. فإن ظلت إحدى الخصائص ثابتة على مرور الزمان فيمكنها كذلك أن تنقرض بمروره"[1].

من هذا المنطلق ليست الأولوية الاعتبارية التي يضفيها سوسير على الآنية إلا امتثالا لخيار منهجي، وهذا الخيار المنهجيِ لا يعني سكونية اللغة. وما قد يبدو من تنازع بين مقاربتين آنية وزمانية كثيرا ما يعمد سوسير إلى الاستعارة لتقريب صورته وضبط حدوده كما في استعارات لعبة الشطرنج والسلاسل الجبلية وغيرها، وهو ما سنفصّل القول فيه لاحقا.

ومن خلال هذا الجهاز الاستعاريّ يقرّب سوسير ثنائية التطور والسكون في اللغة، ويمهّد لأولوية اعتبارية للمقاربة النظامية السكونية على المقاربة التاريخية التطوّرية، فيرى أنّ "أوّل ما يشدّ الانتباه عند دراسة الظواهر اللغوية هو أن تعاقبها في الزمن أمر لا وجود له بالنسبة إلى المتكلّم: فالمتكلم يجد نفسه دائما تجاه حالة لغوية مّا. ولذلك يجب على الدارس اللساني الذي يريد أن يدرك حقيقة هذه الحالة اللغوية أن يضرب صفحا عن جميع الأمور التي أحدثتها، أي أن يتجاهل الزمانية. وهو لا يستطيع أن يدرك ما في أذهان المتكلمين إلاّ إذا ألغى الماضي إلغاء. وذلك أنه ليس من شأن تدخّل التاريخ والزمن إلاّ أن ينحرفا بأحكامه عن الصواب. فكما أنه يكون من قبيل العبث أن تحاول رسم منظر جامع لسلسلة جبال الآلب بالتقاطه وأنت تنظر إليها في نفس الوقت من قمم متعدّدة من جبال الجورا (*Jura*)؛ إذ ينبغي أن يرسم المنظر الجامع من نقطة واحدة، فكذلك الأمر بالنسبة إلى اللغة، فأنت لا تستطيع وصفها ولا ضبط قواعد استعمالها إلاّ إذا قصرت نظرك على حالة معينة من حالاتها. ومثل اللساني يتتبّع تطوّر اللغة كمثل الملاحظ يتحرّك متنقلا من طرف جبال الجورا إلى طرفها الآخر لملاحظة ما يحدثه تغيّر موضع الملاحظة من تحوّل في أبعاد عمق الصورة"[2].

ويفترض مفهوم التغيّر بهذا المعنى أنه ظاهرة تتحقق في حياة اللغة بالانتقال من وضع إلى آخر ومن لحظة زمنية إلى أخرى. وهذا التغيّر يفترض مبدئيا أنه تابع للوجه الزماني التطوري من حياة اللغة. ولهذه المسألة إطار نظريّ عامّ يجعل اللسانيات تنخرط في النواميس المتحكمة في كل العلوم.

---

1. Ibid, p316.

2. Ferdinand de Saussure, (1979), p117.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

لذلك يعقد سوسير مقارنة بين اللسانيات وغيرها من العلوم في تمثل مفهوم التطوّر، فيرى أنّ "اللسانيات التطوّرية (...) شبيهة بعلم الجيولوجيا الذي هو كذلك علم من العلوم التاريخية. وقد يصف أصحاب هذا العلم عرَضا، بعض الحالات القارة مثل الحالة التي عليها منخفض الليمان، الواقع شمال جبال الآلب، بين فرنسا وسويسرا، وذلك بقطع النظر عما يمكن أن يكون قد سبق تلك الحالة في الزمن لكنهم يهتمون خاصة بأحداث وتغيّرات تكوّن تسلسلها سلسلة من الزمانيات. ولئن أمكن نظريا أن نتصور علم جيولوجيا استقباليا فالواقع يثبت أن النظرة لا يمكن أن تكون في أغلب الأحيان إلاّ استردادية لا غير. فقبل أن نصف ما حدث في نقطة ما من الأرض تجدنا مضطرين إلى إعادة بناء سلسلة الأحداث والبحث عما جرّ تلك النقطة من الكرة الأرضية إلى أن تصبح على ما هي عليه الآن"[1].

إنّ هذه المعطيات تضفي على مفهوم التغيّر قيمة مخصوصة من حيث هو يستغرق اللغة في كل أوضاعها غير أنه في الوجه الآنيّ متناهي المجهريّة، وهو في الوجه الزمانيّ واضح للإدراك المجرّد، فهو إمّا حاصل بشكل تطوري تعاقبي بين وضعين لغويين متعاقبين أو بشكل تزامني داخل مكونات النظام.

وتوضّح هذه الثنائية تلا زما منهجيا بين الآنية والزمانية على نحو يتجاوز أوجه التبسيط المدرسيَ التي يجدها الباحث في الكتابات التي تختصر المشروع السوسيري في تجاوز المقاربة التاريخية الزمانية وإرساء أسس المقاربة الآنية النظامية.

بذلك يكون مفهوم التغيّر جوهر حياة اللغة وقرين نظاميتها، وتكون الآنية والزمانية سليلتين لمفهوم النظام في حركيته الداخلية والخارجية، ولإبراز أسس هذه النظامية المطلقة يعمد سوسير إلى السياق الصوتي، فيرى أنه لبيان ما يحدث داخل المجموعات الصوتية، علينا أن نضع فونولوجيا نعدّ فيها هذه المعادلات بمثابة المعادلات الجبرية؛ فالمجموعة الثنائية تقتضي عددا معينا من العناصر الآلية والأكوستيكية يكيِّف بعضه بعضا، فإذا أصاب أحدَ هذه العناصر تغيّر كان له على العناصر الأخرى انعكاس حتمي يمكن تقديره وضبطه[2].

وهذا القيد الذي يختم به سوسير تصوره لعلاقة الوحدات الصوتية فيما بينها هو في الحقيقة عين ما يعرّف به علاقات الوحدات داخل النظام؛ إذ النظام في التصوّر السوسيري هو مجموعة من

---

[1]. Ibid, p293.

[2]. Ibid, p79.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص117-140)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

الوحدات التي تتفاعل فيما بينها على نحو يجعل كل وحدة داخل النظام لا تكتسب قيمتها من ذاتها وإنما من علاقتها ببقية وحدات النظام.

ويتجلى هذا النظام على نحويْن: سكونيّ وحركيّ، وبهذه الثنائية يُجّمل سوسير حياة اللغة في وجهين: وجه ثابت هو الذي يمثل دوامها واستمرارها عبر التاريخ، ووجه متحول هو المتمثل في تغيّرها وتطورها، يقول سوسير: للزمن الذي يحقّق استمرارية اللغة مفعول آخر مناقض للأول في الظاهر وهو تغيير العلامات اللغوية. ويحدث ذلك بدرجات متفاوتة من السرعة، ويمكن من بعض الأوجه أن ننسب إلى العلامة اللغوية صفتي اللاتحوّل والتحوّل في آن. والأمران في نهاية المطاف متضامنان. فالعلامة قابلة للتحوّل لأنها متواصلة في الزمن. وما يسود في كل عمليّة تغيّر هو بقاء المادة القديمة ودوام ها. فعدم مطابقة اللغة لصورتها لا يكون إلا أمرا نسبيا وهذا ما يفسّر لنا كيف أن مبدأ التغيّر يقوم على مبدأ الاستمرارية"[1].

ولتفصيل ذلك يرى سوسير أنه "ينبغي أن لا نخطئ في فهم المعنى المسند إلى كلمة "تغيّر" في هذا المجال. فقد تحمل هذه الكلمة على الاعتقاد بأن الأمر يتعلّق خاصة بما يصيب الدّال من تغييرات صوتية وما يلحق المتصوّر المدلول عليه من تغييرات معنوية، وفي هذه النظرة بعض القصور، فمهما كانت عوامل التغيير وسواء أعمل كل واحد منها على حدة أم عملت معا فإنها تفضي دائما إلى تزحزح في العلاقة القائمة بين الدّال والمدلول"[2].

وهذا العموم في تحقق التغيّر في مستوى مكونَي العلامة دالا ومدلولا يلازمه عموم آخر في جريان قانون التغيّر، وهو أن التغيّر –خلافا لما قد يبدو- يتحقق بين الألسنة إذا وفد أحدها على الآخر. يقول سوسير: "لا ينبغي أن نتصور أن اللسان المنقول إلى مكانه الجديد هو وحده الذي سيتغيّر بينما يبقى اللسان الأصلي على حاله ثابتا لا يتغيّر. والعكس أيضا غير صحيح في المطلق. فقد تنشأ البدعة اللغوية من هذا الطرف أو من ذاك أو من كليهما. وهب أنه توجد خاصية لغوية نسميها «أ» يمكن تعويضها بخاصية أخرى هي (ب، ج، د...) فإنّ التمايز اللغوي يمكن أن يتمّ على ثلاث صور مختلفة:

---

[1]. Ibid, p108-109.

[2]. Ibid, p109.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

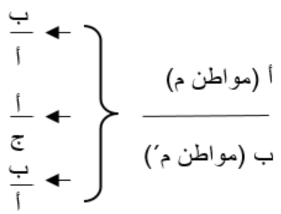

وإذن فلا يمكن أن تكون الدراسة متعلقة بأحد هذين الطرفين اللغويين فقط. وما يبتدع من ابتداعات في هذه اللغة أو تلك له نفس القدر من الأهمية"[1].

وهذا القيد المفهومي منهجي في جوهره، ذلك أنه يدعم الوجه النظاميَ من الظاهرة اللغوية، فللنظام ما يؤمّن استمراريته وديمومته لأن النظام استمرار دائم بين عناصر تتغيّر وأخرى تثبت، وبهذا الاعتبار يرى سوسير أنّ التغيّر يُدرَس ويفهم خارج النظام لا داخله، "فلما كانت التغييرات لا تلحق البتة النظام برمّته بل تلحق هذا العنصر أو ذاك من عناصره فقط فإنّه لا يمكن دراسة هذه التغييرات إلاّ خارج هذا النظام ولا شك أن لكل تغيّر من هذه التغيّرات صداه في النظام، لكن التغيّر الأول قد أصاب عنصرا واحدا فقط وليس له أية صلة داخلية بالنتائج التي قد تترتّب عليه بالنسبة إلى مجموع النظام. وهذا الفرق من حيث الجوهر، بين عناصر متعاقبة وعناصر متواجدة أي بين ظواهر جزئية وظواهر تمسّ كامل النظام، يمنعنا من أن نجعل من هذه وتلك مادة لعلم واحد"[2].

في ضوء هذه المعطيات يمكن إجمال ما نخلص إليه من ضبط سوسير لحدود مفهوم التغيّر في أربع خلاصات أساسية:

أولاها: أنّ التغيّر من صميم حياة اللغة، وتقتضي مجهريةُ التغيّر تفحّصَه في دقائق النظام اللغوي، وفي هذا الجانب يعدّ التطوّر تابعا للوجه التطوّري للغة.

والثانية: أن للتغيّر وجهين: آنيا وزمانيا، فالوجه الزماني يتم بالانتقال من حالة لغوية إلى حالة أخرى. والوجه الآني يتم بتغاير متزامن بين استعمالات مختلفة لدى متكلمين من عصر واحد، وذلك وفق ما يسمّيه سوسير "الاتحاد الزماني".

---

1. Ibid, p270-271.

2. Ibid, p124.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

والثالثة: أنّ مفهوم النظام يمثل مساحة مشتركة بين المقاربتين الآنية والتطورية، وذلك على نحو يزيل الأوهام التي تختصر نظرية سوسير اختصارا مخلاّ راج بمقتضاه فهْم لسوسير من حيث هو يقدّم المقاربة الآنية بديلا عن المقاربة الزمانية الرائجة في عصره والتي استقرت مبادئها منذ القرن التاسع عشر.

والخلاصة الرابعة: أنّ مفهوم التغيّر يختزل حركية اللغة في بعديها الآني والزماني، وهو لذلك أوسع من مفهوم التطوّر. فالتطوّر مفهوم مجاله التعاقب في حين أنّ التغيّر قد يكون على سبيل التزامن، فيكون تغايرا لا تطوّرا.

2. الضوابط العامة لمفهوم التغيّر في الدرس السوسيري:

يوحي حصول التغيّر في سلّم الزمن بأنّ في نظام اللغة تخلّقات (*Métamorphoses*) وحركية داخلية تجعل من غير المستساغ القول في اللغة بغير التطور، فلذلك يعمد سوسير إلى ربط مسألة التغيّر بالبنية في ثلاث مسائل، أولاها تعريف التغيّر من المنظور اللساني الآني، والثانية هي مولدات التغيّر في اللغة، والثالثة هي تجليات ذلك في مستوى العلامات من حيث هي المخرَجات النهائية للنظام اللغوي.

ويرتبط مفهوم التغيّر في هذه المستويات الثلاثة ارتباطا وثيقا بالديناميكية الداخلية بين وحدات النظام، وهو الأمر الذي يجعلنا نفهم هلامية التخوم بين الآنية والزمانية، فكأن الأمر لا يعدو مجرد مواضعة نظرية منهجية. والمثال الذي يعتمده سوسير للبرهنة على ذلك هو مثال لعبة الشطرنج، وهذا المثال هو من الاستعارات الوظيفية التي عمد إليها سوسير لإيضاح جوانب تقنية دقيقة في دروسه أهمها مفهوم النظام من حيث بنيته ومن حيث حركيته الداخلية والخارجية.

ففي هذا المضمار يرى سوسير أنه "لا يكون النظام أبدا إلاّ نظاما مؤقّتا إذ هو يتغيّر بتغيّر موقع القطع. وصحيح أن قيمة القطع هي رهينةٌ كذلك وبالخصوص لتواضع ثابت لا يتغيّر هو قانون هذه اللِعبة، وهو قانون موجود قبل بداية المقابلة، ويستمرّ وجوده بعد كل عملية من عمليات اللعب. ومثل هذا القانون المتفق عليه اتفاقا لا رجعة فيه موجود كذلك في ميدان اللغة وتمثّله المبادئ القارّة للسيميولوجيا"[1].

[1]. Ibid, p126.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ويتجلى مفهوم التغيّر في هذا السياق الآني في أننا إذا أردنا أن نمرّ من حالة توازن في اللعب إلى أخرى أو من حالة آنية إلى أخرى فإنّه يكفي لذلك نقل قطعة واحدة لا غير، لا أن نحدث اضطرابا عاما في ترتيب القطع. ويرى سوسير أن هذه المقارنة عالية الوجاهة انطلاقا من مقارنة في ثلاثة مستويات.

أوّل هذه المستويات أنّ لاعب الشطرنج لا يحرّك عند القيام بكل عملية إلاّ قطعة واحدة وكذلك الشأن في اللغة إذ لا تطرأ التغيّرات إلاّ على عناصر منعزلة. وثاني المستويات أنه على الرّغم من ذلك فإنّ لكل عملية تأثيرا في كامل النظام ويستحيل على اللاعب أن يتنبأ بالضبط بالحدود التي يقف عندها ذلك التأثير. وتكون التغيّرات في القيم بعد كل عملية إما منعدمة أو مهمة جدا أو متوسطة الأهمية وذلك حسب الظروف. فيمكن لعملية من العمليات أن تحدث انقلابا في سير المقابلة بأسرها وأن يلحق تأثيرها حتى القطع التي كانت لوقتٍ ما خارج نطاق انعكاسات اللعب. وهذا الأمر ينطبق تماما على اللغة[1].

والمستوى الثالث أنّ تحويل قطعة من مكان إلى آخر هو حقا عملية متميِّزة تميزا مطلقا من حالة التوازن السابقة وحالة التوازن اللاحقة لها مباشرة. والتحويل الحاصل هكذا لا ينتمي إلى هذه الحالة ولا إلى تلك: ونحن نعلم أنّ الحالات هي الشيء المهمّ الوحيد[2].

ونخلص من ذلك إلى أن مفهوم التغيّر هو حقا ما يمثل ناظم الانتقال بين حالات وأوضاع في النظام، وذلك الأمر هو ما يمثل في الحقيقة جوهرَ حيوية النظام. فلذلك يواصل سوسير التوسع في استعارة لعبة الشطرنج بضرب من الترشيح الاستعاريّ (أي الإتيان بما يلائم لفظ المستعار منه) فيرى أنّ "لكلّ وضع تكون عليه القطع أثناء مقابلة في الشطرنج طابعه الذي تنفرد به، وهو أنّه وضْع قد تخلّص من ربقة ما سبقه من الأوضاع الأخرى. وليس يهمّنا أن نكون وصلنا إليه من هذه السبيل أو تلك، وليس للذي يكون قد تتبّع جميع أطوار المقابلة أدنى فضل في فهمها على فضوليّ قد يأتي فينظر ما وصلت إليه حالة اللعبة في الفترة الحاسمة. وإذا أردنا أن نصف وضع القطع في هذه المرحلة لم نكن في حاجة البتة إلى أن نذكّر بما حصل قبل ذلك بلحظات معدودات. وكل هذا ينطبق كذلك على اللغة ويقرّ نهائيا مبدأ التمييز الجذري بين الدراسة الزمانية والدراسة الآنية إقرارا. فالكلام لا يقوم أبدا إلاّ على أساس حالة من حالات اللغة، أما التغيّرات التي تطرأ بين حالة وأخرى فلا محلّ لها فيه"[3].

---

[1]. Ibid, p126.

[2]. Ibid, p126.

[3]. Ibid, p126-127.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ولكن سوسير يستدرك بفرق وحيد بين اللغة ولعبة الشطرنج هو الاختلاف في المقصدية، فيشير إلى أنه "لا نجد إلاّ نقطة تختل فيها صحة وجه الشبه بين اللغة ولعبة الشطرنج: فلاعب الشطرنج يحوّل القطع ويحدث في النظام أثرا عن قصد، أما التغيّر الحاصل في اللغة فهو خال من كل قصد وسابق إضمار، إذ تتحوّل قطعها أي عناصرها أو بالأحرى تتغيّر تلقائيا وبحكم المصادفة والاتفاق. فإمالة فتحة (*hanti*) في قولهم (*Hände*) وكذلك فتحة (*gasti*) في (*Gästi*) قد نتجت عنها صورة جديدة لصياغة الجمع، ولكنها أحدثت أيضا صورة جديدة من صور تصريف الفعل كما في قولهم (*tragi*) عوضا من (*trägit*) إلخ. ولكي تشبهِ مقابلة الشطرنج قيام اللغة بعملها شبها كليا ينبغي أن نفترض وجود لاعب لا وعيَ له ولا ذكاءَ. على أن هذا الفرق الوحيد بين اللغة ولعبة الشطرنج يجعل المقارنة أكثر إفادة للناظر إن هو بيّن كيف أنه من الضروري أن نميز في اللسانيات بين هذين الضربين من الظواهر تمييزا مطلقا، إذ لئن تعذّر علينا حصر الظواهر الزمانية وردّها إلى النظام الآني الذي تكيفه تلك الظواهر عندما يقصد المرء إلى أن يقوم بتغيير من هذا القبيل فمن باب أولى وأحرى أن يستحيل ذلك عندما تسلّط تلك الظواهر الزمانية قوّة عمياء على صورة انتظام نظام من أنظمة العلامات"[1].

على هذا النحو يتجلى مفهوم النظام من حيث هو جوهر الدرس السوسيري في وجهيه الآنيّ السكوني والتاريخي التطوّري، وإنما يتجلى الفرق بين السياقين في مواضعة منهجية بمقتضاها يكون النظام سكونيًا في المنظور الآنيّ، حركيًا في المنظور التطوّريّ.

مدخلات التغيّر اللغويّ ومخرجاته

نقصد بالمدخلات مختلفَ المولّدات التي تهيئ الأرضية لحصول تغيّر في مستوى لغويّ معيّن، ونقصد بالمخرَجات ما تؤول إليه أبنية اللغة بحكم التغيّرات التي تطرأ عليها. ولسياقَي المدخلات والمخرجات علاقة متينة بالجهاز النظري السوسيري في مكوناته الدقيقة، فمن ذلك مثلا أن المدخلات تستدعي النظر في المستويات الثلاثة للظاهرة اللغوية: الكوني والاجتماعي والفردي. وهو أمر يؤكد مبدأ الترابط الوثيق بين مكونات الدرس السوسيري.

[1] Ibid, p127.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

1.3. مولدات التغيّر اللغويّ

من المعطيات الأساسية في هذا الجانب من نظرية سوسير ما يشار إليه في سياقات أخرى من أنّ الظاهرة اللغوية ثلاثية المستويات: مستوى كوني ومستوى اجتماعي ومستوى فردي، وهي ما يساوي في اصطلاحه على التوالي: اللغة (*Langage*) واللسان (*Langue*) والكلام (*Parole*). والمستويان الأخيران هما المستويان اللذان يجدان في الجهاز النظري السوسيري إطارا عمَليا لدراستهما ولبيان أوجه تجلّيهما في اللغة، فضلا عما بينهما من علاقة تراقب وتشارط.

إن اللسان هو مستوى تجريدي متحقق في اللغة انطلاقا من التحايث الضروري دائما بين كل منجَز لغوي والقواعد الداخلية المسيّرة له، فحيث ثمة كلام ثمة قواعد وضوابط نُظم الكلام على منوالها بالضرورة. وأن يكون هذا النظام مستنبطا من الكلام معناه أن كل تغيّر في هذا الأخير يرشّح لتغيّر في اللسان الذي تم استقراؤه منه. لذلك يصرِّح سوسير في عبارة جازمة بأن "كل ما هو زماني في اللغة ليس كذلك إلاّ بواسطة الكلام. فبذور جميع التغيّرات إنما تكمن في الكلام، وكل تغيّر إنما منطلقه الأول عدد محدود من الأشخاص قبل أن يدخل في الاستعمال العام"[1].

ومثال سوسير في ذلك فعل الكينونة في الألمانية "فأنت تراهم يصرِّفون فعل الكينونة في الألمانية المعاصرة فيقولون: (*ich war*) و(*wir waren*) بينما كان يصرِّف في الألمانية القديمة حتى القرن السادس عشر على نحو آخر هو: (*ich was*) و(*wir waren*) (ونحوُ ذلك ما نجده في اللغة الإنجليزية إلى الآن في قولهم: *I was* و*we were*). فترُى كيف تمّ إبدال "*war*" بـ "*was*"؟ الجواب أن بعضهم تأثر بـ (*waren*) فأنشأ (war) قياسا عليها فكانت هذه الصيغة في بداية الأمر تابعة للكلام ثم كثر ترددها في الاستعمال وارتضتها المجموعة اللغوية فأصبحت تابعة للغة. لكن ليس كل ما يجدّ في الكلام من ابتكارات يكتب له نفس القدر من النجاح. وما دامت هذه الابتكارات مقصورة على بعض الأفراد فلا فائدة في أخذها في الحسبان، وذلك لأننا إنما ندرس اللغة، فلا يمكن أن تدخل هذه الابتكارات مجال دراستنا وملاحظتنا إلاّ متى قبلتها المجموعة"[2].

إنّ اعتبار مستوى الكلام حيّزَ المتغيّرات هو اعتبار ذو وظيفة عَمَليّة إجرائية، وذلك في مستويين؛ أولهما أنّ التغيّرات اللغوية تصبح ظاهرة تاريخية حتمية وعلامة على حياة اللغة، وبالتالي يقتضي المنظور العلمي توصيف التغيّر واستقراء علله وتجلياته. والمستوى الثاني هو أنّ مختبر التخلقات

[1] Ibid, p138.

[2] Ibid, p138.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

الحقيقي إنما هو الكلام. وهذا مردّ الاستدراك الذي قدّمه سوسير في معرض ضبطه لموضوع اللسانيات، فبعد أن أسهب في بيان أن مستوى اللسان هو المستوى الأحرى بأن يكون موضوعا للسانيات، بيّن مشروعية وجود ضربين من اللسانيات هما لسانيات اللسان ولسانيات الكلام. ولا شكّ أن لسانيات الكلام هي المضمار الذي كانت منه مشروعية ولادة بحوث الخطاب. ومن رحم لسانيات الكلام كان مبحث الأسلوبية على صلة وثيقة بسوسير من وجهين: أولهما ما يراه الباحث من تصنيفية علوم اللغة بعد ظهور سوسير، والثاني أنّ من ينسب إليه الباحثون منشأ الأسلوبية -وهو شارل بالي *Charles Bally* (1865-1947)- هو تلميذ سوسير وأحد المتجنّدين الأساسيّين لجمع دروسه، فقد جمع دروس أستاذه سوسير بالتعاون مع زميله (*Albert Sechehaye*) (1870-1946)، ثمّ نشراها سنة 1916 بالتنسيق مع ألبار ريدلنجار (*Albert Riedlinger*) (1882- 1978).

2.3. مُخرَجات التغيّر اللغويّ

من البديهي القولُ بأنّ التغيّر إنما يدرك من منظور عام بما يوجد بين حالتين لغويتين من اختلاف، فلذلك عرّفنا في مطلع بحثنا التغيّر اللغوي بأنه انتقال في مستوى لغوي معيّن من وضع (أ) إلى وضع (ب). وهذا المعطى العام يتجلى تفصيليا في حياة العلامة اللغوية، وذلك انطلاقا مما يشير إليه سوسير معرّفا تغيّر العلامة بأنه "ضرب من زحزحة العلاقة القائمة بين الدّال والمدلول"[1].

ومن هذا المنطلق الجزئي يعمم سوسير تصوره للتطور، فيرى أن هذا التعريف ينطبق لا على تغيّر عناصر النظام فقط بل وعلى تطوّر النظام نفسه أيضا، فيخلص إلى أنّ "الظاهرة الزمانية في مجموعها إنما تنحصر في ذلك لا غير. بيد أنه متى حصلت لدينا ملاحظة تحويل ما في حدود الوحدات الآنية، فإننا نبقى مع ذلك بعيدين كل البعد عن تفسير كل ما جدّ في صلب اللغة تفسيرا كاملا؛ إذ يوجد مشكل هو مشكل الوحدة الزمانية في ذاتها ويتمثل في تساؤلنا بخصوص كلّ حدث لغوي عن العنصر الذي يخضع مباشرة لعملية التحوّل[2].

ولإيضاح هذه المعطيات يستند فردينان دي سوسير إلى أمثلة صوتية، وهي السياق الأوضح للتغيّر اللغوي، يقول سوسير: "وقد اعترضنا مشكل من هذا القبيل بشأن التغيّرات الصوتية، فهي لا تصيب إلاّ الصوتم المنعزل، أما الكلمة من حيث هي وحدة فلا عمل لتلك التغيّرات فيها. وبما أنه توجد أنواع شتى من الأحداث الزمانية فإنّه يتعين علينا أن نحلّ عددا كبيرا من المسائل المماثلة.

[1]. Ibid, p248.

[2]. Ibid, p248.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ولهذا فإنّ الوحدات التي سنعيّن حدودها في المجال الزماني لن توافق بالضرورة وحدات المجال الآني. فمفهوم الوحدة، طبقا للمبدأ الذي رسمناه في القسم الأول، لا يمكن أن يكون نفس المفهوم في هذين المجالين معا. ومهما يكن من أمر فإنّ مفهوم الوحدة لن يتبلور تمام التبلور ما لم ندرسه في كلا مظهريه: مظهره القار ومظهره التطوري. إن حل مسألة الوحدة الزمانية هو وحده الذي سيمكننا من تجاوز الجوانب الخارجيّة من ظاهرة التطور ومن إدراك باطنها وجوهرها. فمعرفة الوحدات ههنا كما في المجال الآني أمر ضروري لتمييز ما هو وهم مما هو واقع"[1].

ومن اللطائف في مفهوم التغيّر أن سوسير يدقق فيه بين ظاهرتين قد تلتبسان لأن مدارَهما على الاختلاف بين وضعين متر ابطين. ولكن هذا الاختلاف في سياق التغيّر الذي عليه مدار النظر هنا زمانيّ (*Diachronique*)، والضرب الثاني الذي قد يلتبس به آني (*Synchronique*) أي حاصل بالتزامن بين الوضعين. وقد استطرد سوسير في تفصيل ذلك بما يسميه "مسألة الاتحاد الزماني"، فقال: "ثمة مسألة أخرى على جانب كبير من الدقة واللطف وهي مسألة الاتحاد الزماني. وفعلا فلكيْ نستطيع الجزم بأن وحدة من الوحدات قد ظلت كما هي أي متحدة مع ذاتها أو بأنّ صيغتها ودلالتها قد تغيّرتا مع بقائها وحدة متميزة -وكلتا الحالتين ممكنة الوجود- ينبغي أن نتبيّن الحجة التي نستند إليها للقول بأن العنصر الفلاني التابع لعصر ما (مثل كلمة *chaud* الفرنسية مثلا) مماثل تماما لعنصر آخر تابع لعصر آخر (ككلمة *calidum* اللاّتينية مثلا"[2].

وللتمييز بين التغيّر، وهو ظاهرة تطورية، والتغاير، وهو ظاهرة آنية يقترح سوسير تفصيلا صوتيا يوضح من خلاله الفرق بين أن يتزامن استعمالان متقاربان من جهة وأن يتعاقبا وفق شروط تطوّر محددة من جهة أخرى، فيقول: "إنّ *calidum* لا بدّ أنها آلت إلى *chaud*، طبقا لقواعد اللغة العادية، بمفعول عمل القوانين الصوتية وبالتالي فإنّ كلمة *chaud* هي *calidum*. وهذا ما يطلق عليه اسم الاتحاد الصوتي. وكذلك الأمر بالنسبة إلى *sever* و*sēparāre*. وبعكس ذلك نقول إنّ *fleurir* و*flōrēre* ليستا نفس الشيء، وذلك لأن *flōrēre* كان ينبغي أن تؤول في الفرنسية إلى *flouroir* إلخ. ويبدو لأول وهلة أن هذا النوع من التطابق شامل لمفهوم الاتحاد الزماني عموما. والواقع أنه من المستحيل أن يكون الصوت بمفرده مفسرا لأسباب الاتحاد الزماني تفسيرا تاما. ولعلنا محقون عندما نقول إنّ الكلمة اللاّتينية *mare* ينبغي أن تكون صيغتها في الفرنسية *mer* لأن كل فتحة في اللاّتينية قد تحولت إلى فتحة ممالة *e* في الفرنسية في بعض الظروف المقيدة، ولأن الـ *e* غير

---

[1]. Ibid, p248- 249.

[2]. Ibid, p249.

مجلة اللساني، المجلد (1) - العدد (1) شتاء 2021م (ص ص117-140)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

المنبّرة إذا وقعت آخرا سقطت إلخ. بيد أن في الجزم بأن الذي يمثل الاتحاد إنما هو تانك العلاقتان *a* ⟵ *e* و *e*⟵ صفر، قلبا لطرفي المسألة إذ إن الأمر بعكس ذلك، لأنّ حكمنا بأن الـ *a* انقلبت إلى *e* وأن تلك الـ *e* سقطت من نهاية الكلمة إلخ.. إنما هو مستمد بالذات من المطابقة بين *mare* و*mer*"[1].

والقول الفصل في التمييز بين التغيّر والتغاير هو أنّ التغاير حيزه مكانان والزمن واحد، في حين أنّ التغيّر حيزه زمانان والمكان واحد. يقول سوسير: هب أنه يوجد شخصان ينتمي كل منهما إلى جهة معينة من فرنسا وأن أحدهما يقول *se fâcher* والآخر *se fôcher* فالفرق بينهما ثانوي بالقياس إلى الظواهر النحوية التي تمكننا من معرفة أن تينك الصيغتين المتميزتين تمثلان في الحقيقة وحدة لغوية واحدة. أما الاتحاد الزماني بين كلمتين مختلفتين اختلاف *calidum* و*chaud* فيعني أن الانتقال من الأولى إلى الثانية قد تمّ عبر سلسلة من الاتحادات الآنية في صلب الكلام، لا أكثر ولا أقل، وذلك دون أن يحدث بسبب التحولات الصوتية المتتالية أيّ انفصام للصلة الجامعة بينهما[2].

في ضوء هذا التمييز يبني سوسير مثالا آخر لإيضاح الفرق بين التغيّر والتغاير، وهو أنّ كلمة *Messieurs* أي "سادتي" إذا ترددت في الخطبة الواحدة فإنها تظل مماثلة لذاتها تماما بقدر ما هو مفيد أن نعرف لماذا تكون أداة النفي الفرنسية *pas* أي خطوة مماثلة تماما للاسم *pas* أو أن نعرف -والقضية واحدة في نهاية المطاف- لماذا اعتبرنا كلمة *chaud* الفرنسية مماثلة لـ *calidum* اللاّتينية. وليست المسألة الثانية في الحقيقة سوى امتداد للأولى وصورة متشعبة منها[3].

إن هذا الترابط الوثيق بين الآني والزماني يتجلى على نحو آخر في أنّ ما يسمى "حالة لغوية" ليس ناتجا عن تخوم واضحة عليها إجماع بين كل الدارسين، وإنما الأمر محض مواضعة وذلك من ثلاثة أوجه: أولها أنّ الحقبة قد تطول وقد تقْصر بحسب استمرار خصائص اللغة أو خروجها عنها. والثاني أنّ الأمر كثيرا ما يخضع لاعتبارات سياسية خالصة، والوجه الثالث أنّ الذي يدرس هذه التغيّرات يدرس حالات سابقة، وأدوات البحث فيها يمكن أن توسعها أو تضيقها لا فقط لاعتبارات خارجية وإنما كذلك لاعتبارات منهجية منها ما يتعلق بحدود أدوات البحث نفسها. يقول سوسير: "ومن الناحية العملية فإنّ ما يسمى بـ"حالة من حالات اللغة" ليس نقطة في الزمان إنما هو مدّة

[1]. Ibid, p250.

[2]. Ibid, p249-250.

[3]. Ibid, p249- 250.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص117-140)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

زمانية قد تطول وقد تقصر ويكون مجموع ما طرأ أثناءها من تغييرات طفيفا جدا. فقد تبلغ تلك المدة عشر سنوات أو جيلا أو قرنا بل أكثر من ذلك. وقد لا تتغيّر لغة من اللغات إلاّ قليلا وذلك خلال حقبة طويلة من الزمن ثم إذا بك تراها قد أصابتها بعد ذلك تغيّرات هامة في بضع سنوات. فخذ لك لغتين متعايشتين في فترة زمانية واحدة، فقد تتطوّر إحداهما تطورا كبيرا بينما لا يكاد يحدث في الأخرى شيء من ذلك. لذا تكون الدراسة بالضرورة آنية في الحالة الثانية وزمانية في الحالة الأولى. ولما كان حدّ الحالة اللغوية المطلقة هو انعدام التغيّرات، ولما كانت اللغة تتغيّر رغم ذلك - مهما يكن ذلك التغيّر ضئيلا - فإنّ دراسة حالة من حالات اللغة يؤول بنا عمليا إلى أن نهمل تلك التغيّرات الطفيفة على غرار ما يفعل الرياضيون عندما يهملون في بعض عملياتهم الحسابية الكميات المتناهية في الصغر كما هو الشأن في حساب أنساب الأعداد (أي الخوارزمات)"[1].

إنّ لقانون التغيّر من الأهمية ما جعل سوسير يسعى إلى تدقيقه مما يمكن أن يلتبس به من مفاهيم قد تشتبه به، فالتعريف الذي انطلقنا منه في مطلع البحث يفضي إلى إمكانية الالتباس بين ضربين من التغيّر، أحدهما زماني، وهو مدار النظر في هذا السياق. والثاني آنيّ، وهو محض تغاير بين وضعين لغويين متزامنين. لذلك ميِز سوسير بين ثنائيّ الحقيقة الآنية والحقيقة التاريخية من جهة أن ما بينهما من التطابق كثيرا ما يفضي إلى الخلط بينهما. ورغم ما يراه من ثانوية الفصل بينهما فإنه يستطرد في التمثيل للطف التمييز بينهما. يقول سوسير: "إن بين الحقيقة الآنية والحقيقة التاريخية من التطابق ما يجعلنا نخلط بينهما، ونعتبر فصل إحداهما عن الأخرى أمرا زائدا لا يُحتاج إليه. فمن ذلك أنهم يحسبون أنهم قد فسّروا معنى كلمة père في فرنسية اليوم إذا هم قالوا: إن كلمة *pater* اللاّتينية لها نفس المعنى. ومن ذلك أيضا قول بعضهم إنّ الفتحة القصيرة (*a*) إذا وقعت في مقطع منفتح ولم يكن ذلك المقطع في أول الكلمة انقلبت كسرة (*i*): كما في *faciō* و*confico* وفي *amīcus* و*inimīcus* إلخ. وغالبا ما صاغوا هذا القانون بقولهم: إن الفتحة (*a*) في كلمة *facio* أصبحت كسرة (*i*) في *conficio* لأنها لم تعد في المقطع الأول. وهو خطأ لأن فتحة *faciō* لم «تنقلب» إلى كسرة *conficiō* بتاتا. وإذا أردنا الرجوع إلى ما هو الصواب في هذه المسألة وجب علينا أن نميّز بين عهدين وأربعة عناصر: فقد نطقوا في بادئ الأمر *faciō* - *confaciō* ثم تحوّلت *confaciō* إلى *conficiō* بينما ظلت *faciō* على حالها لم تتغيّر فنطقوا: *faciō* - *conficiō*، ونمثل لك ذلك كما يلي:

[1]. Ibid, p142.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص117-140)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

عهد «أ» faciō ⟷ *confaciō*

↓ ↓

عهد «ب» faciō ⟷ *confaciō*

فإن صحّ أنه قد حدث «تغيّر» ما، فلا يمكن أن يكون إلا بين *conficiō* و*confaciō*. بيد أن القاعدة السابقة لم تشر إلى *confaciō* حتى مجرّد الإشارة. وذلك لأنهم لم يوفقوا في صياغتها صياغة حسنة. ثم إننا نجد إلى جانب هذا التغيّر الزماني بطبيعة الحال، أمرا آخر يتميز من الأول كل التميّز. ويتعلّق بالتقابل الآني المحض بين *faciō* و*conficiō*. فقد يميل المرء إلى القول بأنه ليس ظاهرة، وإنما هو نتيجة ومع ذلك فهي ظاهرة في صعيدها الآني بالذات، بل إنّ جميع الظواهر الآنية انما هي من هذا القبيل. والذي يحول دون إدراك القيمة الحقيقية للتقابل بين *faciō* و*conficiō* هو أنه تقابل ليس له كبير معنى"[1].

إنما أخذنا هذا الشاهد المطوّل من أمثلة سوسير لأنّ كثيرا مما يعدّ زمانيا تطوّريا إنما هو محض تزامن بين مستويين لغويين، وكل ما في الأمر أنّ الذي يراجع تاريخ اللغة كثيرا ما يركن إلى الأيسر لاسيما إن لم يجد ما يستدلّ به على التطوّر. ومن ملامح خطورة المسألة أنّ سوسير يقارن السياق السابق بمثال آخر لثنائي يقوم على تقابل متولّد عن تطور صوتيّ، ولكن هذا التقابل يمكن تأويله آنيا من حيث هو متعلق بظواهر نحوية جوهرية، يقول سوسير: "إذا نظرنا إلى الزوجين الآتيين *Gäste-Gast* «ضيف - ضيوف» و *gibt-gebe* «أعطى- يعطي»؛ رأينا أن هذين التقابلين هما كذلك من باب النتائج الاتفاقية المتولدة عن التطوّر الصوتي. لكن ذلك لا يمنع من أنها تمثّل على الصعيد الآني ظواهر نحوية جوهرية. ولما كان هذان الصعيدان بما فيهما من ظواهر مترابطين من جهة أخرى ترابطا وثيقا - إذ يكيّف كل واحد منهما الآخر - فقد انتهى الأمر ببعضهم إلى الاعتقاد بأن التمييز بينهما أمر لا حاجة لنا به. وفعلا فقد ظلوا يخلطون في اللسانيات بين هذين الصعيدين طيلة عشرات السنين وغاب عنهم أنّ منهجهم هذا منهج لا خير فيه"[2].

إنّ هذا التنسيب هو من الخصائص الأساسية في تعامل سوسير مع الظواهر التطورية، وهو تنسيب يمكن أن يفهم في الإطار العلمي العام الذي غدا يسم اللسانيات بفعل غلواء المنهج التاريخي المقارن في القرن التاسع عشر، فمن ذلك أنّ القوانين الصوتية التي صاغها جاكوب غريم (*Jacob Grimm*)

---

[1] Ibid, p136-137.

[2]. Ibid, p137.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

(1785-1863) وظلت فيها ثغرات واستثناءات سعى تلاميذه إلى البحث عن الاطراد فيها، فأسسوا بذلك الحلقة التي غدت تسمى "النحاة الجدد" مثل بروغمان (*Karl Brugmann*) (1849-1919) وديلبروك (*Delbrück*) (1871-1888) وأوستوف (*Hermann Osthoff*) (1847-1909)[1]. فقد بلغت المسألة درجة كبيرة من الغلوّ جعلت لسانيين مثل أووتو جسبرسن (*Otto Jespersen*) (1860-1943) ينتقدون هذه الآراء التي تتعامل مع المنظور التطوّري من وجهة نظر أحادية ودون تنسيب. فمن ذلك ما كان يدعى قانون (p.t.k)، فقد كان كوليتز (*Hermann Collitz*) (1855-1935) يقيم ترابطا حتميا بين تغير الأصوات وبيئات المتكلمين، فعزا تطور الأصوات الشديدة في اللغة الألمانية إلى نظائرها الرخوة إلى عامل الطبيعة الجغرافية في بعض جهات ألمانيا، فأكد في مقالاته أن الجهات الجبلية التي تميل لغاتها إلى التخلص من أمثال (b.d.g) فتهمس أولا لتصبح على الترتيب (p.t.k) ثم تقلب هذه إلى نظائرها الرخوة، أي الفاء والثاء والهاء. وهو يفسّر ذلك بأن البيئة الجبلية تتطلب نشاطا كبيرا في عملية التنفس على نحو يميل بالأصوات من الشدة إلى الرخاوة[2].

وقد عارض جسبرسن هذا المنظور بأنّ هذه الظواهر تتحقق في غير هذه البيئات الجغرافية[3]، وعدذ ذلك من غلوّ بعض أعلام مجموعة النحاة الجدد وعلى رأسهم لاسكيان[4] . فلذلك تتنزل وجهة نظر سوسير في إطار هذا التنسيب من غلواء المقاربات التاريخية التي ترسخت تقاليدها منذ القرن التاسع عشر، ومن أوجه هذا التنسيب قول فردينان دي سوسير مجادلا ما ذكرناه آنفا: "قد يذهب الظن ببعضهم إلى أنه يكفي لتفسير ما حدث في كلمة *phuktos* اليونانية أن نقول: إن الحرفين (*g*) أو (*kh*) ينقلبان كافا (*k*) إذا وقعا قبل حروف مهموسة، وأن نعبّر عن هذا التغيّر بتطابقات آنية من قبيل *phugeîn* : *phuktós* و*lékhos* : *léktron* إلخ. لكننا نصطدم بحالات من قبيل *tríkhes* : *thriksí* نلاحظ فيها تعقدا يتمثل في «المرور» من (*t*) إلى (*th*)، فلا يمكن أن نفسر صيغ هذه الكلمة إلاّ تفسيرا تاريخيا بالاعتماد على تسلسلها النسبي في الزمان. فقد تولد عن أصل الكلمة الأول *thrikh* مع اللاحقة الإعرابية si صيغة *thriksí*. وهي ظاهرة قديمة جدا مماثلة لتلك التي تولدت عنها صيغة *lektron* انطلاقا من الجذر *lekh* ثم في مرحلة لاحقة آل كل صوت

---

[1]. O. Jespersen, (1954), p93.

[2]. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص164.

[3]. المرجع نفسه، ص 164.

[4]. O. Jespersen, (1954), p93.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

منفس متبوع في نفس الكلمة بصوت منفس آخر إلى صوت مهموس فآلت *thríkhes* إلى *tríkhes* بينما شذت *thriksí* بطبيعة الحال عن هذه القاعدة، فلم تسلك نفس المسلك[1].

إن هذا المثال الذي يذكره سوسير يمثل بحق أدق حجة على تلازم وجهين في اللغة: نظاميّ يمثل آنيتها، وتطوري يجسّد حركيتها. وهذا السياق يستثمره سوسير لتقريب مفهوم القيمة في النظام اللغوي، فمن منظوره قد يلحق قيمة عنصر من العناصر تغيّر دون أن نكون قد غيرنا من معناه ولا من مادته الصوتية، إنما بمجرّد أنّ عنصرا قريبا منه قد أصابه تغيّر ما[2].

إن المستوى الأوضح للتغيّر اللغوي هو الواقع في المستوى الصوتي من الدوال، وهو تغيّر كثيرا ما يؤول إلى إمكانيات التباس لغوي، ففي كثير من الحالات ينقاد المتكلمون إلى نطقهم العفوي، وهو قائم بالضرورة على مبدأ الجهد الأدنى، فيؤدي ذلك إلى التباس بين صيغ لا يميز بعضَها من بعض إلا فويرق صغير في سمة تمييزية لصوتم معيّن، ومثال ذلك في العربية أنّ انقياد كثير من المتكلمين لنطقهم التلقائي آل إلى تماهي صوتمي الضاد والظاء في ظلّ وضلّ وفي ضنّ وظنّ، وهو الوضع في تونس والجزائر مثلا.

على هذا النحو اتخذ سوسير من بعض الظواهر الزمانية شواهد توضّح المعالم الخاصة بهذه المسألة توضيحا كبيرا، ويصفها بأنها تلك التي لا تحصى والتي فيها يؤدي تغيّر الدّال إلى تغيّر في الفكرة، والتي فيها نلاحظ أن جملة المعاني المتميز بعضها من بعض توافق مبدئيا جملة العلامات التمييزيّة. فكلما استوت كلمة في كلمة أخرى نتيجة للتغيّر الصوتي مثل *décrépit* = *decrepitus* و *crispus* = *décrépi* نزع معنياهما إلى الاستواء أيضا، شريطة أن يتوفر فيهما ما يدعو إلى ذلك. وأما إذا أصبح للكلمة صورة ثانية متميّزة من صورتها الأولى (مثل *chaise* و*chaire*) فإنّ هذا التميّز الحاصل سينزع في جميع الحالات إلى اكتساب دلالة خاصة[3]، على أن ذلك لا يتحقق دائما ولا من أوّل وهلة. وبعكس ذلك فإنّ كل اختلاف معنوي يدركه الذهن، يسعى المرء إلى التعبير عنه بدوالّ متميزة، وكل معنيين لم يعد الذهن يميّز بينهما ينزع المرء إلى الخلط بينهما والتعبير عنهما بنفس الدال[4].

---

[1]. Ibid, p136-137

[2]. Ibid, p166.

[3]. يذكر أصحاب الترجمة التونسية مثالا مهمّا في هذا المقام، وهو مثال البرتقال وبلاد البرتغال، وهي عند الجغرافيين العرب بلاد البرتقال.

[4]. Ibid, p167.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

من النقاط المهمة التي يخلص إليها الباحث من هذا المنظور السوسيري أنّ التغيّر ليس في هذا المنظور وضعا طارئا على اللغة من الخارج، وإنما هو من صميم ماهية اللغة، وهو أحد ملامح حيويتها الداخلية. ويتجلى هذا التصوّر انطلاقا من ردّ سوسير على من يمكن أن يعزوَ التغيّرات في اللغة إلى مجرّد عوامل خارجية، فهو يقول: "إن قال قائل: إنّ الاختلاف في البيئة والمناخ وصورة الأرض والعادات الخاصة (التي يتميز بها شعب من ساكن الجبال من آخر يسكن على ساحل البحر) قد يكون لها تأثير في اللغة وبالتالي فإنّ التنوع اللغوي الذي نحن بصدد درسه مقيد بعوامل جغرافية، قلنا: إنّ وجود تأثيرات من هذا القبيل أمر فيه نظر، وحتى لو أقيم الدليل على وجودها فإنّه ينبغي حينئذ أن نميز بين الأمور التالية: **إنّ اتجاه مثل هذا التطور** اللغوي يمكن أن يعزى إلى البيئة. وهو اتجاه تتحكم فيه في كل حالة من الحالات الخاصة عوامل غير متوقعة يصعب تقديرها. فهب أن الضمة أصبحت كسرة مستديرة في وقت ما في بيئة ما. فلماذا تغيّرت في ذلك الوقت وفي ذلك المكان بالذات؟ ولماذا آلت إلى تلك الحركة أي كسرة مستديرة لا إلى حركة أخرى مثل الضمة شبه المنغلقة؟ ذلك ما لا يمكننا الإجابة عنه. **أما التطور في حدّ ذاته**، بقطع النظر عن اتجاهه الخاص ومظاهره الخاصة -ونعني بالتطور عدم استقرار اللغة- فهو راجع إلى عامل الزمان وحده. وإذن فالتنوع اللغوي باعتبار المكان مظهر ثانوي من هذه الظاهرة العامة. ووحدة الألسن التي بينها قرابة لا يمكن الوصول إليها إلاّ عبر الزمان وهذا مبدأ ينبغي على المقارنين من اللسانيين أن يضعوه نصب أعينهم إن هم أرادوا ألا يكونوا عرضة لما لا تحمد عقباه من الأوهام"[1]. وهذا الرأي ينسجم تماما وما يذهب إليه أوتو جسبرسن من موقف إزاء غلواء المقاربات التطورية في دراسة المسائل الصوتية[2].

فبذلك يكون التغيّر معطى لغويا من صميم تخلقات اللغة من الداخل، وبهذا يتجلى شمول ظاهرة التطور لوجهي اللغة الآني والزماني. فبذلك تكون ظاهرة التطور من نظام اللغة وبنيتها مثلما هي من أعراضها الخارجية. في ضوء ذلك يمكن أن نفهم الخلاصات التي صاغها سوسير في شكل قوانين لدراسة التغيّرات الصوتية إذ يعتبر أنها تمثل عمق اللغة في تلازم وجهيها الآني والزماني. فمن ذلك صاغ أربع خلاصات مهمة

فالأولى أنّ هذه الظواهر الزمانية ليست الغاية منها البتة التعبير عن قيمة من القيم بواسطة علامة أخرى جديدة، وشاهدُ سوسير في ذلك هو مثال التغيّرات الصوتية في كلمة "*gasti*"، "فأن تكون *gasti* قد آلت إلى *gesti* ثم إلى *geste* (وترسم في الألمانية *Gäste*) أمر لا يمت إلى صيغ الأسماء بصلة. ألا ترى أنّ نفس الظاهرة الصوتية أي الإمالة في قولهم *tragit* التي آلت إلى *trägt*

[1]. Ibid, p272.

[2]. O. Jespersen Language, (1954), p93-94.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص117-140)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

تتعلّق بتصريف الأفعال، وهكذا دواليك. فالظاهرة الزمانية إذن إنما هي حدث شرعية وجوده كامنة في ذاته، أمّا ما يترتّب عليها من نتائج آنية خاصة فهي غريبة عنها ولا تمت إليها بصلة"[1].

والخلاصة الثانية أننا "لا نلاحظ في هذه الظواهر الزمانية أدنى نزعة ولو إلى تغيّر نظام اللغة: فليست الغاية منها المرور من نظام من العلاقات إلى نظام آخر، وذلك لأن التغيّر لا يتعلّق بترتيب العناصر بالذات وإنما بالعناصر المرتّبة نفسها"[2]. فمن هذه الناحية يؤلّف مفهوم النظام مساحة مشتركة بين الآنية والزمانية، فمن منظور سوسير " لا يغيّر النظام البتّة تغيّرا مباشرا، فهو في حدّ ذاته ثابت لا يتغيّر إنما يلحق التغيّر بعض العناصر دون بعض بصرف النظر عما يربطها من تضامن. وهذا الأمر شبيه بما قد يحدث لو أنّ كوكبا من الكواكب التي تحوم حول الشمس تغيّر حجمه ووزنه. فقد يحدث هذا الحدث المنعزل نتائج عامة ويحوّل توازن النظام الشمسي بأكمله. وللتعبير عن الجمع لا بدّ من وجود مقابلة بين صيغتين: فإمّا *fōt* : *fōti* وإمّا *fōt* : *fēt*. وهاتان الطريقتان في صوغ الجمع متساويتان في إمكان الوجود، بيد أن الانتقال من الأولى إلى الثانية قد وقع دون أية ممارسة إنّ صحّ هذا التعبير: فليس المجموع بأكمله هو الذي تحوّل، ولم يحدث نظام نظاما آخر؛ بل إنّ عنصرا من عناصر النظام الأول قد تغيّر، وكان هذا كافيا لأن يولّد عنه نظام جديد"[3].

من هذه الملاحظة يخلص سوسير إلى نتيجة ثالثة، فمن وجهة نظره تجعلنا النتيجة السابقة "ندرك على نحو أحسن من ذي قبل أن الحالة اللغوية ذات طابع **عفويّ** دوما. فاللغة خلافا لتلك الفكرة الحاصلة لد ينا عنها غالبا ليست إوالية خلقت ونسّقت عناصرها للتعبير عن المتصوّرات بل نلاحظ على العكس من ذلك أنّ الحالة اللغوية الناتجة عن التغيّر لم يكن القصد منها التعبير عما تتضمّنه تلك الحالة من معان: فقد تحدث حالة لغوية عفوية عن طريق الاتفاق وتصبح معطى من المعطيات كنحو *fōt* : *fēt* فنغتنمها لنحمّلها دور التمييز بين المفرد والجمع. ولكن هذا لا يعني أن الحالة اللغوية *fōt* : *fēt* أوفق للتعبير عن ذلك المعنى من *fōti* :* *fōt* ، إنما ينفخ فكر الإنسان - بالنسبة إلى كل حالة لغوية - في مادة معيّنة ويبعث فيها الحياة. لكن هذه النظرة التي أوحت إلينا بها اللسانيات التاريخية ظلّت مجهولة في النحو التقليدي، ولم يكن أصحابه ليصلوا إليها البتّة

[1]. F.de. Saussure, (1997), p121.

[2]. Ibid, p121.

[3]. Ibid, p121.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

بمناهجهم الخاصة. كما أن معظم فلاسفة اللغة يجهلون هذه النظرة كذلك، والحال أنه لا وجود لفكرة أهم منها من الناحية الفلسفية"[1].

وأما الخلاصة الرابعة فجعلها سوسير إجابة عن السؤال: هل يمكن على الأقل اعتبار سلسلة الظواهر الزمانية وسلسلة الظواهر الآنية من نفس القبيل؟

تتمثل إجابة سوسير في نفي أن تكون سلسلتا الظواهر الآنية والزمانية من نفس النوع، وتعليل ذلك أنّ التغييرات تحدث دون أن يكون لحدوثها أي مقصد. أما الظاهرة الآنية فهي على العكس من ذلك ذات دلالة دائما، وتستوجب دائما وجود عنصرين متزامنين، فالذي يعبّر عن الجمع ليس كلمة *Gast* بمفردها وإنما تعبّر عنه المقابلة بين الكلمتين *Gast* و*Gäste*. أما الظاهرة الزمانية فالأمر فيها عكس ذلك تماما فهي لا تتعلق إلاّ بعنصر واحد: فلكيْ تظهر صيغة جديدة *Gäste* مثلا، يجب أن تتنازل لها الصيغة القديمة (*gasti*) عن مكانها[2]. ويخلص سوسير من ذلك إلى أنّ محاولة الجمع بين ظواهر متنافرة كل التنافر في علم واحد هو من باب الإقدام على عمل من الأعمال الوهمية إذ نحن نباشر في وجهة النظر الزمانية ظواهر ليس لها أية علاقة بالأنظمة رغم أنها تكيف تلك الأنظمة.

الخاتمة

تعود القيمة الابستيمولوجية لمفهوم التغيّر في أنه الآلية الخلفية للثنائية الراسخة في دراسة الظواهر على محور الزمن: آنيا أو تطوّريا. وهي الثنائية التي استقرت في اللسانيات، ولكنها تتجاوز الظاهرة اللغوية والعلم اللسانيّ لتكون أساسا نظريا يتعلق بكل ما يمكن أن يشمله النظر العلمي، ولئن استقر في الأذهان تمييزٌ بين مقاربتين: سكونية آنية لا تعتمد معيار الزمن، وتطوّرية زمانية تعتمده، فإنّ من أوجه الأهمية في الدرس السوسيريّ أنه يدرس المستويين المنهجيين بتبصر عميق، فإذا به يخلص في دراسة مفهوم التغيّر إلى ما يلتبس به من التغاير، فينتهي إلى أنّ النظام في حركيته الداخلية الآنية وفي حركيته الخارجية التطورية خاضع لقوانين اشتغال النظام اللغويّ، وهو أمر يفضي إلى مستقر آخر لمبدأ النظام، حيّزه الذهن نفسه، فأيا كان مستقرّ النظام ومرجعه، فإن تجليه في الذهن المسيّر للغة والمحدد لوجهة نظرنا للعالم والأشياء.

---

[1]. Ibid, p121-122.

[2]. Ibid, p122.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص117-140)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

بيبليوغرافيا

- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدّار التّونسيّة للنّشر، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب الجزائر، تونس، 1986.
- ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
- Charles Darwin, On the Origin of Species by Means of Natural Selection, or the Preservation of Favoured Races in the Struggle for Life, London, 1959.
- Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, publié par Charles Bailly et Albert Séchehaye avec la collaboration d'Albert Riedlinger, Edition critique préparée par Tulio de Mauro, postface de Louis-Jean Calvet, 1997.
- Otto Jespersen Language; its nature, development and origin, London: G. Allen & Unwin, Collection robarts; Toronto, 10th edition, 1954.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص141-165)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ملامح من تلقي الفكر اللساني الروسي المعاصر للسانيات سوسير

مقال فلاديمير ألباتوف، «سوسير وباختين»، أنموذجا

ترجم المقال عن الروسية د. تحسين رزاق عزيز
tahseen1@bk.ru
وعلّق عليه د. مختار زواوي
كلية الآداب اللغات والفنون
جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس/الجزائر
mokh_zouaoui@yahoo.fr

الملخص:

لقد وضع سوسير إطارا صارما حدّد ضمنه الأولويات في اللسانيات، وفصل اللسان عن الكلام معتبرا هذا الأخير مفتقدا للنسقية، لكن ميخائيل باختين الذي قبِل، خلافا لفالنتين فولوشينوف، بالفصل بين اللسان والكلام (أي بفصل اللسان عن الخطاب حسب اصطلاحه)، عدّ الاستئثار بمسائل اللسان غير كاف، واعتبر دراسة الكلام مسألة ضرورية. ولقد ميز، في مجال الكلام، العنصر الأكثر استقرارا، وهي أجناس الخطاب المطروحة بدقة للمتكلم جنبا إلى جنب مع اللسان. وإن ثمة الآن توجّهين متعاكسين، يتعايشان في كثير من الأحيان؛ إذ إننا نلحظ، من ناحية، سعيا من أجل الصرامة العلمية، وخاصة في البحوث التجريبية والتطبيقية، وبات الباحثون في الأداء اللساني يتحرون الاعتماد على الخصائص الثابتة التي تشمل أجناس الخطاب، والتي أشار إليها باختين من قبلُ. لكن مستوى الدقة العلمية انخفض، من ناحية أخرى، لدى عدد من اللغويين مقارنة بالفترة السابقة. وإننا نلفي، في روسيا الحديثة، عموما، نأي اللسانيات الوظيفية عن المبادئ التي انطلق منها سوسير. وفي هذا الشأن، تشغل أعمال ميخائيل باختين المكانة البارزة عند أتباع الوظيفية. لقد تحررت اللسانيات الوظيفية الحديثة من القيود التي فرضها سوسير ووسعت موضوع البحث، بما في ذلك دراسة أجناس الخطاب.

الكلمات المفتاحية:

فرديناند دي سوسير، ميخائيل باختين، اللسان، النسق، اللسانيات الوظيفية، أجناس الخطاب.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

Some aspects of reception of F. de Saussure linguistics by contemporary Russian linguistic thought
The article by Vladimir Alpatov «Saussure and Bakhtine», translated from Russian by Tahsin Razzak Azziz

tahseen1@bk.ru
Commented by Mokhtar Zouaoui
mokh_zouaoui@yahoo.fr

Abstract:

F. de Saussure determined rigid limits of priorities in linguistics and separated language from speech that has no system in his opinion. M. M. Bakhtin in his work «The Problem of Speech Genres» accepted the differentiation of language and speech (utterance in his system of terms) unlike V. N. Voloshinov but he considered the concentration on the problems of language insufficient and the study of speech necessary. In the field of speech, he singled out the most stable component – speech genres that are set to speakers together with language. Now there are two opposite, but often co-existing trends. On the one hand, we see the desire for scientific rigor, especially in experimental and applied research. By a purely linguistic study of the functioning of language, linguists also try to rely on some stable characteristics, among which, of course, are speech genres. On the other hand, many linguists, compared with the previous period, have a level of scientific rigor, which has decreased. In general, in modern Russia the functional linguistics is far from the principles, which F. de Saussure relied on. And among the precursors of functionalism, Mikhail Bakhtin undoubtedly took an important place.

The modern functional linguistics took Saussure's limits away and expanded the object of studies including speech genres.

Keywords:

Ferdinand de Saussure, Mikhail Bakhtin, language, system, functional linguistics, speech.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

مقال

اللساني linguist

مقال الباحث الروسي فلاديمير ألباتوف الذي نقدمه للقارئ العربي، ترجمة وتعليقا، من بين البحوث المعاصرة التي تناولت بالمقارنة فكريْ فرديناند سوسير (1857-1913) وميخائيل باختين (1895-1975) اللسانييّن، وهو يعبر في الآن ذاته عن طبيعة تلقي الفكر الروسي المعاصر للسانيات سوسير؛ إذ ما انفك كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة منذ ترجمته إلى الروسية سنة 1933 منفذه الرئيس إليها، وعلى الرغم من أن هذا المقال، الذي نقله إلى اللسان العربي صديقنا الأستاذ الدكتور تحسين رزاق عزيز، نشر سنة 2016؛ أي بعد ما يفوق عقدا من الزمن على نشر كتابات سوسير الجديدة (2002)، فإن صاحب المقال لا يبرح يستشهد من كتاب المحاضرات بما يقيم به الحجة على سوسير لينتصر لميخائيل باختين. ولعل ركون الباحث لكتاب المحاضرات، دون سواه من نصوص سوسير الأصيلة التي باتت في متناول الباحثين، له ما يبرره؛ إذ يبدو أن الباحث، لاعتماده الكلي على الترجمة الروسية لكتاب المحاضرات، وخلو مكتبة بحثه من ذكر أصله الفرنسي، ليس له نصيب من المعرفة باللسان الفرنسي. ونحن إذ نشير إلى ذلك، فإنما لتأكيد أن الباحث فاته الاطلاع على ما أورده تيليو دو مورو من الملاحظات الخطيرة التي نشرت أوّل الأمر بالإيطالية سنة 1967، وترجمت إلى اللسان الفرنسي وأردفت إلى طبعةٍ نقدية عن كتاب المحاضرات سنة 1972، ملاحظات لا تقتصر على النظر في طبيعة تأليف كتاب المحاضرات، وترتيب أبوابه وتتابع فصوله، بل تجتهد أيضا في تمييز أفكار سوسير الأصيلة عما أضيف إليها، في هذا الكتاب، من تصورات لا تمت بصلة إلى ما كان سوسير يلقنه لطلبته.

إن اطلاع الباحث على الترجمة الإنجليزية التي صدرت سنة 2006، لم يمكّنه من إنزال أفكار ميخائيل باختين اللسانية، التي ما تزال تحتفي بها المحافل العلمية لجدتها وجودتها، المنزلةَ الإبستيمولوجية المعاصرة، ولو كان فعل لَكَانت المقارنة التي عقدها بين أفكار سوسير وباختين اللسانية اتجهت الوجهة المخالفة لما تمخض عنه مقاله، ولأدرك أن النقود التي انهال بها على سوسير، بالاستناد إلى

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

كتاب المحاضرات، ستحل محلها أفكار نقدية أخرى، مُؤسّسة لاستنادها إلى أفكار سوسير الأصيلة المنشورة سنة 2002، ومُؤسَسة لوعي نقدي لساني جديد، ينزل أفكار سوسير وباختين المنزلة العلمية نفسها، لأن الخصومة الموهمة، بالقول إن سوسير انتصر للنسق اللساني على الكلام الذي أعاد له باختين موقعه الطبيعي من علم اللغة، من خلال النظر في أجناس الخطاب، خصومة ستتحول إلى استشراف علمي جديد لو أن أفكار باختين الرائدة أعيد ترتيبها في إطار مشروع سوسير الحقيقي، الرافض للفض ما بين لسانيات اللسان ولسانيات الكلام، مشروعٌ تلخّصه المعادلة التي باتت مألوفة لدينا: «السيميولوجيات = المورفولوجيات، النحو، التركيبيات، الترادف، البلاغة، الأسلوبيات، المعجميات، الخ، الكل متّصل».

إن الأهمية التي ينطوي عليها المقال المترجم لا تحتاج إلى تبرير، فهو يقدم للقارئ العربي تصورا أصيلا عن فكر باختين ينهل من اللسان الروسي مباشرة، خلافا لعدد من البحوث التي ركنت إلى ألسن أجنبية تحدثت عن أفكار باختين، من مثل الفرنسية والإنجليزية، وهو فضلا عن ذلك يقدم للقارئ العربي نبذة عن واقع الدراسات اللسانية الروسية المعاصرة التي اتجهت صوب مدارسة الكلام مخالفة بذلك كثيرا من المبادئ البنوية الأوروبية واللسانيات التوليدية الأمريكية.

فلاديمير ألباتوف

«سوسير وباختين»[1]

لقد بات معلوما أن الدراسات الحديثة لأجناس الخطاب تستند، إلى حد كبير، إلى أعمال ميخائيل باختين التي سبقت عصرها، لا سيما مخطوطته، التي لـم ينهها، الموسومة بـ«مسألة أجناس الخطاب» التي كتبها بين سنتي 1953 و1954، ونشرت سنة 1978. وإنه لمن الضروري النظر في ارتباط الأفكار التي احتوت عليها هذه المخطوطة بما شاع من أفكار لسانية في الفترة التي ألّفت فيها، وخاصة أفكار سوسير في اللسانيات العامة التي تصدرت المشهد آنذاك، وهي المحاضرات التي نشرت بعد وفاة سوسير سنة 1916؛ أي قبل مائة عام تحديدا. لقد كان تصور سوسير يحتفظ بتأثيره، بشكل تام، خلال السنوات التي عكف فيها باختين على تحرير «مسألة أجناس الخطاب»، بما في ذلك في بلدنا على الرغم من الانتقاد الذي وجه له آنذاك، لاعتبارات أيديولوجية أو علمية. ولعل أهم

[1]. العنوان الأصلي للمقال:

В. М. Алпатов, «СОССЮР И БАХТИН», Жанры речи, 2016, №1, С. 9–17.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

الانتقادات التي اتسمت بالطابع العلمي تلك التي تضمنها الكتيب الذي أصدره ألكساندر سميرنيتسكي بالتزامن مع تأليف «مسألة أجناس الخطاب». وكانت الترجمة الروسية لمحاضرات سوسير في اللسانيات العامة التي صدرت أوّل الأمر سنة 1933 في متناول الباحثين، فقد احتوت مخطوطة «مسألة أجناس الخطاب» على إشارات إليها، لكننا نستند في هذا العمل إلى الطبعة الروسية الثانية [3] وهي جزء من المؤلف الجامع، «أعمال دي سوسير في اللسانيات»، الصادر عن دار التقدم (موسكو، 1977، 695 صفحة، الصفحات 35-273)، ونكتفي فيه بالإشارة إلى رقم الصفحة فقط.

لقد كانت مسألة التمييز الواضح بين المسائل اللغوية والمسائل غير اللغوية أهم المسائل التي بسطها سوسير في كتاب المحاضرات، لكنه انتهى، نتيجة لذلك، إلى توسيع حدود اللسانيات وتضييقها في الآن ذاته، من خلال رد الاعتبار للسانيات السنكرونية التي لا تحفل بتاريخ اللغة من جهة، وحصر مجالات البحث الأخرى التي تحظى بالأولية، من جهة أخرى. ويمكن معاينة ذلك فيما تعلق بالتمييز بين اللسان «*langue*» والكلام «*parole*»، وهو الذي، خلافا للتمييز بين السنكرونية والدياكرونية، لم يكن السبب المباشر لاستياء اللغويين الذين لم يبلغ موقفهم حد الرفض الكلي لنسق سوسير الفكري برمته، كما هو حال فالنتين نيكولايفيتش فولوشينوف. إن ما عبر عنه سوسير في هذا الشأن مألوف، فقد نادى بضرورة: «التموقع منذ الوهلة الأولى إلى جانب اللسان واتخاذه معيارا لكل تمظهرات اللغة الأخرى» (ص47)، بعدما نبّه إلى أن: «موضوع اللسانيات سيبدو لنا كالكتلة من الأشياء المتباينة، لا شيء يصلها فيما بينها، إن نحن أقبلنا على مدارسة اللغة، في الآن ذاته من زوايا متعددة. وإن نحن انتهجنا هذا المنهج فإننا سنفتح الباب على مصراعيه لعلوم أخرى من مثل علم النفس، والأنثروبولوجيات، والنحو المعياري، والفيلولوجيات، وغيرها من العلوم التي نميزها عن اللسانيات تمييزا محكما، والتي من شأنها المطالبة باللغة بوصفها موضوعا من الموضوعات التي تنظر فيها إن نحن لم ننتهج المنهج السوي» (ص47).

ولما كان اللسان في تصور سوسير «كيانا قائما بذاته» (ص48) فإن الكلام (الكلام = اللغة - اللسان) يفتقر إلى التجانس والوحدة، ومن ثم فإن «اللسانيات من شأنها الاستغناء عن العناصر الأخرى المكونة للغة» (ص53). لم يحظ مفهوم الكلام، من بين المفاهيم المؤسسة لتصور سوسير، إلا بتعريف جزئي، ولم تستقص خصائصه إلا بشكل عام جدا، من مثل القول: «إن الكلام هو مجموع ما يقول الناس»، وأنه «لا يتألف إلا من مجموع الحالات الفردية» (ص57). وليس من العسير التحقق، والحال هذه، من أن أجناس الخطاب تنتمي، في تصور سوسير إلى مجال الكلام.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

لقد قام سوسير أيضا بالفصل بين «لسانيات اللسان» و«لسانيات الكلام»، واتخذ من أحد القسمين الذي هو اللسان الموضوع الرئيس، وباتت لسانيات الكلام مجرد فرع ثانوي (ص57)، ولم يقتصر حديثه عن ضرورة التمييز بين اللسانياتين؛ بل أردف قائلا: «إن تعاملنا سيقتصر على لسانيات اللسان» (ص58). لكن الواقع أن ما أوثر عن سوسير وتناقلته كراسات طلبته يشير إلى وجود موضوع «لسانيات الكلام» في أواخر المحاضرات، دون أن تحتوي ملخصات الطلبة على شيء منها، دلالة على أن سوسير لم يتطرق إليها.

ولم يكتف سوسير بإبعاد لسانيات الكلام بل قام أيضا بإزاحة مجموعة من العناصر المؤلفة لما أطلق عليه تسمية اللسانيات الخارجية، لكنه لم يتطرق إلى مناقشة مسألة العلاقة القائمة بين لسانيات الكلام واللسانيات الخارجية، بل اكتفى بالتأكيد على ذلك قائلا: «إن التعريف الذي ارتضيناه للسان يقتضي استبعاد كل شيء يقع خارج كيانه ونظامه؛ أي ما أسميناه باللسانيات الخارجية، على الرغم من أن اللسانيات الخارجية تعنى بمسائل مهمة وهي المسائل التي عادة ما يلتفت إليها عندما يتعلق الأمر مباشرة بدراسة اللغة» (ص59)، وهي تشمل «جميع العلاقات الممكنة التي تربط بين تاريخ اللسان وتاريخ العرق أو الثقافة الحضارة»، و«العلاقات القائمة بين اللسان والتاريخ السياسي، وقضايا اللسان الأدبي (اللسان الفصيح)، ومسائل التوزيع الجغرافي للألسن (ص59-60).

يندرج إذن، ضمن اللسانيات الخارجية تخصصاتٌ لسانية من مثل تلك التي يصطلح عليها في الوقت الراهن باللسانيات الاجتماعية، والأسلوبيات، ولسانيات الثقافة. كما يندرج ضمن هذا الحقل المعرفي البحثُ في التفرعات اللهجية على الرغم من إمكانية دراستها دراسة بنيوية، وكذا البحث في الاقتراض اللغوي (ص60-61)، على الرغم من أن أنساق الاقتراض في عدد من الألسن تمتلك أيضا سمات بنيوية، مثلما هو الشأن بالنسبة إلى اللسان الإنجليزي ذي النسق الفرعي الروماني الخاص. لقد باتت الظواهر اللغوية الخارجية تسمى إذن، غير لسانية، وعلى الرغم من أن الإجماع معقود على الأهمية التي تنطوي عليها دراستها، فإن اللسانيات الخارجية، على نحو ما يبرزه كتاب المحاضرات، «من شأنها أن تجتهد في مراكمة الجزئيات دون أن تكون مقيّدة بما يستلزمه النسق» (ص60-61).

ليست مسألة الكتابة أوفر حظّا؟ في كتاب المحاضرات من مسائل أخرى؛ إذ إنها هي الأخرى «لا تمت بصلة بالنظام اللساني الداخلي»، فهي مجرد «آلة يثبّت بها اللسان» (ص62)، ومن ثم فإن الأهمية التي طالما اكتسبتها الكتابة في علم اللغة أهمية «لا تستحقها» (ص64). إن مسألة جهاز النطق هي الأخرى مسألة ثانوية في اللسانيات (ص48)، فعمل هذا الجهاز لا يعد عملا سيكولوجيا

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص141-165)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

لذلك ينبغي عده أيضا «عملا ثانويا وحسب» (ص55)، ولئن جاء ذكره في المحاضرات فإن هذه الأخيرة ترفض بشدة وجهة النظر حول حاجة اللغوي إلى معرفة الحقائق المتصلة بهذا الجهاز (ص60).

ويقصى أيضا من مجال لسانيات اللسان كل ما يرتبط بعمليّات الوعي؛ إذ إن «الإرادة والعقل» تعزيان إلى الكلام فقط (ص50)، و«اللسان ليس وظيفة المتكلم، بل هو نتاج نهائي يتمثله المتكلم بشكل سلبي، ولا يحتاج مطلقا إلى قصد مسبق» (ص50)؛ أي لا يتعلق الأمر البتة بخيار من جانب المتكلم الذي لا يستعمل إلا «المنتج النهائي». وفي هذا السياق، يمكننا أن نلمس جدلا خفيا قائما بين تصور سوسير وتصور ولهالم فون هامبودلت، فهذا الأخير يعتبر خلافا لسوسير اللسان نشاطا، كما أن مسألتي السلبية والقصد المسبق اللتين تنتفيان في تصور سوسير للسان تميزانه عن وجهة نظر بدوان دو كورتوني. وقد لاقت وجهة نظر سوسير التي تستبعد التدخل الواعي في اللسان وفي السياسة اللسانية انتقادات من قبل ليف ياكوبينسكي، تلميذ دو كورتوني (ياكوبنسكي، ص4). إن كل القوانين التي تسري على اللسان، ليست، استنادا إلى ما يراه سوسير، سوى نتائج عرضية، غير إرادية، للتطور» (ص119).

ولقد أشار سوسير، في معرض حديثه عن المسائل التي يطلق عليها الآن تسمية «التصنيفية»، إلى أن «اللسان لا يزودنا، إلا لماما، ببيانات دقيقة وموثوق فيها عن المؤسسات الاجتماعية وأخلاقيات الأفراد الذين يستعملون هذا اللسان» (ص264)، واعترض «على الاعتقاد السائد القائل بأن اللسان يعكس الطابع الذهني للمجموعة اللسانية»، لأن «الأساليب اللسانية لا تحكمها بالضرورة مقتضيات سيكولوجية» (ص264). لقد عمد سوسير، في حقيقة الأمر، إلى نفي إمكانية دراسة ما يصطلح على تسميته الآن بلوحات العالم[1]، وعلى الرغم من عدم نفيه إمكانية استخلاص جملة من الفوائد من عملية التصنيف النحوي للألسن إلا أنه خلص إلى القول «باستحالة استخلاص شيء ما من هذه التصنيفات إلا ما ارتبط منها بالمجال اللساني المحض» (ص265).

إن كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة يُختتَم بالعبارة التي أضحت شهيرة، وهي «إن الموضوع الحقيقي والوحيد للسانيات هو اللسان، في ذاته ولذاته» (ص269)، وهذه العبارة، التي لا نجد لها أصلا فيما دونه طلبة سوسير، عبارة غامضة، وثمة من يرى بأنها من اختلاق شارل بالي وألبير سشيهاي،

[1]. لوحة العالم هي مجموع المعارف المرتبة حول الواقع المتكونة في الوعي الاجتماعي (الجمعي والفردي)، وهناك لوحة عالم مباشرة ولوحة عالم غير مباشرة، ولوحة عالم إدراكية تمثل صورة الواقع الذهنية المتكونة في الوعي الإداري لشخص أو لشعب بأكمله التي تنتج عن الانعكاس المباشر للواقع أثناء التفكير. ولوحة عالم قومية خاصة بجماعة معينة. [المترجم].

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ناشريْ المحاضرات، وهي مخالفة لتصورات سوسير [خولوددوفيتش 1977، ص19]. ومن غير المرجح أن تكون أعمال بالي وخاصة سشيهاي أكثر انسجاما مع هذه الجملة من كتاب المحاضرات، وقد تكون بمثابة تسجيل لتصريح أدلى به سوسير.

لكن الأكيد أن الجملة من ابتكار شارل بالي، وهي تعبر تعبيرا واضحا عن جوهر أفكار سوسير وأتباعه، فقد ذكر بالي في كتابه المنشور سنة 1913 أن «توفر الباحث على فرصة تمكنه من فهم طبيعة النسق اللساني الحقيقية متعلق بتحلله من الأفكار الخاصة بماضي النسق اللساني هذا، وأن الباحث ملزم بالتغاضي عن علاقة اللسان بالمجتمع وثقافته حتى يتيسر له التركيز على تفاعل العلامات اللسانية فيما بينها» [شارل بالي، ص39]. ولقد كان هذا التصور المثل الأعلى الذي تبنته البنيوية، وهو سمة مشتركة بين مدارسها ومذاهبها، تارة بشكل صارم (كما هو الشأن بالنسبة إلى يلمسليف، وبشكل أقل صرامة تارة أخرى، (مثلما هو بارز عند أعضاء حلقة براغ).

يمكننا القول إجمالا أن المهام المنوطة بعلم اللغة تتمثل في السعي للإجابة عن ثلاثة أسئلة هي: «ما هي بنية اللسان؟»، و«كيف تتحول الألسن؟»، و«ما هي وظيفتها؟». لقد ارتبطت مسألة البنية اللسانية، في جميع التقاليد اللسانية، ومنها التقاليد الأوروبية التي نشأ عنها علم اللغة، ارتباطا وثيقا بقضايا تعلم الألسن ونحوها، ثم تحول اهتمام اللغويين، مع حلول القرن التاسع عشر، إلى مسألة التحولات اللسانية، لكن كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة سرعان ما أعلن العودة من جديد إلى دراسة البنية اللسانية. أما مسألة الوظيفة اللسانية فإنها لم تنل حظها من البحث إلى غاية منتصف القرن العشرين. صحيح أن هامبولدت، وكارل فوسلر، وإدوارد سابير، وغيرهم كانت لهم من قبلُ تصورات رائدة في هذا الشأن، لكن المسألة ظلت تفتقد إلى نظرية علمية تُبِين عنها. وعموما غالبا ما افتقدت المسألتين الأخريين إلى منهج علمي رصين يعنى بهما.

لقد كان ميخائيل باختين واحدا من العلماء القلائل الذين عُنوا بدراسة وظيفة اللسان وطرائق استخدام الفرد المتكلم له في أثناء التحاور مع الآخرين، بينما نأى سوسير بنفسه عن هذه الدراسة معتقدا بانحصار هذه المسألة في «مجموعة من الحالات الخاصة» التي يمكن الاستغناء عن دراستها. ولا يجب الاعتقاد بأن القيد هذا لم يكن له نتائج محمودة، فقد كان التركيز على المسائل المرتبطة بالبنية اللسانية (التي لم تدرس إلا لماما من الناحية النظرية ابتداء من القرن السابع عشر حتى أوائل القرن العشرين) باعثا على تحرير علم اللغة من الأزمة التي آل إليها، وتطوير البحث في مكونها

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

البنيوي بشكل ملحوظ. لكن ميخائيل باختين، شأنه شأن حلقته، لم يرض عن هذا القيد وتجسد موقفه هذا في كتاب فالنتين فولوشينوف «الماركسية وفلسفة اللغة»[1].

لقد برزت بين كتاب «الماركسية وفلسفة اللغة» و«مسألة أجناس الخطاب» اختلافات بخصوص أفكار سوسير، ففي كتاب سنة 1929، تُنفى تماما موضوعية وجود اللسان بالمعنى السوسيري (وهو ما أثبته ألكسندر سميرنيتسكي بعد مرور ربع قرن من ذلك): «إن وعي الفرد المتكلم الذاتي لا يتعامل مع اللسان بوصفه نسقا من الصيغ المتطابقة معياريا، فهذا النسق مجرد تجريد اهتُدي إليه بشق الأنفس وبقصد معرفي وعملي محدد، وهو نتاج تفكيرٍ على اللسان، وليس من ابتكار وعي الفرد المتكلم به من أجل تحقيق أغراض الكلام المباشر» [فولوشينوف 1995، ص281-282]. إن الإطار المعرفي والعملي يحيل إلى مهام تعلم الألسن وتفسير النصوص في ألسن أجنبية (بما في ذلك الألسن القديمة)، لكن «النسق لا يمكن أن يكون أساسا لفهم الوقائع اللسانية وتفسيرها في وضعها الآني وفي وتحولها» [ن. م، ص298].

يُبرز نص «مسألة أجناس الخطاب» لباختين موقفا من النسق اللساني مخالفا للموقف الذي عبّر عنه في كتاب «الماركسية وفلسفة اللغة»؛ إذ يتواتر فيه مفهوم النسق للدلالة، هذه المرة، على أنه ظاهرة حقيقية، ففي مطلع البحث يتحدث باختين عن الملفوظات «*énoncés*» الناجمة عن الاستعمال اللساني (إن مصطلح «*parole*» الذي استخدمه سوسير، المعبّر عنه بمصطلح الكلام، يتطابق مع مصطلح الخطاب الذي يستخدمه فالنتين فولوشينوف وميخائيل باختين، ويتجلى هذا التطابق في نص باختين، «مسألة أجناس الخطاب»، مرتين في الصفحة نفسها (ص275)): «إن استعمال اللسان يتم في شكل ملفوظات مُحَقّقة، متفردة (منطوقة كانت أم مكتوبة) ناتجة عن تمثل ميادين النشاط الإنساني. إن الملفوظات هذه تعكس الشروط الخاصة لكل ميدان من هذه الميادين والأهداف المبتغاة منه، ليس فقط بإعمال مضامين تيمية وأسلوب تبتغيه؛ أي بإعمال اختيارات

[1]. لا أريد العودة من جديد إلى مسألة تأليف الكتاب التي كتب عنها الكثير. ولكنني أعتقد أنه لا توجد أسس مقنعة لإنكار تأليف فالنتين فولوشينوف للكتاب، من ناحية، وأن الكتاب يحتوي، من ناحية أخرى، على أفكار اقترحها ميخائيل باختين. بيد إنه من المهم، كما كتب ميخائيل باختين نفسه في الرسالة التي بعث بها إلى فاديم كوجينوف في 10 كانون الأول (يناير) من عام 1961 (باختين 2000، ص128)، تأكيد أن باختين كان له تصور مشترك عن اللسان والنتاج الكلامي مع فالنتين فولوشينوف. وفي الوقت نفسه، لا ينبغي للمرء أن يطابق المطابقة التامة بين الأفكار التي تضمنها كتاب «الماركسية وفلسفة اللغة» ونص «مسألة أجناس الخطاب»، وهو أمر يخص، على سبيل المثال، التعليقات في النصين [1: ص9]، إذ توجد بينهما تباينات، يمكن تفسيرها إما من خلال الاختلافات في وجهات نظر ميخائيل باختين وفالنتين فولوشينوف، أو (على الأرجح) من خلال تطور آراء ميخائيل باختين. ولعل إحدى المسائل التي باتت موضوع اختلاف بينهما اختلاف موقفهما من آراء سوسير (المؤلف).

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص141-165)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

معجمية، وجملية، ونحوية يوفرها اللسان، بل أيضا وخصوصا بالاستناد إلى بنائها التركيبي» (ص249).

وتتوافق دلالة مفهوم اللسان التي أقر بها سوسير مع «الوسائل المعجمية والجملية والنحوية»، وهو ليس ضربا من التجريد، ولا «نتاج عمل الفكر» على نحو ما هو بارز في كتاب «الماركسية وفلسفة اللغة»، بل إنه شيء متحقق: ولا يستعمل المتمكن من اللسان إلا ما هو متحقق. ثم يعبر باختين عن الفكرة نفسها بشكل أوضح بقوله: «إن اللسان، بوصفه نسقا، يشتمل، بلا ريب، على ذخيرة ثرية من الوسائل اللغوية، والمعجمية والصرفية، التي تمكن الفرد المتكلم من التعبير عن موقفه التقويمي والعاطفي» (ص279)، وتسمى الكلمة والجملة «وحدات لسانية ذات معنى» (ص277)، فاللسان في كل موطن من مواطن نص «مسألة أجناس الخطاب» يُفهم بالمعنى الذي ارتضاه سوسير، لكنه يتجلى بصورة أوضح؛ أي أن اللسان، «من حيث كونُه نسقا»؛ نسق موجود وهو أيضا ضروري لإنجاز الملفوظات. ولا بد لي أن أشير ههنا إلى أن جميع حالات الجدل المباشر مع العلاّمة سوسير التي يثيرها نص «مسألة أجناس الخطاب» لا ترتبط بالتمييز بين اللسان والكلام من حيث هو تمييز، ولا بالمسائل المترتبة على اللسان. إن وجهة نظر فالنتين فولوشينوف، خلافا لميخائيل باختين الذي استطاع أن يجد لمصطلح اللسان موقعا من نسقه المفاهيمي، وجهة نظر مخالفة.

إن اللسان، في نص باختين، نسق من الوسائل (المعجمية والنحوية، والتنغيمية أيضا) التي يشترك فيها الناس أجمعون، وهي الوسائل التي تسهم في تأليف الملفوظات أثناء عملية التحاور الكلامي، ولئن كان هذا التصور لا يختلف بكثير عن التصور الذي يرتضيه له سوسير، فإن مؤلف نص «مسألة أجناس الخطاب»، يختلف معه في تصوره عن الكلام (الخطاب) حين يصفه سوسير بأنه «مجموع الحالات الفردية»، ويحتدم الخلاف معه عندما يعمد إلى حصر مهام اللسانيات في «اللسان في ذاته ولذاته». إن ما أتينا على ذكره على لسان باختين، من عبارات «المضامين التيمية»، و«البناء التركيبي»، و«الأسلوب اللساني»، أمور لا ينفيها سوسير، وإنما يتجاهلها. وفي الوقت الذي يزيح فيه سوسير عملية انتقاء الوسائل المعجمية والجملية والنحوية، (مع وصف هذا الانتقاء نشاطا وفعل إرادة وعقل)، من حدود اللسانيات الداخلية، ينحو باختين منحى التوكيد في نصه المذكور على أن الانتقاء إنما هو انتقاء لجنس خطاب معيّن، وهو انتقاء يعكس «إرادة المتلفظ» (ص271).

لكن عناية باختين بمسائل الكلام من منظور سوسيري لا يجب أن يفهم منه أنه رفض للنسقية، فقد نظر باختين فيها انطلاقا من مفهوم الجنس الخطابي الذي أضحى مفتاح تصوره لها؛ إذ يقول: «من المؤكد أن الملفوظ إذا ما نظر إليه معزولا يعد ملفوظا فرديا، لكن كل مجال من مجالات

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

استخدام اللسان ينتج أنماطه الخاصة به، وهي أنماط مستقرة نسبيا، ونصطلح على تسميتها بأجناس الخطاب» (ص249). وعلى الرغم من التنوع الذي تتصف به أجناس الخطاب، وقلة تجانسها (وهو السبب الذي حال دون دراستها دراسة شاملة)، إلا أنها تشترك كلها في كونها من «طبيعة قولية (لسانية)» (ص251). ويقول في موضع آخر من نص «مسألة أجناس الخطاب»: «ما كان لظاهرة جديدة (صوتية كانت، معجمية أو نحوية) أن تلتحق بالنسق اللساني من دون أن يجري عليها الأسلوب-الجنس اختباره مطولا ويصقلها» (ص256).

إن أجناس الخطاب المختلفة موّحَدة المواصفات بدرجات متفاوتة، ولكن «حتى في المحادثة الحرة وغير المُتَكلّفة نكيّف كلامنا وفقاً لأشكال معينة من الأجناس، أحياناً تكون مبتذلة ومبنية وفقاً لنموذج معيّن، وأحيانًا أكثر مرونة وتناسقاً وإبداعيةً (الحوار اليومي الدارج له أيضاً أنواع إبداعية). فنحن نكتسب أجناس الخطاب هذه بالطريقة نفسها التي نكتسب بها اللسان الأم [...]. إن أجناس الخطاب تنظِّم كلامنا بدرجات متفاوتة مثلما تنظمه الأشكال النحوية (التركيبية) [...]. ولو لم يكن ثمة أجناس للخطاب، أو تعذر علينا التحكم فيها، وكان علينا ابتكارها لأول مرة في عملية الكلام، لباتت مبادلاتنا الكلامية مستحيلة» (ص272).

تكتسي هذه الصياغة أهمية بليغة، فهي تعبّر عن موقف باختين المحتفظ من جهة بالتمييز بين اللسان والكلام، والرافض من جهة أخرى لواحد من الفوارق الرئيسة التي استند إليها سوسير لإقامة هذا التمييز وهو المقابلة بين نسقية اللسان وعدم نسقية الكلام. ومن الممكن، في هذا السياق، مقارنة الأفكار التي تضمنها نص «مسألة أجناس الخطاب» بتلك التي عّبر عنها السير آلان غاردنر في بحثه عن نسقية اللسان والكلام. (للمزيد من التفاصيل ينظر: [ألباتوف 2002، وألباتوف 2005، ص255-259]). صحيح أن نص «مسألة أجناس الخطاب» لا يستعمل مفهوم النسقية إلا بمعناه التقريبي لأن «أجناس الخطاب أكثر قابلية للتغير، وهي مرنة مقارنة بأشكال اللسان التي تكتسي بالنسبة إلى الفرد المتكلم قيمة معيارية، فهو لا يبتكرها بل يتلقاها. ولذلك لا يمكن اعتبار الملفوظ، وعلى الرغم من فرديته وخاصيته الإبداعية، تأليفا متحررا من الأشكال اللسانية، على نحو ما فعل سوسير مثلا (وعلى عقبه عدد من اللغويين الآخرين)، عندما قابل الملفوظ «*parole*» بوصفه فعلا فرديا محضا بنسق اللسان بوصفه ظاهرة اجتماعية مفروضة على الفرد» (ص274-275). «إن سوسير يجهل إذن، أن ثمة فضلا عن أشكال اللسان، صيغا تتألف من هذه الأشكال اللسانية؛ أي أنه يجهل أجناس الخطاب» (ص275).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

إن المسألة الرئيسة المؤسسة لاختلاف باختين مع سوسير تكمن، إذن، في تضييق هذا الأخير من إشكالية اللسانيات، وحصر مهامها في دراسة «أشكال اللسان»، وفي المقابل من ذلك، يعمد باختين، عندما يقبل على دراسة المسائل التي يصنفها سوسير في خانة الكلام، إلى استخلاص، ما هو ثابت وقابل للتحليل الدقيق من بين الظواهر العديدة؛ أي أجناس الخطاب التي تكتسي هي الأخرى دلالة معيارية. وتستقي أجناس الخطاب أولى خصائصها المميزة، عند باختين، بتصنيفها إلى أجناس أولية وأخرى ثانوية، لكنه لم يقدّم معايير كفيلة بالتمييز بين الأجناس، ولا نعلم وجودا لها في العلم الحديث.

وترتبط بالجدل المباشر القائم بين باختين وسوسير حالةٌ أخرى تتصدر نص «مسألة أجناس الخطاب»، وهي تلك المتعلقة بمسألة التواصل الشفوي. وتجدر الإشارة ههنا إلى قلة التجانس التي تعتري بعض المصطلحات الواردة في هذا النص، من مثل مصطلح الملفوظ الذي يبدو أحيانا مكافئا لمصطلح الكلام «*parole*»، وأحيانا أخرى يتوارد في النص نفسه بوصفه وحدته الأساسية. كما يتضمن النص القول أيضا بأن الملفوظ قد يتطابق أحيانا مع حدود الجملة، لكن التواصل الشفوي، بوصفه وحدة ذات درجة أعلى من التجريد، هو المكافئ لمصطلح الكلام عند سوسير. «لقد دأب سوسير، ولغويون آخرون، على النظر إلى اللسان من زاوية المتكلم، وكأني به العنصر الوحيد في عملية التواصل، لا علاقة له بالمشاركين الآخرين، ولئن نظر في دور الآخر، فغالبا ما ينظر إليه بوصفه القائم بدور المستمع الذي يكتفي بفهم المتكلم بشكل سلبي [...]. وكثيرا ما يُلجأ في المحاضرات الخاصة باللسانيات العامة (بما فيها المحاضرات الجادة جودةَ محاضرات سوسير) إلى إبراز شريكي الكلام – المتكلم والمستمع الذي يتلقى الكلام– من خلال مخطط للآليات الفاعلة للكلام من جهة المتكلم والآليات السلبية للإدراك وفهم الكلام من جهة المستمع» (ص258-259). إن المخططات هذه ضرب من ضروب الخيال العلمي، لأن «المستمع الذي يتلقى الكلام ويستوعب دلالة الخطاب (اللسانية) يتخذ في الآن ذاته، إزاء هذا الخطاب، موقف المستجيب الفاعل» (ص259).

لم يكتف ميخائيل باختين بانتقاد سوسير على هذا التصور للتواصل الكلامي، بل طال انتقاده هامبولدت وكارل كوسلر (كما كان هذا الأخير عرضة للنقد في كتاب «الماركسية وفلسفة اللغة» كذلك). وينبغي أن أذكر بأن الموقف الفاعل للمستمع لم يؤخذ بعين الاعتبار في عدد من المخططات الأخرى لعلميات الكلام، من مثل تلك التي اقترحها كل من كارل بوهلر وشارل بالي، باستثناء ألان غاردينر الذي يفهم الكلام عنده بأنه ظاهرة ذات أربعة جوانب هي المتحدث، والمستمع، والكلمات والأشياء (غاردينر 1932، ص62). ولقد أشار الباحث كرايغ برانديست إلى صلة أفكار غاردينار بتصورات ميخائيل باختين ومؤسسي التداوليات بقوله: «يمكن اعتبار غاردينار بمثابة حلقة الوصل

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

المفقودة بين تصور باختين للملفوظ ونظرية أفعال الكلام لجون أوستين وجون سيرل» (براندست 2002، ص181).

ولقد انتقد باختين أيضا عدم قدرة اللسانيات (مدرسة سوسير ومن حذا حذوها من البنيويين، والسلوكيين الأمريكيين، وأتباع فوسلر) على التعرف على طبيعة الملفوظات الحقيقية نتيجة «اقتصارها على محاولة التعرف على خصوصية الخطاب اليومي الشفوي، مستندة في ذلك (مثلما هو الشأن بالنسبة إلى السلوكيين الأمريكيين) إلى الملفوظات البدائية» (ص251)، وهو انتقاد يندرج، كما هو الشأن بالنسبة إلى انتقاداته الأخرى، ضمن رفض الحد من موضوع البحث وعدم النظر فيه في مجمله.

إننا نعلم أن باختين انكب على تحرير نص «مسألة أجناس الخطاب» في المرحلة القصيرة من «المذهب اللساني الستاليني»، (وهو المذهب الذي نشأ بعد ظهور عمل ستالين، «الماركسية وقضايا علم اللغة» في عام 1950، وبدأ في التلاشي تدريجيا، قبل المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي في عام 1956). لذلك، يشير النص إلى عمل ستالين في أكثر من موطن، والحقيقة أن الإشارات هذه سقطت في عدد من الطبعات الموجودة من النص، ويتعذر استخراجها من السياق. بيد أن ما ذكرناه عن باختين بشأن ضرورة امتلاك المتكلم، فضلا عن اللسان، أجناس الخطاب، ولا سيما عبارة «أشكال اللسان المشتركة (المفردات والبنية النحوية)»، ينطوي على إشارة مباشرة إلى ما كتبه جوزيف ستالين حينما أحصى للسان مكونين رئيسين هما «المفردات المضمون الرئيس للقاموس» و«البنية النحوية» (غاردينر 1932، ص06).

إن مصطلح «لسان الأمة المشترك» مصطلح يستخدمه جوزيف ستالين باستمرار؛ أي أن نص «مسألة أجناس الخطاب» ينطوي على اعتراف واقعي أن موقف ستالين يشبه في هذه الحالة موقف سوسير ومن حذا حذوه الذين انتقدهم ميخائيل باختين. وفي المواد التحضيرية التي صاغ منها باختين نص «مسألة أجناس الخطاب» يتضح ذلك أكثر (هنا كان ما يزال الناشرون يحتفظون باسم مؤلف «الماركسية وقضايا علم اللغة»: «إن التصور الستاليني للسان تصور، بوصفه نسقا معياريا، لا يتطابق مع التواصل الشفوي الذي يعد هذا النسق شرطا لازما له ولكن يرتبط (معه) ارتباطا وثيقا» (باختين 1940، ص272). ويعني ذلك أن ستالين، شأنه شأن سوسير، عُني بالنسق اللساني ولم يولِ عنايته بالتواصل الكلامي، بما في ذلك أجناس الخطاب التي هي أكثر ثباتا. ولا تكاد تقتصر هذه السمة على سوسير وحده، بل كان يعبر عن رأي سائد في الفترة التاريخية التي برز فيها، وهي السمة التي وسمت جوزيف ستالين أيضا.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ولقد ظلت تصورات سوسير إزاء اللسان والكلام في السنوات التي عكف باختين، في مدينة سارانسك، على تحرير نص «مسألة أجناس الخطاب»، هي التصورات اللسانية السائدة في الأوساط اللسانية بما فيها اللسانيات السوفييتية، ولعل أوضح الأمثلة على ذلك هو النموذج الشعبي الذي اقترحه إيغور ميلتشوك، «المعنى- النص» في ستينيات القرن الماضي وسبعينياته. «إن وصف لسان ما (أو جانب منه) يقتضي صياغة نموذج من النمط «المعنى- النص» (غاردينر 1932، ص06)، كما «ينبغي تطبيق نموذج «المعنى- النص» بصورة شكلية خالصة، بواسطة صياغات واضحة ومترابطة من الناحية المنطقية ولا تتطلب معلومات إضافية، وتطرح إمكانية التنفيذ المبدئي للنموذج، أو أي جزء من أجزائه، على آلة حاسبة» (برانديست 2002، ص20). ومع هذا، توضع باستمرار أطر معنية. ولما «كان اللغوي لا ينتهج هذه الطريقة -على الأقل في الوقت الراهن- لا ينبغي أن يشغل نفسه بالبحوث الفيزيولوجية العصبية لما يحدث بالضبط في الدماغ عند التحدث أو الفهم، طالما أن محول اللسان (المترجم الآلي) يأخذ بالنسبة إلى اللسانيات دور «العلبة السوداء» المعروفة» (ن. م، ص13) «يصمم النموذج اللساني بصورة وظيفية بحتة، من دون محاولات لربط نموذجنا مع الواقع النفسي (العصبي وغيره) للسلوك الكلامي» (م. ن، ص27)، و«يصمم النموذج اللساني فقط في مخطط تحويل النص- المعنى من دون حساب الوظائف اللسانية الأخرى وصلاتها التاريخية والاجتماعية وما شابهها» (ن. م، ص27). وبالطبع، لا يجري الحديث هنا عن شيء مشابه لأجناس الخطاب، كل هذا متطابق تماما مع موقف سوسير.

ليس من اليسير التنبؤ بالتأثير الذي كان سيحدثه نص باختين، «مسألة أجناس الخطاب»، في تطور اللسانيات في بلادنا، لو قدّر له أن ينشر سابقا، بيد أنه من اليسير القول بأن الأمور جنحت إلى التغير منذ صدور الطبعة الأولى منه في عام 1978، وإن سبعينيات القرن الماضي شهدت تحولا فعالا في المواد الجديدة التي «برزت في مقدمتها مسائل دراسة التواصل» [ستالين 1950، ص19]، بما في ذلك لسانيات النص ونظرية أفعال الكلام والتداوليات وتحليل الخطاب...

ولقد وصفت المرحلة الجديدة في تطور علم اللغة بشكل واضح في بحث ألكسندر كيبريك «مسلمات اللسانيات»، الذي تقدم به أول الأمر في صورة بحث في عام 1982، وصدر في كتاب بعد عام من ذلك. واعتبر ألكسندر كيبريك أنه من الضروري «توسيع حدود اللسانيات وجعلها أقرب إلى العلوم الإنسانية الأخرى... فكل ما يتعلق بوجود اللسان وأدائه يقع ضمن اختصاص اللسانيات... وإن ما يعد «غير لساني» في مرحلة ما يندرج ضمن اللسانيات في مرحلة لاحقة» (ن. م، ص20). لا يوجد شيء يمكن تأجيله بشكل متعمد لوقت لاحق، وليس ثمة حدود تقام سلفا. أما بالنسبة إلى

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

سوسير، فإن الأمر الرئيس كان الفصل بين اللسانيات وغير اللسانيات، ورفض «فتح الأبواب للعلوم الأخرى».

إن ثمة الآن، في بلادنا، محاولات تسعى إلى دراسة طرائق أداء اللسان في إطار توجهات مختلفة نسبيا، وهي التوجهات التي يشار إليها بالمذهب الوظيفي. ولقد تطور علم التصنيف والدلاليات بشكل لافت، وبدأت تلوح بشكل خاص أهمية الدور الذي تضطلع به دراسة ما يسمى بلوحة العالم، وفي هذا الإطار، برزت مسألة دراسة لوحات العالم الوطنية الخاصة بالناطقين بهذا اللسان أو ذاك، وتحديد علاقة اللسان بالثقافة وبالأخلاق. ويعني ذلك أن البحث في الألسن إنما هو بحث عن «البيانات المتعلقة بأخلاق ومؤسسات الأفراد الذين يستخدمون هذا اللسان»، وهو الأمر الذي حذر منه سوسير. ولقد تحول العلم صوب كل ما يحدث «في الواقع»؛ أي إلى العلميات الحقيقية التي ترافق توليد الكلام واستيعابه، وتطورت اللسانيات النفسية واللسانيات العصبية التي أغفلها إيغور ميلتشوك من قبلُ. أما الآن، فإن ذلك، خلافا لما كان عليه الأمر في الستينيات والسبعينيات، يعتبر كله جزءا لا يتجزأ من اللسانيات، وإن نظرية أجناس الخطاب المستندة إلى أفكار باختين تعد هي الأخرى، دون ريب، من بين مجالات الاتجاه الوظيفي الذي ما انفك يتطور بشكل فعال.

ولكن، إن ثمة، في الآن ذاته، توجّهين متعاكسين، يتعايشان في كثير من الأحيان؛ إذ إننا نلحظ، من ناحية، سعيا من أجل الصرامة العلمية، وخاصة في البحوث التجريبية والتطبيقية، وبات الباحثون في الأداء اللساني يتحرون الاعتماد على الخصائص الثابتة التي تشمل أجناس الخطاب، والتي أشار إليها باختين من قبلُ. لكن مستوى الدقة العلمية انخفض، من ناحية أخرى، لدى عدد من اللغويين مقارنة بالفترة السابقة. ولا يقتصر الأمر على عد تطبيق الرياضيات في اللسانيات الذي بدا قريبا جدا في الخمسينيات والسبعينيات من القرن الماضي، بل في كثير من الأحيان، لا يُبحث عن تطوير أي طريقة صارمة دقيقة. إن إضفاء الطابع الشكلي على التداوليات أو العلميات الإدراكية مهمة في غاية الصعوبة نتيجة تعقيد الموضوع نفسه، ولكن الكلام لم يعد يجري حتى عن الحد الأدنى من الدقة. وإذا كان هدف إيغور ميلتشوك وآخرون هو تحقيق الدمج الكامل والثابت للسانيات في العلوم الطبيعية، فقد أصبحت الآن الجوانب الإنسانية هي المهيمنة بشكل حاسم.

إن المبادئ التي يهتدي بنورها عدد من العلماء المعرفيين والباحثين الروس في مجال لوحة العالم تختلف عن تلك التي استند إليها سوسير ولغويون آخرون؛ إذ إنهم يجتهدون في البحث عن صلة الألسن بالمبادئ الأخلاقية، ومحاولة التعرف على مواقف الناطقين باللسان الروسي أو الإنجليزي وغيرهما من الألسن الأخرى، من الحياة، بالاستحكام إلى البيانات اللسانية، ويرغبون في معرفة روح الأمة بأكملها على أساس من الألسن. ولعل السؤال الذي يتبادر إلى الذهن القول: هل من حل لهذه

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

الأسئلة، أم أنها خير مثال على الاندفاع إلى الأمام؟ لقد كان علم اللغة خلال القرنين الماضيين يطرح باستمرار مسائل عالمية كونية لم تتوفر الحلول لها بالنظر إلى ما توفر لها آنذاك من وسائل. ولقد كانت الأهداف، في فترات مختلفة، السعي إلى إعادة بناء اللسان الأول الذي انبثقت عنه كل الألسن؛ أي ما سمي باللسان الهندي الأوروبي، والتعرف على «مراحل التفكير الإنساني» من خلال علمي الصرف والنحو، وإضفاء الطابع الشكلي الكامل على الألسن التي يمكن من خلالها نقل دراستها إلى الآلة الحاسبة، وغيرها من المساعي التي تبين، مع تطور العلم، أنها مسائل عصية. لكن العلم اكتشف، وهو يسعى خلف السراب، شيئا آخر، أقل شمولية. ألا يتوقع أن يهبنا القدر يوما أن نعرف حتى روح الشعب اعتمادا على المعطيات اللغوية؟

ولكن، على أي حال، اللسانيات الوظيفية في روسيا الحديثة بعيدة كل البعد عن المبادئ التي انطلق منها سوسير، وثمة مكانة مهمة بين أتباع مذهب الوظيفية يشغلها اليوم بلا شك ميخائيل باختين.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

قائمة المراجع

1. Бахтин М. М. Проблема речевых жанров. Изархивных записей к работе «Проблема речевыхжанров». Проблема текста // Бахтин М. М. Собр. соч. : В 5 т. М. : Языки русской культуры, 1996. Т. 5. Работы 1940-х начала 1960-х годов. С. 159–206.
2. Смирницкий А. И. Объективность существо-вания языка. М. : Изд-во Московского ун-та, 1954. 33 с.
3. Соссюр Ф. де. Курс общей лингвистики // Соссюр Ф. де. Труды по языкознанию. М. : Прогресс, 1977. 695 с.
4. Якубинский Л. П. Ф. де Соссюр о невозмож-ности языковой политики // Языковедение и мате-риализм. Вып. 2. М., 1931. С. 23–67.
5. Холодович А. А. Ф. де Соссюр // Соссюр Ф. де. Труды по языкознанию. М. : Прогресс, 1977. С. 9–30.
6. Балли Ш. Язык и жизнь. М. : URSS, 2003 [1913]. 232 с.
7. Волошинов В. Философия и социология гума-нитарных наук. СПб. : Аста-Пресс Ltd., 1995 [1929]. 382 с.
8. Из переписки М. М. Бахтина и В. В. Кожинова (1960–1966) // Диалог. Карнавал. Хронотоп. 2000. № 3–4. С. 180–200.
9. Бахтин М. Автор и герой. К философским основам гуманитарных наук. СПб. : Азбука, 2000. 337 с.
10. Сеше А. Три соссюровских лингвистики // Звегинцев В. А. История языкознания XIX и XX веков в очерках и извлечениях. Ч. II. М. : Просвещение, 1965 [1940]. С. 60–84.
11. Алпатов В. М. Из истории лингвистики. Гардинер и Волошинов // Языки мира. Типология. Уралистика. Памяти Т. Ждановой. М. : Индрик, 2002. С. 15–22.
12. Алпатов В. М. Волошинов, Бахтин и лингви-стика. М. : Языки славянских культур, 2005. 432 с.
13. *Gardiner A.* The Theory of Speech and Language. Oxford: Oxford Univ. Press, 1932. 332 p.
14. *Brandist C.* On the Philosophical Sources of the Bakhtinian Theory of Dialogue and the Utterance // Bakhtin and his Intellectual Ambience. Gdańsk: University of Gdańsk, 2002. P. 43–61.
15. 13. Gardiner A. *The Theory of Speech and Language.* Oxford, 1932. 332p

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

16. Brandist C. On the Philosophical Sources of the Bakhtinian Theory of Dialogue and the Utterance. *Bakhtin and his Intellectual Ambience*. Gdańsk, 2002, pp. 43–61.
17. Stalin I. V. *Marksizm i voprosy yazykoznaniya* [Marxism and Problems of Linguistics]. Moscow, 1950. 114 p.
18. Mel'chuk I. A. *Opyt teorii lingvisticheskikh modeley «Smysl* Û *Tekst». Semantika, sintaksis* [Experience of linguistic models of the theory of «Meaning Û Text». The semantics, syntax]. Moscow, 1974. 256 p.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

التعليق:

كانت أولى المسائل التي تطرق إليها الباحث فلاديمير ألباتوف مسألة تمييز سوسير بين اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية، ويقع هذا التمييز ضمن الفصل الخامس من مقدمة كتاب محاضرات في اللسانيات العامة، وهو الفصل الذي ارتضى له شارل بالي وألبرت سيشهاي عنوانا: «العناصر الخارجية والعناصر الداخلية من اللسان»، وهو عنوان ليس له أصل في ما دونه طلبة سوسير عنه، والظاهر أن ناشريْ الكتاب لم يوفقا في اختيار التسمية المناسبة، بل إنهما يوهمان القارئ بأن ما أسمياه باللسانيات الخارجية ليس له شأن في تصور سوسير. بيد أن الاطلاع على الأصول المخطوطة لكتاب المحاضرات، ولاسيما كراسات ريدلنجر، يمكّن الباحث من التحقق أولا من فساد التسمية؛ إذ إن ما دونه ريدلنجر هو «التقسيم الداخلي للأشياء التي تعنى بها اللسانيات»، وثانيا من الأهمية التي كان يوليها سوسير إلى المسائل، فقد كتب ريدلنجر، عن أستاذه، في هذا الشأن: «لقد وجهت لمصطلح "الكائن" اعتراضات عديدة، لأن اللسان لا يمكن مقارنته البتة بالكائن الحي [...]، ويمكننا بدل ذلك استخدام مصطلح النسق. ومن ثم فإن اللسانيات الخارجية هي كل ما يتعلق باللسان من غير أن يتصل مباشرة إلى بالنسق، ولكن هل من الممكن الحديث عن لسانيات خارجية؟ إننا بشيء من الرصانة نفضل الحديث عن الدراسة الداخلية والخارجية للسانيات، وإن ما يندرج ضمن الجانب الخارجي هو كل ما يتعلق بالتاريخ والوصف الخارجي، وهي مسائل ذات أهمية» (سوسير 1996، ص25). لقد كان للفصل بين اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية آثار وخيمة على البحث العلمي، فقد قاد هذا الفصل، على نحو ما أبرزه فرانسوا راستيي مؤخرا، إلى محو المظهر الثقافي للألسن، واختزل موضوع اللسانيات في ملكة اللغة، في حين أن الأخذ ثنائية اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية بعين الاعتبار من شأنه أن يبرز المقاربتين اللسانيتين، الثقافية والصورية، وإن المظهرين يتمازجان عندما يتحدث سوسير عن السيميولوجيات بوصفها علما للعلامات ضمن المجتمعات: إذ إن العلامات لا سبيل إلى فهمها إلا بوصلها بالحياة الاجتماعية التي تنتمي إليها (راستيي، 2015، ص71).

لقد صدق الباحث عندما أشار إلى ردّ عدد من اللغويين للفصل الذي روج له كتاب محاضرات في اللسانيات العامة المنسوب إلى سوسير بين اللسان والكلام، واتخاذ اللسان الموضوع الرئيس للسانيات، لكن الدراسات الفيلولوجية التي اتخذت الكتاب موضوعا لها، وهو ما لم يهتد إليه الباحث نتيجة عدم اطلاعه عليها، خلصت إلى إبطال هذا الزعم، كما خلصت إلى الكشف عن الإضافات التي فرضها شارل بالي (على وجه الخصوص) على محتوى المحاضرات الفعلية لسوسير، والتي لم يتمكن، هو وألبرت سيشهاي، من التحقق منها نتيجة عدم حضورهما دروس سوسير في اللسانيات العامة ما

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

بين سنتي 1907 و1911. إن الفقرة التي استند إليها الباحث وهي القول بأن «موضوع اللسانيات سيبدو لنا كالكتلة من الأشياء المتباينة، لا شيء يصلها فيما بينها، إن نحن أقبلنا على مدارسة اللغة، في الآن ذاته من زوايا متعددة. وإن نحن انتهجنا هذا المنهج فإننا سنفتح الباب على مصراعيه لعلوم أخرى من مثل علم النفس، والأنثروبولوجيات، والنحو المعياري، والفيلولوجيات، وغيرها من العلوم التي نميزها عن اللسانيات تمييزا محكما، والتي من شأنها المطالبة باللغة بوصفها موضوعا من الموضوعات التي تنظر فيها إن نحن لم ننتهج المنهج السوي» (سوسير 1996، ص24)، تتضمن جملةً، لو قورنت الفقرة بالأصول المخطوطة لكتاب المحاضرات، لبان خلو هذه الأصول منها، وهي جملة: «التي نميزها عن اللسانيات تمييزا محكما»، وهي من الأفكار التي نسبت إلى سوسير. صحيح أن دعوة سوسير إلى ضرورة الإقبال على مدارسة؟ اللسان من جانب واحد دعوة تستند إلى أصول إبستيمولوجية تمكن من تحديد موقع اللسانيات من سائر العلوم التي من شأنها أن تتخذ اللغة «langage» أو خاصية من خصائصها موضوعا لها، لكنه لم يدع البتة إلى قطع سبيل التواصل مع هذه العلوم، وإن هذه الدعوى التي ابتكرها شارل بالي وألبرت سيشهاي تتعارض تعارضا صارخا مع التصور السيميولوجي للألسن، فكيف يقيم سوسير للسانيات موقعا محددا من السيميولوجيات التي هي بدورها فرع من فروع علم النفس الاجتماعي ويدعو في الآن ذاته إلى فصل اللسانيات عن العلوم الأخرى. وإننا نقيم الحجة على هذه الدعوى بأمرين، أولهما لجوء سوسير إلى مفهوم الرباعيات المستقدم من الرياضيات للتعبير تعبيرا علميا دقيقا عن مفهوم النسق اللساني، وثانيهما تصوره لعلاقة اللسانيات بعلم النفس، ونكتفي في هذا الشأن بإيراد نص عن سوسير لا يقيم فيه فصلا بين ما يسمى باللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية من جهة وبين اللسانيات والعلوم الأخرى من جهة أخرى، يقول فيه: «إن الذي يروم مقاربة اللسانيات مقاربة سديدة يجب أن يتناولها من الخارج، مزودا بتجربة بالظواهر الداخلية، وإنه لمن المستحيل، في اعتقادي، أن يجد اللغوي، الذي ليس سوى لغويّ، السبيل التي تمكنه من تصنيف الوقائع. إن علم النفس ستؤول إليه رويدا رويدًا المهمة التي يضطلع بها علمنا، لأنه سيدرك أن اللسان ليس فقط فرعا من فروعه، بل إنه يمثل أبجدية نشاطه كله» (سوسير 2002، ص109).

إن دعوى إقصاء سوسير الكلام من تحريات اللسانيات دعوى لا أساس لها من الصحة، وهي من الآراء المنسوبة إلى سوسير ظلما، وهي لعمري أخطر الإضافات التي مارسها شارل بالي وألبرت سيشهاي على المحاضرات الفعلية، وإن الناظر في كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة، بشيء من التدقيق والتمحيص، يدرك مدى الاختزال الذي أجراه شارل بالي وألبرت سيشهاي على مفهومي اللسان والكلام، فقد اقتصرا على التعبير عن هذه الثنائية من زاوية الثنائية القائمة بين الموضوع والمادة، لكن

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

اجتهادهما في التعريف بها من هذه الزاوية لـم يفلح، إذ إن إدراكهما لتصور سوسير لثنائية الموضوع والمادة لـم يكن إدراكا سديدا، على نحو ما بينه عدد من الباحثين المحدثين، وعلى نحو ما كشفت عنه كتابات سوسير الأصلية. وليس من سبيل إلى إدراك حقيقة ثنائية اللسان والكلام سوى التحقق من التصور الذي تنطوي عليه عبارة المادة «matière»، وهي في سياق عدد من صفحات كتاب المحاضرات تحيل إلى مجموع الوقائع اللسانية، غير المتجانسة، التي تشترك في دراستها مواد علمية مختلفة، من مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيات، والإثنوغرافيات، وغيرها، وهي المواد التي تتميز عنها اللسانيات باقتصار هذه الأخيرة على دراسة اللسان. ولقد نشأت عن هذه الثنائية، شأنها شأن ثنائيات سوسير الأخرى، نقاشات شارك فيها عدد من اللغويين من مثل بورغستروم (بورغستروم 1945، ص ص1-14)، هنري فراي (فراي، 1945، ص61-62) ولويس يالمسليف (يالمسليف 1945، ص ص163-188).

لقد كان سوء فهم شارل بالي وألبير سشهاي، وعدد من لغويّي العقود الأولى من القرن الماضي، لكثير من تصورات سوسير اللسانياتية ومواقفه الإبستيمولوجية، سببا في الاعتقاد باستئثار لسانيات سوسير بمدارسة اللسان دون سائر الوقائع اللسانية الأخرى، ولعل السبب الرئيس يمكن في نظر طوليو دو مورو في الانزياح الذي طال مصطلح «objet» الذي تواردِ في صفحات الفصلين الثاني والثالث من كتاب المحاضرات، فقد أشار في طبعته النقدية لكتاب المحاضرات أن المعنى الذي يرومه سوسير منه إنما هو «الغاية من البحث»، «obiectum»، على نحو ما كان مستعملا من قبل فلاسفة القرون الوسطى، من مثل توماس الأكويني ودان سكوت، لينتهي إلى حقيقة ستغير في نظرنا كثيرا من التصورات التي روج لها كتاب المحاضرات، وتناقلتها نظريات ومدارس لسانياتية على امتداد القرن الماضي، وما تزال، وهي قوله: «إن العلاقة التي تقيمها كلمة «objet» مع كلمة «matière» وما يمكن أن يستشف من الفصلين يؤكّد أن اللسان، في تصور سوسير، ليس الشيء الذي تعكف اللسانيات على دراسته، باستثناء كل شيء آخر، بل إنه الغاية «objectum» من البحث اللسانياتي، وإن هذا الأخير ينطلق من كل ما يمكن أن يسمى، بطريقة أو بأخرى، لساني، بعد إعادة صياغة مفهوم الوعي الذاتي للمتكلم، من شأنه أن يصل إلى إعادة النسق اللساني الفاعل في وضع تاريخي محدد. إن كلية الوقائع اللسانية هي المادة، واللسان بوصفه النسق الصوري هو الغاية» (مورو ضمن سوسير 1996، ص415).

لقد تبين الباحث أن الجملة التي اختتم بها كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة: «إن اللسانيات موضوعها الوحيد والحقيقي هو اللسان في ذاته ولذاته» جملة من ابتكار شارل بالي، لكنه

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

لم يتورع في التوكيد على أنها تعبر تعبيرا واضحا عن أفكار سوسير. إن دعوى إقصاء الكلام من تحريات اللسانيات، المنسوب إلى سوسير دون بينة، يتفرع عند الباحث إلى جملة من البحوث التي تلقفتها علوم معاصرة مثل اللسانيات الاجتماعية، والأسلوبيات، واللسانيات الثقافية، وغيرها، وإننا كثيرا ما نخشى في هذه الدراسة، وفي غيرها من المؤلفات التي كتبناها عن فكر سوسير اللسانياتي والسيميائياتي، من تكرار ذكر مسائل بعينها، لكننا نرجو، في كل مرة عاودنا فيها طرح المسألة نفسها، أننا تناولناها من وجهة نظر مختلفة. ولئن كنا أصررنا على ضرورة التخلص من الفكرة الخاطئة، الرائجة في أدبيات اللسانيات، والتي مفادها فصل سوسير بين لسانيات للسان ولسانيات للكلام، وعزوفه عن دراسة هذه الأخيرة. ولقد تبين لنا بعد النظر في محتويات دروس سوسير في اللسانيات العامة التي ألقاها بجامعة جنيف بين سنتي 1907 و1911، أن سوسير كان ينوي التطرق إلى مسائل من لسانيات الكلام على نحو ما هو مثبت في العنوان الأخير من دروس السنة الثالثة، وهو «ملكة اللغة وممارستها من قبل الأفراد».

كما إن الإعلان عن هذه الدروس التي سيتناول فيها سوسير مسألة ملكة اللغة وممارستها من قبل الأفراد له أثر في الطبعة النقدية التي أعدها رودلف إنغلر عن كتاب المحاضرات، في حين أننا لا نجد لها ذكرا في كتاب المحاضرات؛ إذ إن الطبعة النقدية هذه تثبت المخطط العام الذي كان سوسير ينوي اتباعه في دروسه وهو على هذا النحو: 1) الألسن، 2) اللسان، 3) ملكة اللغة وممارستها من قبل الأفراد (سوسير2002، ص24). ولـم تكن المسائل المترتبة على ملكة اللغة وممارستها من قبل الفرد المتكلم مشروع سوسير لأواخر دروس السنة الثالثة، بل إن سيمون بوكي أشار إلى أن هذه المسائل كانت مشروع محاضرات سنة رابعة (بوكي 2000، ص274). ويجب أن نذكّر في هذا السياق أولا باللبس الذي طال مفهوم الكلام في كتاب المحاضرات، نتيجة عدم قدرة شارل بالي وألبرت سيشهاي على التمييز بين الدلالات المختلفة التي كان يرومها سوسير باستعماله لهذا المصطلح، لاسيما دلالتي الكلام، بوصفه من جهة فعلا أدائيا فونولوجيا، وبوصفه فعلا اجتماعيا من جهة أخرى. وترتبط دلالة الكلام الأخيرة هذه بدلالات مصطلحات أخرى، أهمها في نظر الباحثين الـمحدثين مصطلح الخطاب وما اشتق منه من عبارات من مثل اللسان الخطابي، ومصطلح النص، وهي مصطلحات كثيرة التوارد على لسان سوسير، على نحو ما تبرزه مخطوطاته المنشورة.

أما مصطلح الخطاب فإن أشهر وثيقة؟ تناوله فيها سوسير بالنظر هي المذكرة حول الخطاب، التي يقول فيها: «لا يُبتكر اللسان إلا لغاية التخاطب، ولكن ما الذي يفصل الخطاب عن اللسان، أو بعبارة أخرى، ما الذي، في لـحظة ما، يـجيز لنا القول بأن اللسان تـحول إلى خطاب؟ إن اللسان يتوفر على مجموعة من المفاهيم الـجاهزة، أي متخذة شكلا لسانيا، مثل ثور، وبحيرة، وسماء، وقوي،

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

وأحمر، وحزين، وخمسة، وذاب، ورأى، ففي أي وقت، واستنادا إلى أي علمية، ووفقا لأي علاقة، وفي أي ظروف، تُنشأ هذه المفاهيم خطابا؟ إن سلسلة المفاهيم هذه، على الرغم من سعتها بـما توحي به من أفكار، لن تُطلع أبدا أي إنسان أن المتلفظ بـها يريد إبلاغه شيئا ما. فما الذي يجب توفره حتى نفهم شيئا ما من خلال استخدام المفاهيم التي يتوفر عليها اللسان؟ والسؤال هذا سؤال عن ماهية الخطاب، والإجابة عنه لأول وهلة إجابة بسيطة: ففيما بينما يقوم الخطاب على التوكيد على العلاقات التي تنعقد بين هذه المفاهيم التي صيغت لسانيا، يقتصر اللسان، سلفا، على صياغة المفاهيم، منفردة تنتظر أن يجمع بينها حتى يتم التعبير عن الفكر» (سوسير 1996، ص277). وإن الذي يدعونا إلى الموازاة بين مصطلح الكلام والخطاب اشتراكهما في وصف سوسير لهما بكونها نشاطين لسانيين، وقد كنا في كتابنا، «سوسير من جديد»، ألـمحنا إلى العقبات الناجمة عن الترجمة، والتي عادة ما تـحول دون تـمثل دقيق وأصيل للمعنى، فلو عدنا إلى النص الأصلي لألفينا سوسير يعبر عن علاقة الخطاب باللسان بقوله: «*La langue entre en action comme discours*»، في حين أننا اكتفينا بترجمة العبارة على النحو التالي: «إنّ اللسان تَحَول إلى خطاب»، فأغفلنا، أو فقدنا، دلالة هامة من دلالات هذه العبارة، وهي أن اللسان إنـما يتحول إلى خطاب، عن طريق الفعل؛ أي أن الخطاب يُفعِّل اللسان، فيصبح الخطاب بذلك نشاطا لسانيا.

إن توارد مصطلح الخطاب على لسان سوسير يعبر عن سمة من سمات أصالة فكره اللسانياتي مقارنة بأدبيات لسانيات القرن التاسع عشر، فهذا الأخير لـم تكن تحتفي به مثلما لـم تحتف في بادئ الأمر مدرسة فرانز بوب بمصطلح الكلام، وكانت تقتفي التحولات الصوتية من خلال مقارنة نصوص مختلفة من عصور متباعدة، ولـم يحدث التحول من المكتوب إلى المنطوق إلا بفضل جهود النحاة الجدد في العقود الأخيرة من القرن ذاته، الذين انتقلوا باللسانيات من مدارسة اللسان المكتوب إلى الكلام المنطوق. لكن الدراسة هذه باتت دراسة صوتية بامتياز، إنها دراسة أصوات اللسان، ودراسة ملكة التلفظ بالأصوات (توربان 1996/1995، ص254).

ولقد أشار سوسير إلى هذه التحولات التي شهدتها اللسانيات، بقوله: «إن مدرسة اللسانيات الأولى [ويعني بها مدرسة بوب] لـم تكن تنظر إلى اللغة بوصفها ظاهرة، بل كانت، جملة، تجهل اللغة، ولا تعنى إلا باللسان (أي بـمجموع تـمظهرات اللغة في زمن معلوم، عند شعب مخصوص) ولـم تتمثل هذا اللسان إلا من منظور الكتابة، فلا وجود للكلام عندها، بل مـجرد تجميع من الحروف. ولقد خطت اللسانيات خطوة على إثر الانتقال من الحرف إلى الصوت الملفوظ، ومن الورق إلى الفرد المتكلم. لكنها لـم ترتق إلى اللغة بعد، وإن كان ثـمة حظ للكلام. إن ما حققته السنوات

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

الأخيرة من استكشافات يتمثل في وضع كل ما يتعلق باللغة واللسان في موقعهما الحقيقي، أي في الفرد المتكلم، بوصفه فردا إنسانيا، وفردا اجتماعيا» (سوسير 1996، ص130).

من شأننا أن نرسم، استنادا إلى هذه الشهادة التي يدلي بها سوسير، الخطوات التي خطتها لسانيات القرن التاسع عشر منذ تأسيسها على يد فرانز بوب، أما المرحلة الأولى فهي ما يمكن تسميته بمرحلة اللسان المكتوب، وهي تكاد تشمل القرن التاسع عشر برمته، على الرغم من انتقال اللسانيات من فترة نحوية مقارنة تسعى إلى استكشاف علاقات القرابة القائمة بين الألسن استنادا إلى ما توفره النصوص المكتوبة من دلائل، إلى فترة ثانية تبدأ عموما بمطلع النصف الثاني من القرن، وانتقلت فيها اللسانيات من الدراسة النحوية المقارنة إلى الدراسة التاريخية المقارنة، ثم تلت هذه المرحلة مرحلة ثالثة، كان للصوتيات فيها حظ كبير لعنايتها بالكلام، وكان أبرز روادها هم النحاة الجدد الذين أعادوا للفرد المتكلم اعتباره. لكنهم قَصروا في الانتقال من مدارسة الألسن إلى مدارسة اللغة. ولئن كان سوسير قد عاصر هذه المرحلة الثالثة وروادها، وكان له هو الآخر اجتهاد في الانتقال من اللسان المكتوب إلى الكلام المنطوق والعناية بالفرد، فإنّ تفرده في تاريخ الفكر اللسانياتي الحديث، وانتهاجه منهجا فريدا يجب أن يؤكده، فقد أعاد سوسير لمفهوم اللسان أهمية، بالانتقال بالدرس اللسانياتي من الكلام إلى اللسان، بوصفه الغاية التي ينشدها، ولقد عبر يالمسليف عن هذه الحقيقة بقوله: «لقد توصل سوسير إلى استكشاف اللسان، في الوقت الذي كان عصره لا يُعنى إلا بالكلام» (يالمسليف 1942، ص29-30). لكن الانتقال من الكلام إلى اللسان صاحبه، في تصور سوسير، انتقال إلى اللغة بوصفها ظاهرة، واتخذ في الآن ذاته الكلام والفرد المتكلم موقعهما الطبيعي من البحث اللسانياتي. وفضلا عن النص المخصوص لمفهوم الخطاب الذي جئنا على ترجمته منذ حين، فإن نصوصا أخرى تحتفي به هي الأخرى، فقد استعان به سوسير في مناسبات متعددة للتعريف بعدد من المفاهيم، والتعبير عن عدد من مواقفه من التصورات النظرية، من مثل موقفه من التحولات اللسانية، في مثل قوله: «إن كل التغيرات، سواء كانت تغيرات صوتية أو تغيرات نحوية (قياسية)، إنما تتم في الخطاب، وليس ثمة من موقف يجري فيه الفرد تغييرا على ما يكتنزه في ذهنه من اللسان، فيبتكر أشكالا جديدة ليستعملها مستقبلا في خطابه، بل إن كل ابتكار إنما يقع بعد ارتجال، في الكلام، فينفذ إما إلى الكنز الشخصي للسامع أو إلى الكنز الشخصي للمتكلم» (سوسير 1996، ص95).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

المراجع:

- Borgström C. H., «The Technique of Linguistics Description», Acta Linguistica, vol. 5, n° 1, 1945, pp. 1-14.
- Bouquet S., «La linguistique générale de Ferdinand de Saussure. Textes et retour aux textes», Historiographia Linguistica, XXVII, n° 2 et 3, 2000, pp. 265-277.
- Frei H., «A propos de l'éditorial du volume IV», Acta Linguistica, vol. 5, n° 1, 1945, pp. 61-62.
- Hjelmslev L., «Langue et parole», Cahiers Ferdinand de Saussure, n° 2, 1942, pp. 29-44.
- Hjelmslev L., La stratification du langage, Word, vol. 10, n° 2-3, 1954, pp. 163-188.
- Mauro T. de, Notes biographiques et critiques sur F. de Saussure, in F. de Saussure, Cours de linguistique générale, publié par C. Bally et A. Sechehaye avec la collaboration de A. Riedlinger, édition critique par T. de Mauro, Paris, Payot, 1972, pp. 319-477.
- Rastier F., «Saussure et l'émancipation de la sémiotique», Cahiers Ferdinand de Saussure, n° 68, 2015, pp. 61-74.
- Saussure F. de, Cours de linguistique générale, édition critique par R. Engler, Wiesbaden, Otto Harrassowitz, 1968.
- Saussure F. de, Cours de linguistique générale, publié par C. Bally et A. Sechehaye avec la collaboration de A. Riedlinger, édition critique par T. de Mauro, Paris, Payot, 1972.
- Saussure F. de, Deuxième cours de linguistique générale (1908-1909) d'après les cahiers d'Albert Riedlinger et Charles Patois, édité par E. Koamtsu et G. Wolf, Tokyo, Pergamon, 1996.
- Saussure F. de, Écrits de linguistique générale, texte établi et édité par S. Bouquet et R. Engler, Paris, Gallimard, 2002.
- Turpin B., «Discours, langue et parole dans les cours et les notes de linguistique générale de F. de Saussure», Cahiers Ferdinand de Saussure, n° 49, 1995/1996, pp. 251-266.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406
E-ISSN: 2737-8586

دراسات وأبحاث

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص167- 179)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

عن دقائق التلبيس بين التأليف والترجمة: كتابات صلاح فضل أنموذجاً

أ. د. سعد عبد العزيز مصلوح
جامعة الكويت، الكويت
elmft@hotmail.com

الملخص:

عرفت اللسانيات العربية في تاريخها نوعين متمايزين من الأعمال العلمية: التأليف الأصيل المنسوب نسبة صحيحة إلى مؤلفين بأعيانهم، والأعمال المترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللسان العربي. ولا ريب أن لكل من هذين النوعين معاييره الحاكمة على جدواه وجودته، وأن السياق العلمي لا يزال في حاجة إلى مزيد من الإنجازات الجادة في كلا الاتجاهين. وتحاول هذه الورقة كشف اللثام عن نمط من الأعمال الخطيرة الهجين بدأ في اقتحام مجال اللسانيات العربية. ويتمثل هذا النمط بالخلط المتعمد والمنهج بين التأليف الخالص والترجمة. وقد أنتج لنا هذا النمط ما يمكن أن يُسمى "تأليفاً هو أشبه بالترجمة، أو ترجمة هي أشبه بالتأليف". ويعدّ كتاب صلاح فضل "علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته"، وكذلك معظم أعماله الأخرى أنموذجاً جيد التمثيل لهذا النمط الهجين. وتحاول هذه الورقة الكشف عن التقنيات التي اعتمدها لتحقيق هذا الهدف غير المشروع علمياً وأخلاقياً.

الكلمات المفتاحية:

المراجعة النقدية، التأليف الأصيل، الترجمة، التأليف الهجين.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص167- 179)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

About Elusive Tactics Of Mixing Original Authorship With Translation: Salah Fadl's Writings as a Model

Pr. Saad Maslouh
Kuwait University, Kuwait
elmft@hotmail.com

Abstract:

The Arabic linguistic literature has known in its history two distinct types of scientific works: authentic authorship attributed explicitly to specific authors, and works translated from foreign languages to Arabic.

There is no doubt that each of these two types has its own criteria governing its value, quality and the scientific context is still in need of more serious achievements in both directions.

This paper aims to reveal a hybrid and dangerous type of works that has begun to invade the field of Arabic linguistics characterized by deliberate and planned mixing of original authorship and translation. This has produced for us what might be called: "an authorship that is more like a translation, or a translation which is more like an authorship".

Salah Fadl's book: "Stylistics: its Principles and Practice/ Ilm el-Uslob: Mabadi'uhu wa Ijra'atuhu" *and also in most of his other works are a well-represented model of this hybrid genre. This paper is an attempt to unveil elusive techniques he commits to achieve his scientifically and ethically illegal goal.*

Keywords:

Translation, original authorship, hybrid authorship, critical reviews.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص167- 179)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

وقفت

اللساني linguist

0.فاتحة ومهاد

وقفت بالبيان ذات بحث سبق (1998) أَمْحَضْتُهُ لرصد مسيرة اللسانيات العربية المعاصرة في النصف الثاني من القرن الماضي عند عَرَضَيْن من أَعْرَاضِ أمراضها وهما:

1. أن الترجمات التي صدرت لأعمال لسانية غربية كان الحاكمُ على اختيارها في كثير من الأحيان طابعَ الاصطفاء أو المصادفة أو إيثارِ ما هو سهل قريب. كما أن كثيراً منها يكابد مشقة سيطرة المترجم على الفكرة في أصولها، وإحكامِ العبارة عنها في صياغتها العربية. ولعل كثيرين منا خاضوا هذه التجربة المدهشة؛ وهي أن يقرأ أحَدُنا النص مُترجَماً إلى العربية فلا يَفْهمُ عنها، حتى إذا رجع إلى الأصل الأجنبي وجد الفكرة ساطعة سطوع الشمس في اليوم القائظ.

2. أن كثيرا من التصانيف اللسانية التي وضعها اللسانيون -حقيقةً أو حكماً- هي ترجمةٌ أشبهُ بتأليف أو تأليفٌ أشبه بترجمة. وقلت يومها: إن في مثل هذه الأعمال إثما كبيرا ومنافعَ للناس، بَيْدَ أن إثمها أكبر من نفعها؛ لما تنطوي عليه من تَعْفِيَة على الأصول، وتشويه لها، ومن عقد الصلات الزائفة العَجُول بين المسائل لأدنى ملابسة، واستفزاز لها من سياقها العلمي والثقافي على نحو يجعلها غير منتجة أو فاعلة، ومن تلفيق ظاهر في أكثر الأحيان بين العلم الوافد والعلم الموروث[1].

ذلكم ما كان منذ عَقْدين، وما كنت أحسب يومها أن ستنهض همة نخبة من أهل الاختصاص لتجعل من هذه المعضلة المعرفية موضوعا للانتداء والمثاقفة في محفل علمي رصين، حتى كانت هذه الدعوة من جامعة القاضي عِياض بالمملكة المغربية الشقيقة التي حملت هذا العنوان الموفق الـمُلْهِم: "**ترجمة اللسانيات ولسانيات الترجمة**".

بيد أن هذه القسمة الثنائية شبه الحَدِّية للتصانيف بين التأليف المحض والترجمة المحض، تغري باستنباط قسيم ثالث فشا في التصنيف

[1] . سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة، ص27.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

اللساني والأسلوبي المعاصر، وكان من مظاهر خطره انتسابه إلى أعلام مذكورين يُـفـزَع إليهم لتحصيل الفقه بهذا العلم الوافد. وأعني بذلك القسيم ما يقع في منزلة بين المنزلتين؛ فلا هو بالترجمة المحض لنص مكتوب بغير لسان العرب، ولا هو بالتأليف العربي الخالص لصاحبه. وحاصل ذلك أنه ممتنع على الانضواء في "**ترجمة اللسانيات**"، وغير قابل في الآن نفسه لأن يكون موضوعاً للدرس في باب "**لسانيات الترجمة** "؛ إذ إنَّـا نكون حينئذ أمام نص هو في جوهره ترجمة عَـيّـثَـتْ فيها يد التأليف، أو تأليف أناخ بكلكله على النص الأجنبي فاسْتَرَقَّهُ وأرهقه، وضيّع حقّ صاحبه فيه، وأمعن في السلخ والمسخ والاحتيال، ثم إنه لا يقنع بذلك حتى يقدمه للقارئ مموهاً بأفانين من الزهو والاختيال.

1. تـحـريـر الإشـكال

لعلي مستطيع بالمتابعة أن أستظهر جملة من النماذج الشائعة في التصنيف اللساني -ترجمة أو تأليفا- هذا بيانها:

1) تراجمُ خالصةٌ تغيّا أصحابُـها نقل الأصل، وأعفوا أنفسهم من التدخل في النص بزيادة للإيضاح الشارح، أو التمثيل العربي بالإحلال أو الاستبدال. وقد هيمن على هذا الصنف هاجس الأمانة والحرفية، وأجاءه في مواطن كثيرة إلى مكابدة مصاعب العُـجْـمة ومواجهة مشقة التغريب. ولم يكن عَجَـباً أن يتخذ هذا الصنف من دون قرائه حجابا حائلا بين نصاعة التواصل وكمال الإفادة. [مثاله كتاب فندرييس "**اللغة**"، وقد ترجمه عن الفرنسية محمد القصاص وعبد الحميد الدواخلي]

2) تراجِم اجترأتْ على النص الأجنبي، فرأت –على اعتراف منها بإرادة الترجمة والنقل عنه– أن استبدال التوطين بالتغريب هو المنهج الأوْلى بالاتباع لتحقيق المقاصد، وأوغلت في هذه السبيل حتى أضحت نسبة النص "المترجم" إلى مؤلفه الأصلي ظُـلْـماً لكليهما، واستهدفت بذلك لضروبٍ من النقود الرفيقة حينا واللواسع أحيانا. ومع أن جَـدَاها العملي ربما يكون أوفى من الصنف المتقدم يظل إدراجها في حيز التراجم أمرا لا يخلو من التجاوز والمخاطرة. [مثاله: كتاب جسبرسن "**اللغة بين الفرد والمجتمع**" الذي ترجمه عن الإنجليزية عبد الرحمن أيوب]

3) تراجمُ نَـحَـتْ إلى الجمع بين المذهبين؛ فأصفتْ ترجمةُ النصِّ الأصلي بمكانٍ جعل منه متناً، وجعلت من التعليق تَـحْـشِـيةً تضمنها ما هو ضروري –بل ما لا ضرورة له أحيانا– لفهم النص وتنويره والإفادة منه. [ومثاله: كتاب أولمان "**دور الكلمة في اللغة**" الذي ترجمه عن الإنجليزية كمال بشر].

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص167- 179)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

كانت تلكم هي الحال حين يعالن المصنف قارئه بأنه مترجم لا غَيْـرَ ولا سِوَى، وبأنه إنما يقرأ عملاً منقولاً من لسان أجنبي إلى لسان العرب، ثم لا ضير أن تختلف من بعد ذلك مذاهب النقل على الأوجه التي أسلفنا بيانها. والقارئ مفوّضٌ في الحكم على العمل بما يؤديه إليه اجتهاده.

أما أن يُـساق العمل المترجم على أنه محض تأليف فأمر لا ينبغي قبوله، ولا يمكن نعته إلا بالتفلت من الضوابط التي يستبين بها القارئ ما هو خالص لصاحب العمل، وما جيء به على سبيل الاقتباس والائتناس، أو تحقيقا لغايات المناقشة والاستدلال بالتأييد أو بالنقد والتفنيد. وتقف هذه الدراسة بنظرة متلبثة فاحصة عند هذا النمط الهجين من التأليف اللساني والأسلوبي كُتب له بعض الشيوع في السياق العلمي الراهن، وقد وَسَـمْتُـهُ في غير موضع مما كتبت بأنه "**تأليف أشبه بترجمة أو ترجمة أشبه بتأليف**"، في محاولة منا للتعرف إلى دوافعه، ورصد مظاهره، والكشف عن الآليات المصطنعة في إنجازه، والتنبيه إلى خطر عواقبه على رصانة المعالجة المنهجية لمسائل العلم والاجتراء على أخلاقياته. ومادام الأمر معلقا بالنصوص وتحليلها فلا محيص من مواجهة مُـعْـضِل الاختيار، بلا تثريب علينا –إن شاء الله- في التسمية والتعيين؛ إذ بيان الحق –على الوجه البادي لنا– هو الغاية والمبتغى. وما بنا في هذا المقام أن نعالج سفرا بتمامه؛ إذ حسبنا الاجتزاء بأنموذج جيد التمثيل –إن شاء الله-. وقد رأيت أن يكون مختاري للنظر والتحليل نموذجاً من كتاب "**علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته**" لصلاح فضل، وهو فصل عنوانه: (**من الوجهة الوظيفية والإحصائية**) [ص ص274 - 330، طبعة النادي الأدبي في جدة، 1984]. ولقد نظرت فبدا فيه لي مظاهر من التلبيس بين الترجمة والتأليف حَـرِيَّـةً بالبيان، وفي ما يأتي تفصيل بما هو أمتع وأشبع.

2. تعريف بدقائق التلبيس

أبدأ ببيان وتعريف بهذه الدقائق، فأقول: إن أبرز تجلياتها هي: تجهيل الإسناد، والترخص في توثيق الإحالات، وغياب علامات التنصيص، وإقحام أمثلة عربية بديلة في سياق النص المترجم؛ وكل أولئك مما يسِمُ العمل أو يصمه بالتشويه والتمويه، والاستخفاء بالسطو، والافتنان في أساليبه ومذاهبه.

وها نحن أولاء نفصل القول في ما تقدم على الموالاة السابق إيرادها.

3. 1.2. تجهيل الإسناد

الغاية من تجهيل الإسناد في هذا الضرب من التصنيف معروفة؛ فحين يراد للنص أن يكون صرفا من التأليف أو صرفاً من الترجمة تنتفي الحاجة إلى مثل هذا التجهيل؛ ولينظر من يشاء مثلا ودليلا

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص167- 179)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

إلى ما اختاره شكري عياد من عنوان لكتابه الرصين "**اتجاهات البحث الأسلوبي**" [أصدقاء الكتاب، 1996]؛ إذ أضاف إلى هذا العنوان الأصلي عنواناً فرعياً ثانياً هو: "**اختيار، وترجمة، وإضافة**". بمثل هذا تستبين معالم الطريق لقارئ الكتاب؛ فيوضع تحت كل صنف ما يصدق عليه ويَـمُتُّ إليه. أما تجهيل الإسناد فمركبٌ يرتكبه من يريد أن يُـحْمَلَ ظاهرَ كلامه على أنه من وضعه وتأليفه، والحقيقة غير ذلك، ومن ثم تراه يجهد جَهْده لتحصيل صك البراءة من تهمة النقل عن الآخرين بألوان ما سمّاه أبو الفتح "الحيلة والتلطف لا الإقدام والتعجرف". ومن تجهيل الإسناد ما يكون فيه العزو كَلَا عزوٍ؛ كأن يقال: "**ويرى بعض الباحثين أو بعض الدارسين**"، أو يقال: "**بينما يذهب باحثون آخرون إلى** ..."، بل إن العزو إلى البعض الـمُجهّل يكون في مواطن كثيرة مع نقول أو مخططات أو رسوم لا يمكن أن تكون إلا لباحث بعينه معروف الاسم والوسم، ومن ثم لا يصح في حقها أن يحال إليها على هذا النحو المخدوش. وأخشى أن يكون سُنَّةً سيئة يتبعها شداة الباحثين؛ فيكون على فاعل ذلك وزره ووزر من عمل به إلى يوم القيامة. وأسوق هنا مثلاً يعالن به صلاح فضل قارئه بنوع من السطو الأصلع الذي لا يجوز من مثله، فيقول في ص296 من كتابه "**علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته**":

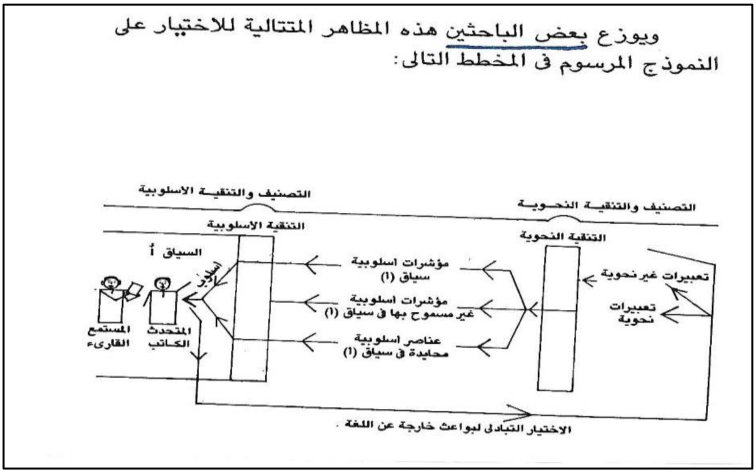
ويوزع بعض الباحثين هذه المظاهر المتتالية للاختيار على النموذج المرسوم فى المخطط التالى:

ذلك أن هذا النموذج المرسوم إنما وضعه واضع بعينه، واجتهد في تصميمه، ويسرّهُ أن يُنسب إليه. أما أن يقول فضل في هذا الموضع: "ويوزع **<u>بعض الباحثين</u>** هذه المظاهر المتتالية للاختيار على النموذج المرسوم في المخطط التالي"؛ فأمر لا أراه يجوز.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص167- 179)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

وقد يكون العزو أحياناً إلى علم بتمامه؛ كأن ينسب الرأي إلى علم اللغة أو علماء الأسلوب جملة واحدة، وهو زعم يصعب تصديقه؛ فمن المحالات أن يستحيل المشتغلون بعلم من العلوم على اختلاف منازعهم وأنظارهم وحظوظهم من المعرفة جوقةً من المنشدين أو العازفين يؤدون أغنية واحدة أو لحنا واحداً في اتساق لا يعرف التنوع، بل التخالف، بل النشاز أحيانا.

4. الترخص في الإحالات

لما كان كل كتاب لابدّ له من مراجع ومصادر يمتاح منها ويستند إليها ويـحاورها -وكانت جمهرة كبيرة من نصوص الكتاب منقولة عن عدد غير قليل من المراجع والمصادر بدرجات متفاوتة من الخفاء والظهور- كان تمام الوفاء بتعيين مصادرها ومواردها حقاً واجباً، ومظهراً كاشفا عن حقيقة الجهد؛ لذلك لم يكن بدٌ في هذا الضرب من التصنيف الهجين من تعويم الإشارة على نحو يتحقق به تسييب الحدود والفواصل بين الأقوال، ويحصل به المبتغى من خلطِ بين ما للمؤلف وما للمترجم بأقل الملام، وأهون التثريب. وهذا تصرف أشبه ما يكون بإجراءات التأميم التي تصطنعها الديكتاتوريات الغاشمة مع الخاضعين لسلطانها، وبها تستباح الممتلكات، وتُغتصب الحقوق.

ولقد جاء في تقديم كتاب "**علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته**" حديثٌ عن الأرقام المستخدمة في تعيين الإحالات في نص يقول "مؤلفه" صلاح فضل: "**إنني آثرت أن أتبع طريقة مستحدثة، تقضي بترتيب أهم المراجع في نهاية الكتاب، وإعطاء كل منها رقما معينا، ثم الإشارة إليها في صلب النص برقمين: أحدهما يعود إلى المرجع كما ورد في الثَّبَت الأخير، وثانيهما يعود إلى رقم الصفحة أو الصفحات المقتبس منها النص طبقا للطبعة المذكورة**" [ص ص: 8-9].

أما عن علة هذا الإيثار فيقول المؤلف: "**وتهدف هذه الطريقة إلى تفادي إثقال حواشي الكتاب بأسماء المراجع؛ خاصة وأنها في معظمها أجنبية، وتفادي تكرارها كلما رجعنا إليها**" [ص: 9، وفي أسلوب الكاتب معاظلة لا تخفى].

قلت: لا بأس ولا تثريب؛ فهي طريق معهودة في ما نقرأ، وربما كانت ناجعة في تحقيق ما أشير إليه من غايات. بيد أنه لابدّ لذلك من ضوابط لا تنسف الأسوار ولا تجتاح الحدود الواسمة لأعيان النصوص وأصحابها. وسنرى أن ذلك ما لم يكن في الغالب الأعم.

ويزيد الأمر عجبا ما ساقه "المؤلف/ المترجم" علة أخرى لصنيعه هذا؛ قال: "**كما تهدف** [يعني هذه الطريقة] **إلى توفير أعظم قدر من سلاسة التلقي وحرية التوثيق لدى القارئ، دون تشتيت لانتباهه، أو التعالم عليه بذكرها كل مرة، أو التعمية عليه والإبهام وإخفاء المصادر بإغفال الإشارة**

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

إليها كلما اقتضت أمانة البحث وضرورة التوثيق". [ص9]، (والإبراز بالخط المائل من صنيعي، وفي الكلام تلويح لا يخفى على القارئ الحصيف مغزاه).

وأقول: أشهد أن هذه العبارة -ولا سيما قوله: "**توفير أعظم قدر من... حرية التوثيق لدى القارئ**"- هي من أغرب ما وقع لي في تسويغ ما يصعب تسويغه، بل في ما ينبو به حيز الممكنات، وتتعاند في العبارة عنه الكلمات. حتى إني لا أدري ولست إخال أدري كيف تاحت للمؤلف صياغتها على هذه الصورة الرجراجة العجيبة. وسنرى كيف أن شيئا مما تغياه "المؤلف/ المترجم" لم يكن، وما كان له أن يكون.

5. 3.2. تغييب علامات التنصيص

ربما كان للطريقة المتبعة في الإحالة أن تؤتي إتاءها لو اقترنت بالتزام الدقة والانضباط في استعمال علامات التنصيص. بيد أنا لا نكاد نجد إلا في القليل النادر- أيا من الأقواس التي استخدمها "المؤلف/ المترجم" في تعيين الإحالات مقترنة بعلامات تنصيص تحدد مبتدأ الاقتباس ومنتهاه، ولعل ذلك هو ما عَدَّهُ "المؤلف" من باب توفير "**حرية التوثيق لدى القارئ**". والسؤالات الواردة هنا: بِمن تناط مهمة التوثيق، أبكاتب البحث أم بالقارئ؟ وأي حرية يفترض أن تكون للقارئ في شأن التوثيق؟ وأين تقع مظنة "**التعالم على القارئ**" من مشكلة إيراد الأقواس وتغييب التنصيص؟ وهل لذلك أن يميط عن الكتابة العلمية تهمة الإبهام والتخفي المتعمد بالمصادر؟. إنها سؤالات يصعب أن تجد لها جوابات تشفي النفس وتبرئ السقام.

6. 4.2. التمويه بإقحام أمثلة عربية بديلة في سياق النص المترجم

استيقظت هذه الظاهرة نظري من قديم، فنبّهتُ إليها في ذات بحث؛ إذ هالني أن "**تتداول أيدي الناس أسفارا مهيبة بلغت صفحات بعضها المئين عددا، ومع هذا يتدسس بين سطورها الشاهد أو المثال من كلام العرب، أو يظهر على استحياء حينا، ولأدنى ملابسة حينا، شاكيا غربته وانقطاعه ونبو مقامه**"[1]. وظني أن "المؤلِّف/ المترجِم" حين يورد الأمثلة الأجنبية في النص "المؤلَّف/ المترجَم" ويعالجها بالإحلال والإبدال الفوري، إنما يوردها ليوهم القارئ أن نص الكلام خالص له، وأن "أولمان" المستتر قد غُيِّبَ عمداً ليظهر مكانه مترجِم يجهد لإقناع القارئ بأنه هو المؤلف. والحق أن عاقبة هذا العمل في مثل هذا الضرب من التصنيف الهجين جد خطيرة؛ إنه إضفاءَ وَسْم التأليف

1. سعد مصلوح، في النقد اللساني، ص200.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

الزائف على ما هو في حقيقته ترجمة صرف لا تخلو من إخلال جسيم بالأمانة العلمية، وبخاصة بعدما استعان "المؤلِّف/ المترجِم" منظومةً من الوسائل الأخرى، تلك التي أسلفت الحديث عنها؛ أعني: تجهيل الإسناد، والترخص في الإحالات، وتغييب علامات التنصيص، وكلها منظومة مركبة يعتضد بعضها ببعض، وتسهم في إحكام صناعة التلبيس بين الترجمة والتأليف.

ونأتي الآن إلى تأملات مستأنية لهذا النموذج الجامع والناظم لمعظم ما عرضنا له من مسائل، على أكادة منا أنه خلية حية تنطوي على جِـمّـاع الآليات الواسمة لصناعة التلبيس فيه على البيان السابق إيراده.

2. دراسة النموذج

أود في هذا المطلب أن أعكف بالتأمل على نموذج أردْتُهُ مثالاً كاشفاً عن المشكل الموضوع للمدارسة؛ وأن يكون التأمل شرحا وتفكيكا للآليات المعتَمَدة في صناعة التلبيس. في ما وجهه صلاح فضل من نقد للأسلوبيات الإحصائية في كتاب "**علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته**"، وحرصه على إيهام القارئ بأن النقد الموجّه إنما هو من عند نفسه، مع أنه على الحقيقة "**ترجمة نصف أمينة**" بل "**غير أمينة**" لاعتراضات أبداها ستيفن أولمان في بحث بعنوان "**اتجاهات جديدة في علم الأسلوب**"، وهو بحث نشر ضمن كتاب "*Language and Style*" الصادر عام 1964. وقد أنجز شكري عياد ترجمة لهذا البحث نشرها في كتابه "**اتجاهات البحث الأسلوبي**" الصادر في القاهرة عام 1996، وفي الكتاب إشارة لطبعة أولى منه صدرت في الرياض عام 1985لم أطلع عليها [أما ما عندي من المعلومات عن كتاب فضل فيقول إن طبعته الأولى صدرت في 1984، وأن هذا الفصل سبق نشره في العدد الأول من المجلد الرابع من مجلة "**فصول**" الصادر عام 1983]. وخالصة القول مما تقدم تقضي بأن ظهورَ اعتراضات أولمان التي احتازها "فضل" لنفسه سابقٌ على ظهور ترجمة عياد لمقال أولمان، وأن صلاح فضل حينئذ قد أجرى خيله مختالاً في الخلاء إلى أن صَـرّح الصبح لذي عينين، وكان ما كان من ظهور نص أولمان في صورته الأصيلة على يد عياد بريئاً من الخلط والتعييث.

وإظهارا للفرق بين مذهبي الرجلين تجاه النص الأصلي نورد ما وعد به "عياد" القارئ في مقدمة كتابه [طبعة 1996]؛ قال: "**وسيراعى في الترجمة أن تكون على غاية ما يتمناه القارئ من الدقة والوضوح**" [ص7]. أما عن مذهبه في نقل الأمثلة والشواهد التي ضمّنها "أولمان" كتابه من الإنجليزية أو اللغات الأخرى، فقال: "**لقد عمدنا في هذا الجزء إلى الاحتيال لتعريف القارئ بهذه السمات؛ تارة من خلال الترجمة التي نوردها بعد المثال الأصلي محصورة بين قوسين معقوفين هكذا [ ]، وتارة من خلال الشروح التي نزيدها في الهوامش**".

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص167- 179)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

وهنا أقول لهذا العالم الجليل "شكري عيّاد": "رحمك الله أيها الناقد العظيم!؛ إذ تضع كل كلمة من كلامك في حاقِّ موضعها، من غير سطو ولا اجتياح ولا إخسار للميزان". ولمن شاء تعرّف الفارق بين المذهبين، وبين أمانة الرجلين أن يطلع على عبارة "فضل"؛ إذ يقول: "**ولما كنا نعيش في عصر إحصائي فإنه ليس من الغريب أن تظفر مناهج الإحصاء بشهرة واسعة بالرغم من التحفظات التي يبديها الباحثون عليها، ونسوق هنا جملة من الاعتبارات التي تدعو إلى الحذر في الاعتماد المطلق على المنهج الإحصائي في الدراسة الأسلوبية**". (الإبراز من صنيعي).

وواضح أن الفارق بين ترجمة عياد وعبارة فضل جد بعيد للمتأمل؛ **فالاعتبارات التي أبداها باحث بعينه هو أولمان [في عبارة عياد] صارت بالإسناد المجهل "تحفظات يبديها الباحثون" [بعبارة فضل]**، وما هو حق خالص لـ "أولمان" وحده من دون الباحثين صار اجتياحه والاستيلاء عليه قدراً واقعاً مُعبّراً عنه بضمير العظمة (نحن)؛ إذ يقول فضل: "**ونسوق هنا جملة من الاعتبارات**".

حين قرأت كلام "فضل" بحثاً منشوراً في "**فصول**" عام 1982، حفزني للرد عليه أمور لعل على رأسها تفنيد الاعتراضات الموجهة إلى المعالجة الإحصائية للأسلوب، وبخاصة ما نال به كتابي "**الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية**" [1980] من نقود تجافت عن الإنصاف في المضمون والعبارة، بل صرّحت بسوء الفهم. غير أني أخذتني الأواخذ فلم أشمر للأمر وإن ظلت في النفس حسيكة من صدق ادعاء "فضل" أن الاعتراضات والنقود له خاصة، ومن حرصه الحريص على التخفي بمصدره، ولم أكن حَصّلتُ كتاب أولمان بعد. ثم كان ما كان من حصولي على كتاب أولمان وظهور الخبيء بما تاح لي من قراءة ترجمة عياد الأمينة للبحث الأصيل، ثم كان أن صدر البحث الذي سبق نشره في "**فصول**" متضَمّناً في كتاب "فضل" على هيئته الأولى بلا عدول ولا تعديل. حينئذ قلت لنفسي: هذا أوان الشد فاشتدي زيم. لقد وجب الرد وجلاء أغماض الأمر ما دام الإصرار لا يزال. لكني رأيت أن أنحو بالرد منحى خاصا لا أصرح فيه بما تكشف لي من قراءتي للنص الأصلي ومقارنته بكلام "فضل"، وكان ذلك لأمرين: **أحدهما** أن الهمّ الأول لي كان تفنيد الاعتراضات أياً كان مصدرها، وبيان وجه الجدوى في ما أخرجته للناس من عمل؛ وما كان شاغلي إذ ذاك الكشف عن قضية التلبيس بين الترجمة والتأليف. **وآخرهما** تحسبي لرد يكون من فضلَ، ولرد قد يكون مني على الرد؛ فوجدته واجباً أن تُدَّخر المفاجآت لوقتها المناسب. لذلك لم يكن عجبا أن يجد القارئ في ردي المنشور في مجلة "**فصول**" بعنوان "**علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب**"[1] إشارة مني حافزة إلى التساؤل ومثيرة للريبة؛ إذ علقت على ما فعل الكاتب من نسبته ما أورده من آراء لبعض الباحثين على جاري عادته، مع أن صاحب الرأي المنسوب

[1]. المجلد الخامس، العدد الثالث، 1985.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

على الحقيقة هو "أولمان"؛ ذلك الذي قتله "فضل" نقلا، فقلت في ردِّي: "**هذا كلام لا يشوب سلامته إلا تجهيل الإسناد، واستخدام كلمة (بعض) التي تصدق في لسان العرب على الواحد والكثرة. أفيكون فضولا مني أو من أي قارئ أن يسأل: "مَنْ بعض الباحثين هذا (أو هؤلاء)؟ أم أن في الأمر سراً لا ينبغي للقراء أن يطلعوا عليه؟**". وكان في هذه الإشارة آنئذٍ غَـنَاءٌ عن العبارة لمن يجيد قراءة ما وراء السطور.

أما وقد هيأت لنا المقادير تلك الترجمة الرصينة والدقيقة على يد عياد فقد حصحص الحق، وإذا أيسر مقارنة بين الصورتين اللتين ظهر بهما نص أولمان في الموضعين تهدينا إلى السمات الفارقة بين الترجمة الخالصة والتأليف الملتبس بالترجمة، وتلكم حصيلة المقارنة:

- استحوذ "المؤلف/ المترجم" لنفسه على اعتراضات أولمان بقوله: " **نسوق جملة من الاعتراضات ...**"، واختفى اسم أولمان وراء عبارة (**الباحثون**) و(**بعض الباحثين**).
- أطلقت العبارة نفسها على مقتبساتِ ومخططاتِ لا يجوز أن تطلق إلا على مسمى معلوم، وقد ضربنا لذلك مثلاً في ما تقدم ليس وراء بيانه بيان.
- استبدلت في نسخة فضل عبارة: "**ولما كنا نعيش في عصر إحصائي**"، بالعبارة الواردة في ترجمة عياد: "**نحن نعيش في عصر الإحصاء**".
- تقول العبارة في ترجمة عياد: "**إن الطريقة الإحصائية تعوزها الحساسية الكافية لالتقاط بعض الملاحظ الدقيقة في الأسلوب؛ كالظلال الوجدانية، والأصداء الموحية، والتأثيرات الإيقاعية الدقيقة، وما إلى ذلك**" [106]. أما العبارة المناظرة في نسخة فضل فهي: "**يعد المنهج الإحصائي أشد غلظة وأكثر بدائية من أن يلتقط بعض الظلال المرهفة للأسلوب؛ مثل الإيقاعات العاطفية، والإيحاءات المستثارة، والتأثيرات الموسيقية الدقيقة**" [305]. وميزان المقارنة بين العبارتين يَـرْجَحُ بالأولى دون الثانية، ولعل ذلك من باب التمايز المتوقع بين طبقات التراجمة ومراتب إجادتهم.
- جاء الاعتراض الثاني في ترجمة "عياد" ليثبت أن "**البيانات العددية يمكن أن تضفي دقة زائفة على معطيات أشد تعقيدا أو أصعب ضبطاً من أن تسمح بمثل هذا العلاج**". وأورد "اولمان" لذلك مثالاً شارحاً من الأدب الغربي لدراسة أسلوبية إحصائية عالجت أحد أعمال بروست، وتوقع لها "أولمان" -من قراءته مُلَخَصاً للبحث- أن تعطي انطباعا مضللا؛ معللاً لتوقعه بأن: "**من درس طريقة التصوير عند ذلك الكاتب يعلم أن كثيراً من تشبيهاته واستعاراته تتشابك**

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

بحيث لا يمكن فصل بعضها عن بعض، وتكون ما يشبه المتاهة من التمثيلات المتداخلة والمتعانقة حتى إنه يستحيل إحصاؤها بدقة".

كان ذلكم نصّ الاعتراض ومثالَه الشارحَ عند "أولمان". فكيف أمكن لعبارة "فضل" الاستخفاء بالترجمة وتسويقها في هيئة تأليف؟ لقد جاء الحلُّ سهلاً ويسيراً حين صاغ "فضل" اعتراض "أولمان"، مدّعياً إياه لنفسه على طريقته الخاصة فقال: **"قد تضفي الحسابات العددية نوعا من الدقة الزائفة على بيانات متشابكة أشد سيولة من أن تخضع لهذه المعالجة؛ فلو افترضنا مثلا أن أحد الباحثين قد أعد دراسة عن الصورة في شعر محمود حسن إسماعيل، واستخدم فيها المنهج الإحصائي، فسوف يطالعنا بأرقام هائلة لو عدّ كل تشبيه واستعارة ومجاز، بينما لو تأملنا هذا الشعر لوجدناه أسرابا من الصور المتراكبة التي يصعب علينا أن نحكم بنهاية إحداها وبداية الأخرى ...".**

هكذا حلَّ محمود حسن إسماعيل محل بروست في عُـرْض الكلام المترجم، بعد ما كان من تجهيل إسناده وإماطة علامات التنصيص عنه وتعويم الإحالات –والمراد من ذلك أن يحصل الإيهام للقارئ بأن ما كتبه "فضل" ينتمي إلى جنس التأليف الخالص له، وأنه مُنْبَتُّ الصلة بجنس الترجمة، وأن يحتبك التلبيس بين هذين الجنسين المتمايزين من أجناس الكتابة. وأقول: هنا ينشأ سؤال يحار اللبيب في التماس جواب له: لمَ كان ما كان! ولِـمَ القصد إلى تحريف الكلم من بعد مواضعه في عالم متقارب الجهات ومشتبك العلائق، وفي خطابِ قارئ معاصر زويت له جنبات الأرض؛ فما عادت تجوز عليه مثل هذه الحيل والطرائق!!

كان ذلكم محاولة فحص مجهري لخلية حية من الكتابة، تمثل بجميع خصائصها السابق بيانها جنسا من التصنيف "العلمي" في الحقل اللساني والأسلوبي، وربما في حقول معرفية أخر. ولا أحسبه إلا داء فاشيا في كثير مما تخرجه دور النشر للناس لأعلام مذكورين كان يرجى منهم للعلم خير كثير، وهم –من ثم- عَسِيّون أن يكونوا قدوة وإماماً لشداة الباحثين من بعدهم. ولا أكاد أجد باعثا على مثل ذلك إلا إيثار العَجَلَة، وابتدار السبق عَـنْـوة واقتدارا في غيبة تمام الأهبة وجودة الإعداد. ولعل أشد ما يكون خَطَـرَ هذه الفعلة حين تكون عن تكلف من المرء لما لا يحسن وهو في زماننا هذا كثير مشهود. ذلكم، وحسبنا من البيان ما كان؛ فإن فيه غَناءَ من التعقب واستيعاب القول بضرب الأمثال على هذه الظاهرة من كتب ومقالات كثيرة في اللسانيات عامة، والبحث الأسلوبي منها خاصة؛ وبعض الفاعليها يعدون عند كثير من مخسري الميزان من أئمة العلم وشيوخ الصناعة. هذا؛ وأن في تعقب ذلك ما فيه من إملال القارئ وإفناء الزمان، وصرف الهمة عما هو خير من وجوه العمل. ولعلنا قد

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

أصبنا من مقاصد الكلام ما نريد؛ فما بنا هنا إلا إرادة التنبيه واستيقاظ النظر؛ إبراءَ للذمة ودرءاً للخطر.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص181-243)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

Towards an Adequate Expression Module for Modular Layered Functional Grammar

Pr. Ahmed Moutaouakil
Mohammed V University. Rabat
ahmed.moutaouakil@yahoo.com

Abstract:

Modular layered functional grammar (MLFG) is a linguistic model I proposed as a post standard version of functional grammar. In this study I will be more specifically concerned with one of its component, i.e what I have called "Morphosyntactic component", and will focus on its interfaces as well as the different devices used to encode various (pragmatic and semantic) functional information coming from different layers and even from different moduls.

Keywords:

Towards an adequate Expression Module- functional grammar- Morphosyntactic component- moduls.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص181-243)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

نحو قالب صرفي تركيبي كاف لنحو وظيفي طبقي قالبي

أ.د. أحمد المتوكل

جامعة محمد الخامس، الرباط
ahmed.moutaouakil@yahoo.com

الملخص:

يشكل ما اقترحناه تحت تسمية النحو الوظيفي الطبقي القالبي، في مشروعنا اللساني الوظيفي العربي، أحد النماذج اللغوية التي تلت النموذج المعيار) المتوكل (*2003*م) نروم في هذا البحث الوقوف بشكل مدقق عند المكون الصرفي التركيبي لتبيان الوجائه التي يتضمنها والآليات التي يشغلها للتعبير صرفا وتركيبا عن السمات الوظيفية (تداولية ودلالية) الواردة عليه من طبقات تحتية مختلفة؛ بل من قوالب متباينة.

الكلمات المفتاحية:

النحو الوظيفي الطبقي القالبي- المكون الصرفي التركيبي- الوجائه- السمات الوظيفية- من طبقات تحتية.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ONE

اللساني linguist

0. Introduction

One of the most salient facts in the history of the theory of Functional Grammar is that the most important recent transformations it has undergone have particularly focused on the (pragmatic and semantic) underlying representation (UR), keeping almost unmodified the standard version of Expression Rules (ERs) with its various inadequacies extensively discussed in Bakker (1999 and 2001). Moreover, the inadequacies seem to have been increased throughout these developments.

The main aim of this study is to examine the problems that the standard ERs component could face if we want to incorporate it, as a grammatical module, into the recently proposed new architecture of FG (as discussed in Mackenzie and Gomez-Gonzales (2002)), which I would suggest to call:" Modular Layered Functional Grammar " (hereafter MLFG).

In general, these problems can be divided into three main classes relating to (a) the underlying representation constituting the input of ERs, (b) the procedure of the derivation of linguistic expressions itself and (c) the delivered constituent structure (CS).

It will become clear throughout the discussion of these three kinds of problems that an updated grammatical module aiming at fiting in with the new model of FG must be conceived of and designed in such a way that it can meet the following requirements: (a) to deal with an

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

extended and enriched UR whose parts may come from different modules, (b) to operate with a more constrained set of ERs and (c) to deliver explicit and fully specified constituent structures for all the distinguished discourse categories including texts.

1. The input: From a unique restricted to a transmodular extended UR

The UR on which ERs are meant to operate in the standard model of FG (Dik (1997)) is reduced to the only underlying clause structure. However, several recent different but related works (Kroon (1997), Henegeveld (1997), Vet (1998) and Moutaouakil (1998) among others) have tried to achieve two main goals in this connection: extending the current UR in order to enable it to account for the structure of transclausal (or textual) stretches of discourse on the one hand and enriching it by additional necessary layers or layer values on the other. I will concentrate here on the extension and the enrichment of UR proposed in MLFG.

1.2. MLFG: An overview

Assuming that. this new model of FG has by now become familiar to the FG community, I will give no more than a sketchy account of the basic assumptions backing it and of its main general organizational features.

1.2.1. Basic assumptions

The following general assumptions can be taken as defining MLFG in contrast with the previous versions of FG including the standard model:

Assumption1: Modularity and layering are not conflicting features; rather they may - and perhaps must- co-occur in the same model.

Assumption2: The association of modularity and layering holds for all the recognized discourse categories including texts.

Assumption3: The pragmatic properties should be accounted for in a separate module, independent from but related to the other modules.

مجلة اللساني، المجلد (1) - العدد (1) شتاء 2021م (ص ص181-243)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

Assumption4: Three modules –at least– are involved in the generation (and conversely in the interpretation) of linguistic expressions: pragmatic, semantic and grammatical modules.
Assumption5: The way in which the involved modules function must reflect the successive phases of the production speech process which are: (a) deciding on a communicative purpose, then (b) selecting a relevant informational content and then (c) encoding it in an appropriate syntactic form. Accordingly, the pragmatic module is linked to the semantic module, which is linked, in turn, to the grammatical module.

Assumption 6: In the case of linguistic expressions without a specified semantic content, the pragmatic module is linked directly to the grammatical module.

1.2.2. Instantiations

With these basic assumptions taken as a point of departure, different organizations of MLFG can be envisaged. Currently, two slightly different instantiations of MLFG (Hengeveld (2002) and Moutaouakil (2002)), as far as I know, have been proposed. To Hengeveld's version, commonly referred to as Functional Discourse Grammar (FDG), an important improving complement has been proposed in Bakker and Siewierska (2002) which provides it with an revisited expression component. In the remaining of this study, I will try to do the same for the other version, the one presented in Moutaouakil (2002). More specifically, I will discuss the main general requirements to be met by any expression component which aims to be implemented as a grammatical module into MLFG, as well as the different open options for linking UR and CS.

.In Moutaouakil's proposal, the organization of MLFG can be summarized as follows:
(i).A «discourse» is any complete communicative unit, i.e. any utterance achieving a communicative purpose in a given setting.
(ii) The recognized discourse categories and the hierarchical relationships they entertain in a trans-sentential discourse can be visualized as follows:

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

(1) Discourse Categories Hierarchy (DC H):

Text > Sentence > Clause > Term-phrase > Word

It goes without saying that each of the above categories can occur as a complete discourse, including single term-phrases and words

(iii) None of these discourse categories is taken to be structurally and relationally projectable into the others. Rather, a common Archetypical Discourse Structure (ADS) is postulated for all of them, whose actualization is monitored by typological and structural parameters (mainly their decreasing "Hosting Capacity" running from Text to word). Obviously, ADS is maximally actualized in Texts.

(iv) The postulation of ADS is the ultimate generalization of the structural parallelism hypothesis advocated in Rijkoff (1992) and developed in Moutaouakil (1993) and Dik (1997). I have suggested elsewhere (Moutaouakil (2002)) to refer to the extended version of this hypothesis as "Generalized Parallelism Hypothesis" (GPH).

(v) ADS is a hierarchically organized structure with three levels: (a) a Rhetorical Level subsuming an event, a discourse type and a discourse style layers, (b) an Interpersonal Level containing an interactional, an illocutionary and a modal layers and (c) a Representational Level consisting of a locality, a quantity and a quality layers. The composition and the organization of ADS is visualized in the following diagram:

(2) Archetypical Discourse Structure (ADS)

```
Rhetorical level      {[Ev-Op [Typ-Op [Sty-Op
       Sty-Sat] Typ-Sat] Ev-Sat]

Interpersonal level    {[Inter-Op [Ill-Op [Mod-
Op      Mod-Sat]Ill-Sat]Inter-Sat]

Representational level {[Loc-Op[Quant-Op[Qual-Op
[Nucleus] Qual-Sat]Quant-Sat]Loc-Sat]
```

(vi)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

The Model of Natural Language User (MNLU) is conceived of as involving two types of modules: central modules (Pragmatic, Semantic and Grammatical modules) and auxiliary modules (such as Epistemic, Logical, Social and Perceptual modules) which do not belong to the Grammar proper.

Notice that the tasks fullfilled by the cognitive and the contextual modules in Hengeveld's proposal can be partly taken care of by the epistemic and the perceptual modules of MNLU.

(vii) As for the working of MNLU, the pragmatic module takes care of the Rhetorical and the Interpersonal levels specifying a pragmatic structure which is mapped onto a semantic (representational) structure handled by the semantic module, the result serving as input to the grammatical module whose ERs deliver a morphosyntactically and phonologically specified CS. In cases of representationally empty linguistic expressions (expressions without semantic content), the pragmatic structure serves as a direct input to the grammatical module.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص181-243)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

This can be visualized by diagram (3)

1.2.3. Implications for ERs

(3)

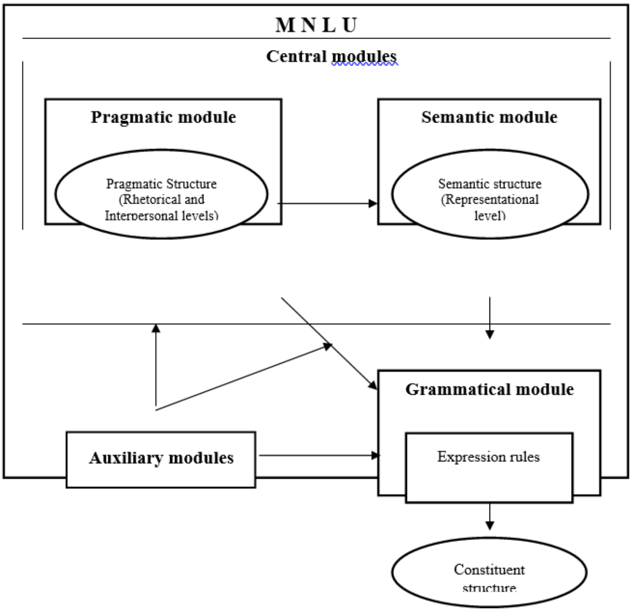

It becomes clear from this brief account that ERs will have now to operate on a quantitatively and qualitatively quite different UR. The new underlying aspects that ERs are expected to come to grips with are summarized in the following three sub-sections.

1.2.3.1. Extended UR

As already mentioned, in the standard model UR does not go beyond the structure of the clause. In MLFG, as implied by (i) and (ii) above, UR is designed to also cover the sentence as well as the text structures. As one can expect, this extension arises the following questions which must be taken into account in any revision of the current ERs:

a) If we assume that (2) is the underlying text structure, how is it

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

converted into a surface structure?

b) How could morphology, syntax and phonology look like at the text level?
c) How can we deal with the fact that the (illocutionary, modal, temporal…) operators of a text are realized on its constituting clauses following what Dik (1997b) calls "Inheritance Principle”?
d) Can we postulate ordering templates for the different passages (or episodes) of a text?
e) How are the clauses of a text (or a passage) ordered?
f) What are the nature and the form of textual ERs? To which extent the current (clausal and phrasal) ERs can serve as textual ERs?

In this study, only some of these questions will be partially answered; a close examination of the others will be post-poned for further research.

1.2.3.2 Enriched UR

In MLFG, UR is enriched, as (2) shows, by the addition of five new layers. These are: the (event, type and style) layers of the rhetorical level, the interactional and the quantity layers of the interpersonal and the representational levels respectively. What does the addition of these layers imply for ERs is the following:

a) Other underlying features are to be taken into account in the application of ERs.
b) Among these features, a distinction has to be made, as regards their surface realization, between those which are expressed lexically and those which are expressed grammatically (i.e. morphologically, syntactically or phonologically).
c) Another distinction should be made between the simultaneous and the sequential ERs responsible for the realization of these features when they combine with the others.
d) As for the latter kind of ERs, two interdependant questions arise: First,

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

how are these rules ordered? Second, to which extent does their ordering reflect the underlying scope relations of the operators they are meant to realize?

1.2.3.3.Transmodular UR

Let us recall that the application of ERs in the standard model takes place within a unique module (i.e. the so called « grammatical module » within which pragmatic, semantic and formal aspects are represented altogether) and that these rules take as input a unique and unified UR. In MLFG, ERs are expected to work within a maximally restricted grammatical module (reduced in fact to the sole ERs) and to operate on a multiple UR whose parts come from many different modules.

The consequences of the transmodular composition of UR can be summarized as follows:

a. ERs must take into account not only the information coming from the central (pragmatic and semantic) modules but also from the relevant information provided by all the solicitated auxiliary modules. Let us give some examples:

(4) a- Que fait-il
b-Qu'est-ce qu'il fait?
c-Il fait quoi?
«What does he do?»

(5) a- huwa nta msafir?
Int you traveling
«Are you going to travel?»
b- lahu nta msafir?
Int you traveling
«Are you going to travel?»

The difference between French sentences (4a-c) resides in the used interrogative pronoun and in the order of constituents. It is clear that the three sentences are semantically as well as pragmatically equivalent. They can be differenciated only on social grounds: (4b) pertains to a rather

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

standard register while (4a) and (4b) are more or less marked. The same can be said of constructions (5a-b) from Colloquial Egyptian Arabic: (5b) is the bedouine regional variant of the standard interrogative construction (5a). This register difference is marked by the opposition of the interrogative particles huwa and lahu.

The constructions exemplified in (4a-c) and (5a-b) point to the necessity for the ERs to be also fed by the information coming from the auxiliary social module in order to account in an adequate way for the forms and the constituent ordering involved in interrogative clauses.

b. The way in which all the relevant underlying information is to be represented must be uniformized. The gain for the formulation and the working of ERs is obvious. The question here is: Is the current FG style underlying structure adopted for the representation of the pragmatic and the semantic information suitable to also encode the information coming from other (auxiliary modules) such as the social or the perceptual modules for example?

c. The transmodular character of UR does not pose only the problem of representing the information coming from different modules but also the one of the order in which ERs have to be applied. More specifically, in the cases where other modules than the central tree are also involved, on which module ERs have to operate first?

2. The derivation process: From free to constrained rules

Bakker (1999 and 2001) shows that the most fundamental problem that the standard ERs face is that they overgenerate and undergenerate at once. He arguably claims that this problem stems from the fact that these rules are not constrained enough. In the same vein, I will examine the way in which ERs must be optimally constrained, concentrating on those constraints, which can enable them to constitute an adequate grammatical module for MLFG. In general, we can distinguish between two types of constraints: (a) global constraints regulating the ERs component with respect to the general standards of

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

adequacy as conceived of in FG and (b) specific constraints minotoring its internal structure and its actual working. Let us call these two types of constraints: «regulative constraints "and" constitutive constraints" respectively.

2.1. Regulative constraints

The theory of FG is expected, as wellknown, to try to attain three major adequacies (Pragmatic, Psychological (or cognitive) and Typological adequacies) which serve as standards of its descriptive and explanatory evaluation. In this section, I will be chiefly concerned with some of the implications of these three adequacies for ERs. These implications will be concidereded as global constraints on the formulation of the principles and rules of this component.

2.1.1. Pragmatic constraints

For ERs to be pragmatically adequate rules, they must satisfy three main constraints which can be called "Function Dependence Constraint", "Functional Completeness Constraint" and "Functional Priority Constraint ". These constraints can be formulated as follows:

Function Dependence Constraint: Given the insrumental status of linguistic expressions in the communicative process, their form is determined by their function.

What this constraint technically means is that morphological, syntactic as well as prosodic ERs must operate on the basis of the functional properties of the linguistic expressions to be derived. We will see below that this constraint is not always applicable since several formal aspects seem to display a certain autonomy.

Functional Completeness Constraint: All the relevant functional information is to be taken into account by ERs be it provided by the pragmatic module proper or by other modules such as the social and the perceptual modules.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

Functional Priority Constraint: All functional features are to be specified prior to the application of ERs.

The most important implication of this constraint is that no functional information should appear once ERshave applied.

2.1.2.Psychological constraints

From the psychological standard of adequacy as defined in Dik (1997a: 13), we can derive the following two constraints:

Constraint1: In order to reflect the production as well as the comprehension processes, ERs should be deviced in such a way that they can be integrated into the store of elements and principles used in both the production (generation) and the interpretation models of MLFG.
This means that ERs must be formulated so as to permit to go from the UR of a linguistic expression to its surface form and the other way around as well.

Constraint2: CS must be as transparent as possible with respect to UR
Such a constraint-which we can call «Transparency Constraint»- has some crucial implications, which can be summarized as follows:

a. The distance between UR and CS is expected to be as minimal as possible, which means that the derivation should be handled by a strict minimum of rules;

b. Although of a different nature, the configuration of CS must reflect, as far as possible, the elements present in UR;

c. Consequently, it is preferable to transpose the UR categorial and sub-categorial labels at the level of CS;

d. The hierarchical relationships entertained by the UR elements (operators and predicates) should be projected whenever possible onto the word order level of CS, which permits to minimalize the intervention of the linearization rules;

e. All the information required by ERs being supposed to be coded in UR, the UR slots should remain present in CS even when they are not filled.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

2.1.3. Typological constraints

Since its earlier version, the theory of FG has been applied to a great number of typologically quite different languages. This has obviously enabled it to test the typological applicability of its principles and rules, mainly those which relate to the formal (morphological and syntactic) aspects of linguistic expressions. In this sense, we can say that an important step toward typological adequacy has been made. In what follows, I would like to suggest to extend the notion of typological adequacy and to reinforce, in so doing, its constrainig power. A grammar which aims to be typologically adequate should be capable to properly describe not only any language type but also any discourse type (and style) as well as any discourse category (in the sense defined above).

2.1.3.1. Language type:

I have tried to show elsewhere (Moutaouakil (fc)) that the different quantitative and qualitative actualizations of ADS can provide us with a language typology based on the various choices the languages of the world can make within this universal abstract structure. A first major dichotomy distinguishes between two main language types, which can be called "More pragmatically oriented languages" and "More semantically oriented languages". The main property of the former type is that it privileges the rhetorical and the interpersonal levels while in the latter type the proeminence is given rather to the representationl level. As regards the formal aspects, the languages pertaining to the former type tend to display a highly pragmatically motivated syntax. In such languages, three main facts are to be noted concerning their word order. First, the pragmatic general principles (such as " Pragmatic Highlighting Principle") of constituent ordering get their full relevance when applied to these languages rather than to others. Second, the word order is mainly determined by pragmatic functions. In SMA, for example, syntactic functions are expressed by means of (Nominative, Accusative and Genitive) cases whereas pragmatic functions are realized by word order. Third, a greater number of templates is involved. More specifically, not only the clause exhibits a P1 position. Each category (proposition,

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

predication, term-phrase) has its own initial position. The following example from SMA illustrates the point:

(6) hal?inna Zaydan qad kataba r-risalata
Int mod-part zayd-acc mod-part wrote-he the-lette-acc
«Did Zayd really write the letter?»

In (6), hal is an interrogative particle canonically placed in P1.?inna and qad are both modal particles with the difference, however, that the former pertains to the proposition while the latter belongs to the (extended) predication. The syntactic distribution of such particles strongly points to the necessity for the template structure of SMA (and all languages of the same type) to contain, in addition to the wellknown clausal P1, a propositional and a predicational initial positions.

2.1.3.2. Discourse type and discourse style

Discourse type and discourse style are represented in the UR part of ADS as full rhetorical layers, as is clear from schema (2). The reason for this is that these two features have, as arguably shown in Dik (1997b) and in Moutaouakil (1998), various significant impacts on the internal composition of UR as well as on its formal realization. Here are some examples:

(7) a- Le marquis sortit à cinq heures
b- Le marquis est sorti à cinq heures
«The marquis went out at five o'clock»
(8) Simon Dik publie la première version de la GF en 1978
(9) «Simon Dik has published the first version of FG in 1978
(9) a- Il viendra demain, peut-être
b- Peut-être viendra-t-il demain
c- Peut-être qu'il viendra demain
«Maybe he will come tomorrow»

The examples in pair (7a-b) express the same state of affairs but differ from each other as regards the verb form. As well argued in Benveniste (1966), the "Passé Simple" form (as in (7a)) and the "Passé

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

Composé" form (as in (7b)) are features of two quite different discourse types, namely "Récit" and "Discourse" respectively.

In (8), the verb exhibits a discrepency between its actual form and its semantic value. Here, the present form expressing Past Tense is one of the features characterizing the so-called "historical narrative" discourse type.

As for the constructions examplified in (9a-c), the distinguishing feature they exhibit and which determines their formal aspects (the place of "peut etre" and the Subject inversion) is a discourse style one: (9a) is « normal » while (9b) and (9c) are rather formal and familiar respectively.

2.1.3..3. Discourse category

By discourse categories, I mean the different items of DCH represented in (1) which are: text, sentence, clause, term-phrase and word. Let us recall that I assume that these categories are structurally isomorphic in the sense that they conform to GPH, i.e. that their underlying structure results from a parametrized actualization of ADS. The question that arises now is: How could this underlying parallelism be maintained throughout the application of ERs?

Optimally, the objective that the grammatical module of MLFG should try to attain is threefold: (a) to build up the CS of any discourse category including Text, (b) to make it possible that a surface structural isomorphism also obtain between the categories at hand and (c) to make the surface isomorphism as close as possible to the underlying one.

A certain number of issues can be re-examined in the light of this objective. Let us take as example what we can call "inheritance phenomena" and let us concentrate more particularly on those involved in a whole text. Dik (1997b: 416) points out that "global discourse decisions (such as illocutionary and temporal decisions) "are relevant to the whole discourse or to one of its subparts rather than accidently to the wording of a single clause. "This can be generalized, as shown in Moutaouakil (2002), to other global features like modality, discourse type and discourse style as well. What this technically means is that these

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

features are first fixed for the whole text then specified, by inheritance, on its constitutive clauses. In the light of this inheritance principle, we can conceive of the UR of a text as a fully actualized ADS with global operators and a sequence of clauses reduced to their mere nuclear predications. The formal realization of such a structure can take a priori two ways: in a conveyor-belt system of ERs, the text operator values can be "copied" as auxiliary operators on the successive clauses; alternatively, if we think of the text CS as a tree-like structure, these operator values can be inherited in an ordinary way by the clauses from the text standing as a mother node

2.2. Constitutive constraints

Constraints of this type monitor not only the derivation mechanisms of ERs but also the input they have to operate on.

2.2.1. Input constraints

We have mentioned above some implications for ERs of adopting a UR such as (2). Such implications should be interpreted as further input constraints on the rules responsible for the conversion of this UR into a constituent structure. Here is a possible provisional formulation of these constraints:

Constraint1: ERs are responsible for the derivation of all the recognized discourse categories, including texts.

Constraint2: According to GPH, the derivation of these discourse categories should be taken care of by similar rules.
Constraint3: ERs must take into account the information provided by all the involved modules.

2.2.2.. Derivation constraints

In the standard model (Dik 1997b), the actual syntactic form of linguistic expressions is taken as the result of the application of three subsets of ERs: morphological, syntactic and prosodic rules which operate in this order. As it stands, the ERs component of this model faces three

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

major problems relating to: (a) the ordering of morphology and syntax, (b)) the place of prosodic rules and (c) the existence of function independent formal phenomena.

2.2.2.1. ERs ordering

The order in which ERs are intended to apply seems to turn out to be a problematic issue. The way in which inflectional morphology, placement rules and prosody are currently sequenced does not go without serious problems, as we will see in what follows.

2.2.2.1.1. Morphology vs syntax or morphosyntax?

In discussing the various possible interactions between the different ERs, Dik (1997a: 340-42) points out that there are many cases of order dependent morphology where form- determining rules must operate on the output of order- determining rules. To illustrate this point, he gives the examples of the so-called "Sandhi" phenomena.

Building on similar phenomena in many different languages, Bakker (1999 and 2001) emphacizes the fundamental nature of the problem at hand for the Standard ERs and conciders it as one of the main sources of their undergenration In the same vein, I would like to add some other significant examples from Arabic and French.

Consider the following facts:

(10) a- lqit had r-rjal
met-I these men
«I met these men»
b- lqit r-rjal hadu
met-I men these
«I met these men»

(11) a-qrit had l-ktab
read-I this the- book
«I read this book »
b-qrit l-ktab hadaya
read-I the book this

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

«I read this book»

(12) a-bakrah ir-ragil dah
hate-I the-man this
«I hate this man»
b-ihs?ala di ragil!
Pejorative-Part on this man
«What a detestable this man is!»

(13) a-Les enfants voyageront cet été, Marie exceptée
b- Les enfants voyageront cet été, excepté Marie
«The children will travel this summer, but not Marie»

The constructions examplied in (10a-b), (11a-b) and (12a-b) show that the form of the demonstrative in Moroccan, Tunisian and Egyptian colloquial Arabics respectively is order dependant. In these languages, the pre-posed demonstrative takes a form which is quite different from the one it takes when it follows the head noun. A different but related phenomenon is exhibited in the french examples (13a-b). The comparison between the members or this pair shows that in French certain adjectives loose their agreement properties when they occur before the head noun.

We can also give examples of order dependent forms from other areas of morphology. In Modern French, the presentative expression c'est qui/que has become a mere discontinuous embracing morpheme used to co-indicate the Contrastive Focus function. What is noteworthy in the behaviour of this morpheme is that it can only occur when the focussed constituent is placed in the P1 position as it becomes clear from the contrast between (14a) and (14b):

(14) a- C'est Jean que j'ai rencontré
«It is Jean that I met»
b-*J'ai rencontré c'est Jean que

The second example is what the ancient Arab grammarians call «governement conflict». Let us consider the following two sentences:

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

(15) a- ra?ani wa ra?aytu Zaydan
saw-me and saw-I Zayd-acc
«Zayd saw me and I saw him»
b- ra?aytu wa ra?ani Zaydun
saw-I and saw-me Zayd-nom
«I saw Zayd and he saw me»

The fact examplified here is that a same noun is governed by two coordinated occurrences of the same verb. The contrast between (15a) and (15b) shows that the doubly governed (or « disputed ») noun takes the case assigned by the nearest occurrence of this verb

To come to grips with this problem, two solutions have been suggested in Dik (1997) and in Bakker (1999) and (2001). Dik proposes a "sandwiching" procedure for ERs according to which these rules operate in the following way: in the case of the order independent forms, form-determinig rules apply first then placement rules while in the case of order dependent forms, a second set of specific form-determining rules (such as Sandhi rules) operate on the output of placement rules.

Alternatively, in the revisited version proposed by Bakker, the stage of the computation of forms (morphological rules) and the stage of their linearization (ordering syntactic rules) are conflated, as we will see in more details below.

2.2.2.1.2. The place of prosody

Dik (1997b) devotes a whole chapter to the prosodic aspects of linguistic expressions. It becomes clear from his discussion of the way in which prosodic contours can be generated in FG that the assignment of accent and intonation takes place on the basis of the information provided in UR, namely pragmatic functions and the illocutionary operator value respectively. The question arising here is this: if prosodic ERs apply after morphosyntactic ERs, how the relevant pragmatic information could be kept visible for them? A suggestion will be made below which could contribute to the solution of such a problem.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص181-243)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

2.2.2.2. Function independent formal expression

Function independent expression characterizes the constituents with a formal (morphological or syntactic) expression other than the one, which conforms to their underlying functional status. The constructions involving such constituents are extensively discussed in Dik (1997 b) but the problem they pose to the standard ERs is not examined although it is of a fundamental nature.

Let us have a close look to the following constructions from Standard Modern Arabic:

(16) a- Hindun saminatun
Hind-nom fat-nom
«Hind is fat»
b- kanat Hindun saminatan
was Hind-nom fat-acc
«Hind was fat»
(17) a- Zaydun qadimun
Zayd-nom coming-nom
«Zayd is coming»
b-ʔinna Zaydan qadimun

Cert Zayd-acc coming-nom
«Certainly, Zayd is coming»
(18) a- yaskunu Zaydun l-bayta
lives Zayd-nom the-house-acc
«Zayd lives in the house»
b- yaskunu Zaydun fi l-bayti
lives Zayd-nom in the-house-gen
«Zayd lives in the house»

The contrast between the members of pairs (16), (17) and (18) shows that the insertion of a copular verb such as kan, a modal particle and a preposition such asʔinna and fi modifies the case marking of the predicate, the subject and the locative term-phrase respectively. More

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

specifically, the functionally determined case is neutralized and replaced by, say, a rather structurally determined case. In (16b) and (17b), the functional nominative case of the adjectival predicate and the subject noun is replaced by an accusative case and in (18b) the accusative case of the head noun of the prepositional phrase becomes a genitive case.

The case shift these constructions exhibit is not an isolated phenomenon. Other no less significant facts can be found in SMA. Witness the following b-sentences where the introduction of the negative and the modal particles, lan and?an respectively, results in the conversion of the verbal suffix u into a:

(19) a- yaktubu Zaydun r-risalata
writes Zayd-nom the- letter-acc
«Zayd writes the letter»
b- lan yaktuba Zaydun r-risalata
Neg writes Zay nom the letter-acc
« Zayd will not write the letter »
(20) a- yusafiru Zaydun l-yawma
travels Zayd-nom the- day-acc
«Zayd is travelling today»
b-?atamanna?an yusafira Zaydun l-yawma
hope-I that travels Zayd-nom the day-acc
«I hope that Zayd travels today»

The problem this kind of facts pose is this: If the functionl case assignment and the inflectional realization of the modal-tense-aspect features are handled, as wellknown, by ERs operating directly on the UR relevant information, which rules would be responsible for the pure (non-functionally determined) structural features and at which stage of the derivation should these rules apply?

In fact, the phenomenon involved in constructions (16 b), (17 b), (18 b), (19 b) and (20 b) should be related to a more general and more important issue and taken as one of the manifestations of what Bakker

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

(2001: 2) calls "function independent principles of expression". Notice that the manifestations of this kind of principles can be found not only in the morphological area but in the realm of syntax as well. The functionally motivated general principles extensively discussed in Dik (1997b) surely enable us to properly describe and explain the constituents ordering in a great number of typologically quite different languages. This, however, does not exclude that some function independent ordering phenomena escape to these principles. Consider, for instance:

(21) a- qadima Zaydun
came Zayd-nom
«Zayd came»
b-ʔinna Zaydan qadima
Cert Zayd-acc came
«Certainly, Zayd came»
c-*ʔinna qadima Zaydun

(21a) displays the canonical neutral Verb-Subject order typical to main clauses in MSA. In (21b), this order is obligatorily reversed (as witnessed by the oddness of (21c)). No functional factor, as far as I can judge, can be taken as the source of the Subject pre-posing in (21b). The only available explanation is the introduction of the modal particle ʔinna.

What is involved in (21b) can be taken as an instantiation of the more general phenomenon sometimes called "Attraction": certain constituents (predicates, particles etc…) in given positions tend to attract other given remote constituents in such a way that these constituents land in a position other than the one they are normally assigned on the basis of their functional status.

Notice that the perticule ʔinna displays two correlated properties: (a) attracting the Subject term-phrase and (b) assigning to it, as we have already seen, a formal expression (i.e. an accusative case) which masks its functionally determined case.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

In sum, the existence of such function independent principles poses a real problem to the standard ERs which seem to not take into account possible pure structural aspects. The big question here becomes: How can a functionally oriented grammar like FG deal with the autonomous formal (morphological, syntactic and prosodic) aspects of linguistic expressions?

3.The output: some options for the CS representation

As Bakker (2001) rightly points out, no concrete specified CS has been proposed in the standard FG literature. Auwera's and Bakker's proposals (Auwera (1990), Bakker (1999) and (2001)) are, however, two remarkable exceptions. In fact, I think that the representation of CS should be dealt with in the light of a more general issue, i.e. the kinds and the number of the levels in which the different aspects of the structure of linguistic expressions must be represented and the relations these levels can entertain with each others. It is the discussion of this issue that I will try to go into here in some details. I would like to mention, however, that this discussion will not result in the adoption of one precise proposal; rather, it will show that a certain number of proposals can à priori be adopted leaving.

For the sake of clarity, the issue at hand will be approached under two angles: (a) the technical means, which can be used in representing the various aspects of the structure of linguistic expressions and (b) the mode that this representation can take.

3.1. Means of representation

It is wellknown that the elements to be represented in general are of two sorts: functional and formal. The former group of elements subsumes lexical items stating as predicate and (argument and satellite) terms, operators and (semantics, perspectivizing and pragmatic) functions. As for the latter group, we can distinguish between morphological, syntactic and phonological elements.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

It has been shown above that the representation of functional and formal elements should meet two major requirements: (a) keeping them neatly distinct on one hand and (b) reflecting the fact that the latter are in general determined by the former on the other hand.

In MLFG, functional elements are represented, as shown above, in the central pragmatic and semantic modules as well as in some other auxiliary modules whereas formal elements are provided by the grammatical module. This transmodular representation of functional elements constitutes the UR on which the ERs of the grammatical module are meant to operate.
We have been concerned, so far, with the nature of the elements to be represented and the modules designed to take care of their representation. Let us now have a closer look to the means by which these elements can be represented. First, it should be noticed that in speaking of "means of representation" we have in mind no more than the mere notational system used to visualize the elements of a structure and their different functional or formal relationships. This becomes clear when we contrast "means of representation "to" mode of representation". By mode of representation, we refer to the way in which linguistic expressions are derived, i.e. to the levels of representation, the relations they entertain with each others and the directionality of these relations. More worthy of note is that the technical means of representation is independent from the mode of representation. So, we can use the same means in different representational modes as we will see below.

As for the representational systems which have been proposed so far in the FG framework in general, it is wellknown that, in the standard model, only UR has received a concrete representation as already mentioned. The notation system adopted is usually a bracheted structure. In Dik (1997a), however, the bracheted structure is replaced by a tree diagram. The first proposal made, as far as I know, for representing CS is presented in Auwera's work on the structure of terms (Auwera (1990)). Although this work is devoted to the term structure only, many

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

implications of the theory it embodies can be transposable to the other domains. First, the output of ERs is a structure, just as their (UR) input. Second, this structure is a CS to which a Phrase Structure conception can perfectly be relevant. Third, such a CS can be represented by a tree diagram. Fourth, UR is usually represented by a bracheted structure but nothing stands against representing it by means of a tree-like structure. Finally, the global approach proposed by Auwera can be without problem generalized to the clause, sentence and text constituent structures as well in the sense that all these structures can be conceived of as phrase structures representable by tree diagrams. Bakker's work on ERs (Bakker (1999) and (2001)) is more than a study of the configuration of CS and its representation. It implies a substantial revision of the standard ERs component as a whole. It proposes a new conception not only of the means but also of the mode of representation. This is why I propose to discuss it in the next sub-section.

To sum up, the means by which the different (underlying and surface) structures of linguistic expressions can be represented (bracheted expressions, tree diagrams or feature- structures) should be clearly distinguished from the procedure adopted in representing the way in which they are related. From the following discussion, it will become clear that the choice of one of the available notational systems does not necessarily imply a theoretical option and that it is, thus, possible to use a same system (such as tree diagram system) in different conceptions of the derivational procedures.

3.2. Modes of representation

By mode of representation, I refer, as mentioned above, to the way in which the different parts of the structure of linguistic expressions are related to each others. In what follows, I will briefly mention some possible procedures which can fullfil this task before comparing and evaluating the two models proposed so far, i.e. the standard model (which

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

can be also referred to as «Conveyor-belt model») and the «Dynamic model» put foreward by Bakker.

3.2.1. Open options

The possible procedures of representing the different levels of the structure of linguistic expressions and their relationships in general are of two kinds: multi-level and uni-level representations.

(i) In the former kind of procedure, two different but related levels are distinguished. They are underlying and surface structures. It is this procedure that is adopted in both the standard and the dynamic models with, however, different modes of linking the two structures. In adopting a multi-level mode of representation, one can envisage two possibilities: (a) to map the pragmatic structure into the semantic strcture which results in a unified UR as in the standard model, (b) to keep these two structures separated also for expression allowing, thus, the grammatical module to deliver two distinct although related CSs.

(ii) According to the latter kind of procedure, no distinction between underlying and surface structures is made. The pragmatic, semantic and formal aspects of the clause, sentence or text structure are represented in a same multifaced tree digram. This mode of representation is the one adopted in RRG for example.

3.2.2. Conveyor-belt model vs Dynamic Model

The standard ERs component as discussed in Dik (1997a) is, now, being challenged. One of the competiting proposals is Bakker's (Bakker (1999) and (2001)).

Assuming that the two models are familiar to the FG community, I will restrict myself here to the features by which they radically differ from each other.

In the standard model, the derivation process starting from UR as input takes place in three stages corresponding to the successive application of

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

morphological, placement and prosodic rules. A variant of this three-stages procedure is proposed in the cases of order-dependant forms: morphological rules are divided into two groups, which apply in two stages, before and after placement rules. Concerning the question of how the derived structure is actually represented in this model and given that no example of a complete derivation has been proposed, we have opted in our teaching practice for giving a structural description to the output of each set of ERs using bracheted structures or tree diagrams.

It is possible, I think, to say that the main distinguishing features of the dynamic model proposed by Bakker are the following: First, it continues to take into consideration many principles as well as many mechanisms of the standard model although these mechanisms acquire a new status. Second, stage I and stage II, i.e. Morphological and syntactic ERs respectively, are conflated in a unique stage where the ordering and the formal features are specified at once. Third, the syntactic templates specifying the positional patterns in the standard model are combined into a hierarchical tree-like structure. Fourth, as a consequence, placement rules are re-interpreted as well-formedness conditions on this structure. Fifth, the insertion of the terminal grammatical forms is post-poned as long as possible. Sixth, the resulting structure represented by means of a tree diagram is to be seen not as a static entity but rather as a dynamic representation in the sense that it codes, on the basis of the underlying material, the history of the process starting from UR and leading to CS. In other words, the dynamicity of such a tree construction resides in the fact that it can be said to simulate the way in which linguistic expressions are uttered by the speaker in a life setting.

3.2.3. Conveyor-belt model or dynamic model?

The evaluation of these models must take place in the light of the general conception and the architecture of MLFG as outlined in section 1 and, in particular, on the basis of the regulative and constitutive constraints discussed in section 2.

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص181-243)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

Generally speaking, both the two models can be said to satisfy in a reasonnable extent the requirements imposed by the standards of pragmatic and typological adequacies (but cf. subsection 3.2.4). The dynamic model seems, however, to be more able to comply to the other constitutive and regulative requirements. Firstly, the relevance of the collapsing of stage I and stage II is evidenced by data from many typologically quite different languages as shown above. Secondly, the alternative procedure which consists in dividing the morphological ERs into pre-order and post-order rules clearly violates the requirements of economy and independent motivation. Thirdly, the postponing of the terminal grammatical forms permits to keep visible, as long as necessary, the information relevant to the latest derivational rules such as accent and intonation assignment. Fourthly, the notion discussed in Bakker (1999: 23) under principle (d) can replace the not always clear copy operations and enable the model to come to grips in a more principled, more uniformized and less costly fashion with the inheritance phenomena involved not only at the simple clause or the term-phrase but also at the complex clause and the text levels. Fifthly, this model has more chances to meet the psychological (or cognitive) requirements discussed in the previous section. On the one hand, the conflation of stages I and II makes it possible not only to avoid overgeneration and undergeneration problems, to not violate the economy and the independent motivation principles but also to minimalize the distance between UR and CS. On the other hand, the dynamicity of the model as defined above reinforces the expected «transparency» of the relationships between these two structures.

4. Some suggestions

The suggestions I would like to make are of two sorts: general suggestions concerning the intrinsic properties of the model itself and specific suggestions relating rather to its ability to constitute an adequate grammatical module for MLFG.

(i) The required transparency between UR and CS is arrived at, as shown above, by minimalizing the distance between these two structures and

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص181-243)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

by reflecting the history of the process that leads from the former to the latter. A higher degree of transparency could be attained if the constituency of CS remains reminiscent of the hierarchical organization of UR. More precisely, this goal could be acheived if the UR layers (clause, proposition, predication etc…) are resumed, be it with another (more formal) status.

(ii) The syntactic templates currently recognized in the FG literature does not suffice to cover the positions assignable to constituents in natural languages. Data from certain languages suggest to enrich the syntactic templates by additional positions. In this respect, it should be noticed that the adequate description of the sentencial word order in some languages like Arabic requires a syntactic template with four in itial positions to host the Sentence Initial Constituent (SIC), the Clause Initial Constituent (CIC), the Proposition Initial Constituent (PIC) and the Predication Initial Constituent (PrIC). Sentence(22) illustrates the point:

(22) hada l-kitabu, hal ficlan qaraʔa ta hu
this the-book, Int really-acc red-you-it
«As for this book, did you really read it?»

The Cs of (22) can be roughly represented as follows:

(23

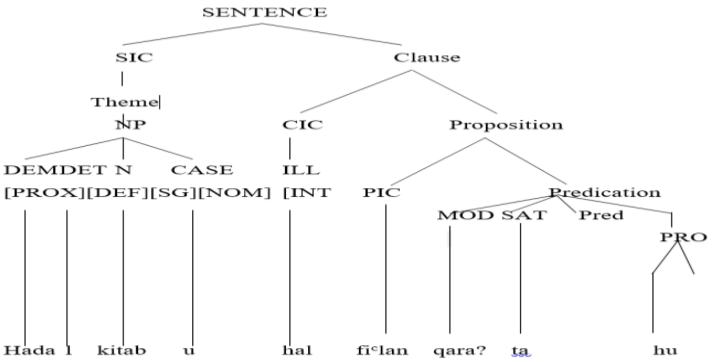

From this representation, it becomes clear that each UR layer requires, at the CS level, its own P1 position. If we keep in mind that the

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

term-phrase can also display a P1 position (cf. Dik (1997b)), we can take the facts examplified in (22) as an additional empirical argument in favour of GPH, in particular of the assumption that a certain parallelism between the discourse categories can be expected at the CS level as well. Moreover, they can serve as an evidence for the claim advocated in (i) that the same UR layers should reappear as nodes and sub-nodes of CS.

(iii) In a previous section we have formulated the problem that the place of prosody poses in the form of this question: How to keep visible through the application of ERs the pragmatic information relevant to accent and intonation assignment? Two solutions can be envisaged. We can apply the prosodic rules at hand directly on the UR itself where the relevant information (pragmatic functions and illocution) is still totally visible. Alternatively, we can apply them after morphosyntactic rules but before the insertion of the terminal forms, which blur the input-information. If this solution is adopted, the Accent features (A-Rises/ Falls) and Intonation features (I-Rises/ Falls) could be specified after and on the basis of morphosyntactic features. This solution has obviously the advantage to permit to determine the role of prosody in the cases where illocution and pragmatic functions are also expressed by the form and / or the order of constituents.

(iv) The derivation process should take, as input, not only the representational and the interpersonal parts of UR as represented in schema (2) but also its rhetorical part. The relevance of the representational and the interpersonal layers is now well established. As for the event, discourse type and discourse style layers, their postulation as layers of a separate (rhetorical) level seems to need more argumentation. In this respect, we can say that the relevance of these layers especially to ERs manifests itself in a direct and an indirect ways. On the one hand, they determine in situ a certain number of morpho-syntactic aspects of linguistic expressions as witnessed by the constuctions examplified in (7), (8) and (9) above. On the other hand, they co- determine the values that the lower (interpersonal and representational) layers take and indirectly the

مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (1) شتاء 2021م (ص ص181-243)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

grammatical or lexical means by which these values are realized. For instance, the values of the event layer, which is meant to represent the deictic centre (or the «pragmatic space»), determine «local» features (personal pronouns etc…), co-determine the values of the lower layers such as Tense, Definiteness and Demonstratives (and all sorts of deictics in general) and trigger indirectly, in so doing, the insertion of the forms (articles, demonstrative pronouns…) realizing these values.

(v) It has become clear from the examination of the constructions like (4a-c) and (5a-b) that ERs are sensitive to to the information coming from the auxiliary modules such as the social module. This information can be specified in the derivation just before the specification of the forms they determine. For instance, the feature: Standard/ Bedouine can appear, after the other morphosyntactic features at the moment of the insertion of the huwa / lahu interrogative particles in Colloquial Egyptian Arabic.

(vi) One of the most important performances the adopted model is expected to realize is to generalize the derivation procedure in such a way that it becomes able to deliver, as far as possible, similar CSs not only for term-phrases and clauses but also for sentences and texts. This should be done in the light of GPH, i.e. in the light of the assumption that the recognized discourse categories display an underlying parallelism and although at a lower degree, a surface structural isomorphism.

Structure (23) is an example of what the representation of a sentence and a clause CS could be in the light of such an assumption. Now, concerning the representation of the text CS, two different approaches can be adopted: a text-product approach and a text-process approach. According to the former approach, we can represent it as a whole by a finite global tree such as (24):

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

(24)

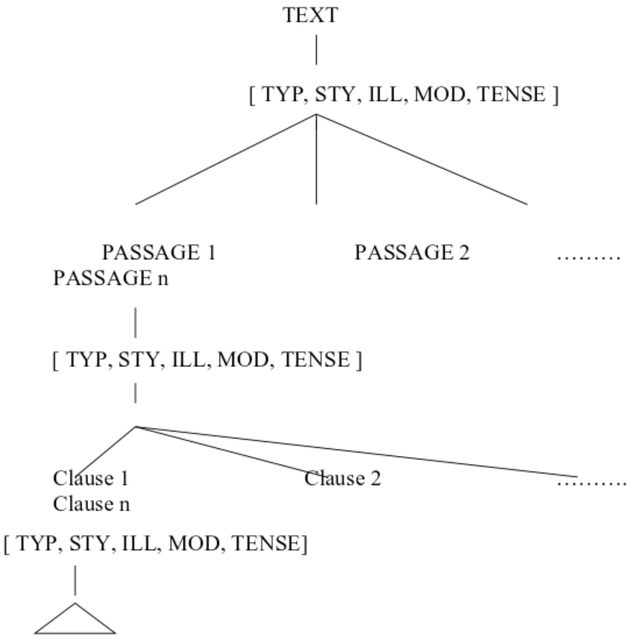

Tree (24) shows that the « Inheritance Principle » also holds here: the text UR primary operators (such as Discourse Type, Discourse Style, Illocution, Modality and Tense), now taken as auxiliary operators, are inherited by the passages and, then, by their constituting clauses.

According to the latter one, it can be built in an incremental way (in the sense of Mackenzie (2000)), i.e.by means of successive expansions and stretch by stretch.

Conclusions and some perspectives

The newly proposed architecture of FG requires that the standard ERs component be deeply revisited. In order to fit in with the spirit and the organization of the version of MLFG we are advocating, this component must be designed in such a way that it becomes able to successfully fullfil three main tasks: First, it should deal with an extended

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

and enriched UR whose parts come from the pragmatic and the semantic modules (and, eventually, from others). In doing so, it is expected to conform to GPH, i.e.to the assumption that the recognized discourse categories display, at different degrees, a similar UR. Second, it is intended to deliver concrete hierarchically organized and fully specified CSs for all these categories (including the text), on the basis of. The assumption that a certain structural parallelism can also hold at this level. The rules responsible for this task must be strongly constrained so as to avoid the signalled cases of both overgeneration and undergeneration. Third, the mode adopted for linking the UR and CS levels, whatever its nature can be, should strive to meet, as far as possible, the pragmatic, typological and cognitive requirements implied by the general standards that the theory of FG imposes on itself.

This linkage is expected in particular to satisfy the 'Transparency Constraint' (or the 'Projectivity Constraint') which requires that the distance between the two levels be as minimal as possible on the one hand and to reflect in a dynamic fashion both the production and the interpretation processes on the other hand.

The model advocated here is reminiscent, on many aspects, of Hengeveld's version of FDG with the peculiarity, however, that it remains more rooted in the dikean conception of the discourse structure and the organization of MNLU.

In fact, what is proposed in this study is no more than a mere outline of what an adequate grammatical module of MLFG could be and leaves open, thus, a number of questions which certainly require further research.

In this perspective, we are now elaborating an alternative organisation of the MULN which incorporates Hengeveld's and Anstey's new proposals (Hengeveld (2002a and b), Anstey (2001)). We mainly envisage:

(a) to add an Acoustic/Orthographic module intended to convert the Constituent Structure level into an Expression level;

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

(b) to insert the Perceptual Module as a (situational) component of a wider Contextual Module;

(c) to re-interpret the standard Epistemic module as a "driving force" Conceptual (or Cognitive) Module;

(d) to locate the standard Logical Module in the MULN as a deriving device whose main task would be to feed the Conceptual Module by new knowledge coming from the different modules of Grammar and from the Contextual Module.

As for the status of the standard Social Module in such a re-organization of the MULN, two possibilities offer themselves: (a) keeping it as an autonomous module and (b) inserting it in the Contextual Module.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

References

- **Anstey, M.**
  Layers and Operators Revisited. WPFG 76
- **Auwera, Johan.**
  1990. Coming to terms. Habilitation thesis. University of Antwerp.
- **Bakker**, Dik.
  FG Expression Rules: from templates to constituent structure. WPFG 67.
  2001. *The FG Expression Rules: a dynamic model.* Revista Canaria de Estudios Ingleses.
- **Bakker**, Dik and **Siewierska**, Anna.
  2002 *Towards a speaker model of functional grammar.* In Mackenzie and Gomez Gonzalez (ed).
- **Benveniste**, Emile.
  1966. Problèmes de linguistique générale. Paris: Seuil.
- **Dik**, S. Charles.
  1997a.The Theory of Functional Grammar. Part 1: The structure of the clause. Second, revised edition. Edited by Kees Hengeveld. Berlin: Mouton de Gruyter.
  1997b. The Theory of Functional Grammar. Part 2: Complex and derived constructions. Edited by Kees Hengeveld. Berlin: Mouton de Gruyter.
- **Groot**, Casper (de).
  1990. *Morphology and the typology of expression rules.* In: Mike Hannay & Elseline Vester (eds) Working with Functional Grammar: descriptive and computational applications. 187-201. Dordrecht: Foris.
- **Hengeveld**, Kees.
  1997. *Cohesion in Functional Grammar.* In: J.H. Connolly, C.S. Butler, R. Vismans & A. Gatward (eds) Discourse and Pragmatics in Functional Grammar. 1_16. Berlin: Mouton de Gruyter.
  2002a. *The architecture of Functional Discourse Grammar.* In Mackenzie and Gomez-Gonzalez (eds).
  2002 b. *Epilogue.* In Mackenzie and Gomez-Gonzalez (eds).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- **Kroon**, Caroline.

  1997. *Discourse markers, discourse structure and Functional Grammar*. In: J.H. Connolly, C.S. Butler, R. Vismans & A; Gatward (eds) Discourse and Pragmatics in Functional Grammar.17-32. Berlin: Mouton de Gruyter.

- **Mackenzie**, J. Lachlan.

  1998. *The basis of syntax in the holophrase*. In: Mike Hannay & A. Machtelt Bolkestein (eds) Functional Grammar and verbal interaction. 267-296. Berlin: Mouton de Gruyter.

  2000. *First things first: towards an incremental functional grammar*. Acta Linguistica Hafniensia. 32.

- **Mackenzie**, J. Lachlan and Gomez-Gonzalez M.A. (eds).

  2002. A new architecture for Functional Grammar. Berlin: Mouton de gruyter.

- **Moutaouakil**, Ahmed.

  1989. Pragmatic functions in a Functional Grammar of Arabic. Dordrecht: Foris.

  1993. Reflections on the layered underlying representation in Functional Grammar. University Mohamed V, Rabat.

  1996. *On the layering of the underlying structure in FG*. In: B. Devriendt, L. Goossens & J. van der Auwera (eds) Complex structures. A functionalist perspective. 201-227. Berlin: Mouton de Gruyter.

  1998. *Benveniste's récit and discourse as Discourse operators in Functional Grammar*. In: Mike Hannay & A. machtelt Bolkestein (eds) Functional Grammar and verbal interaction. 25-42. Amsterdam: Benjamins.

  1999. Exclamation in Functional Grammar: sentence type, illocution or modality? WPFG no. 69.

  2002. *Discourse structure, the generalized parallelism hypothesis and the architecture of functional grammar.* In Mackenzie and Gomez-Gonzalez (ed).(fc) Universal Functional Grammar and Typology.

- **Rijkoff**, Jan.

  1992. The noun phrase: a typical study of its form and structure. PhD Dissertation. University of Amsterdam.

- Van **Valin**, Robert D.

  1993. Advances in Role and Reference Grammar. Amsterdam: J. Benjamins.

- **Vet**, Co.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

1998. *The multi-layered structure of utterance: About illocution, modality and discourse moves*. In: Mike Hannay & A. Machtelt Bolkestein (eds) Functional Grammar and Verbal interaction. 1-24. Amsterdam: Benjamins.

Thematic of the Issue: The New Saussurism
Number Opening: Saussure in the Context of the New Reception……..…. Editor-in- Chief **Pr. Hafid Ismaili Alaoui (1-11)**
They Assume Saussure is Structuralist!………..……………..…………………….. **Pr. Mbarek Hanoun (pp13-42)**
Philological Approaches to Saussure's Course in General Linguistics… **Pr. Mostafa Ghelfane (pp43-75)**
Saussure and its Cultural Environment the Dialectic of Extension and rupture…………………………………………………………………………………..…. **Pr. Rabiaa Elarabi (pp77-91)**
Contemporary Arabic Reception of Saussure After his Discovered Manuscripts Recently……………………………………………………………….. **Pr. Mahrous Borayyek (pp93-115)**
Laws of Linguistic Evolution in Saussurean Linguistics……………………….. **Dr. Houcine Soudani (pp117-140)**
Some Aspects of Reception of F. de Saussure Linguistics by Contemporary Russian Linguistic Thought the Article by Vladimir Alpatov «Saussure and Bakhtine»……………………………………………………...

Tr : Tahsin Razzak Azziz (pp141-157)
Commented by Pr. Mokhtar Zouaoui (pp158-164)

Studies & Researches

About Elusive Tactics Of Mixing Original Authorship With Translation: Salah Fadl's Writings as a Model…………………………………………………………..

Pr. Saad Maslouh (pp165-177)

نحو قالب صرفي تركيبي كاف لنحو وظيفي طبقي قالبي…………………………………………………………

أ.د. أحمد المتوكل (ص ص179-216)

Thematic of the issue

The New Saussurism

PARTICIPANTS IN THIS ISSUE

- **Pr. Ahmed Moutaouakil**
- **Pr. Hafid Ismaili Alaoui**
- **Pr. Mahrous Borayyek**
- **Pr. Mbarek Hanoun**
- **Pr. Mokhtar Zouaoui**
- **Pr. Mostafa Ghelfane**
- **Pr. Rabiaa Elarabi**
- **Pr. Saad Maslouh**
- **Dr. Tahsin Razzak Azziz**
- **Dr. Houcine Soudani**

Rules of Publishing

The linguist is

- A refereed international quarterly journal of linguistics.
- It publishes manuscripts and data written in Arabic, English and French.
- It accepts research articles, and translated or reviewed works that are of significant scientific importance.

The Mission

- The ultimate mission of the journal is to:
- contribute to the dissemination of a universal linguistic culture.
- participate in developing linguistic research in the Arab world.
- keep abreast of the developments of linguistic research and its innovations.
- inform researchers and interested academicians about the most important works written and published in modern linguistics.
- encourage linguistics openness on other fields and enhance interdisciplinary studies.

Specificity and Uniqueness

- The journal publishes rigorous studies in the field of linguistics.
- The journal seeks to keep abreast of the developments of linguistic research through the translation of studies published in outstanding international journals of linguistics.
- The journal promotes discussions on the most important contemporary linguistic issues.

Conditions of Publication

- The journal publishes original manuscripts that have not been published or sent for publication to any other party.
- The manuscripts (articles, book reviews, translated works…) sent for publication must pertain to linguistics.
- Research projects and studies must adhere to academic scientific norms and conventions.
- The articles must be written in accordance with the journal formatting and referencing styles as shown on the journal's website.

Rules of Publishing

- The manuscripts length should be no more than 9000 words, including appendices.

Conditions for book Reviews

- The journal publishes reviews of recent books, whether they are translated into Arabic or not.
- Book reviews must abide by the following conditions:
    - The reviewed book content should be pertinent to the journal areas of interests.
    - The choice of the book should be based on objective reasons: the importance of the book, its scientific value, its enrichment of the field of knowledge, and the usefulness of its review.
    - The book has to have been published within the last five years,
    - The review layout should also take into account the following guidelines:
    - Specify the title of the book, the name of the author, the number of chapters and pages, the place and the date of publication.
    - Briefly introduce the author or the translator of the book.
    - Specify the main thesis of the book, explain its methodology and state its objectives, general ideas, and references.
    - Thoroughly present and analyze the contents of the book using critical tools and comparative approaches.
    - The review should be no less than 2000 and no more than 3000 words, although reviews of up to 4000 words are also accepted provided that they focus on analysis and comparison.

Formatting and Referencing Styles

Please refer to the journal's website:
https://www.linguist.ma/

Other Requirements for Publication

- Research papers submitted for publication in the Journal should be accompanied by:
- The original source version of the translated text along with its full reference.
- The research abstract in both Arabic and in English, within 300 words,
- An inventory of the research key words,
- A brief biography of the author (within 200 words), both in Arabic and English.

Rules of publishing

- A detailed CV of the author.

Publication Procedures

All materials should be sent to the magazine email:
info@linguist.ma or ismaili@linguist.ma

- The journal notifies the authors upon receipt of their works.
- The journal notifies the authors of preliminary acceptance or rejection of their manuscript within one month. Afterwards, the work is subjected to blind peer reviewing for scientific evaluation.
- The researcher is informed of the peer review results (acceptance or rejection) within a period not exceeding three months from the date of his notification that the submitted material meets the formal requirements.
- In case of the manuscript rejection, the journal is not required to justify its decision.
- The author shall be informed of any modifications requested by the reviewers. Accordingly, he is expected to comply with the deadlines for the required changes and corrections.
- The journal requires that the researcher commit to editing and proofreading in accordance with the conditions applicable in the international periodicals,
- The journal reserves the right to republish the manuscript in any format it deems useful.
- No manuscript may be published elsewhere after being peer reviewed and finally accepted for publication by the journal.

Disclaimer

- The journal does not offer any compensation for the published works, nor does it charge any fees for publication.
- All articles represent the authors' opinions and do not reflect the official view of the journal.
- Authors are solely responsible for their manuscripts and data published in the journal.

Contacts

- All articles are sent to the journal's e-mail:
  info@linguist.ma or ismaili@linguist.ma

For more details, please visit the journal website:
https://www.linguist.ma

Managing Director

Pr. Jamal Eddine El Hani

Dean on the Faculty of Letters and Human Sciences Rabat

Responsible Director and Editor-in- Chief:

Pr. Hafid Ismaili Alaoui

Editorial Board

Pr. Abderrahman Laaouina
Pr. Fatima-zahra El Fenne
Pr. Karim Bensoukasse
Pr. Mohammed Derouiche
Pr. Mohammed Taki
Pr. Saadia Seghir
Pr. Said Bennis
Dr. Hakima Khamar
Dr. Hassan Belhiah
Dr. Hicham Ouardi
Dr. Ikbal Zeddari
Dr. Jamal Ez-zouaine
Dr. Laila Mounir
Dr. Mohammed Merzouk
Dr. Otman Ahmiani
Dr. Souad El youssoufi

ISSN: 2665-7406

E-ISSN: 2737-8586

The linguist is a refereed international quarterly journal of linguistics Published by the faculty of Letters and Human sciences Mohamed V University.

Consulting Board:

Pr. Abderrazak Bannour
Pr. Ahmed Alaoui
Pr. Ahmed Moutaouakil
Pr. Ezzeddine Majdoub
Pr. Hamza Al-Mozainy
Pr. Mbarek Hanoun
Pr. Michel Zakaria
Pr. Mohamed Ghalim
Pr. Mohammed El Boukri
Pr. Mohammed Essayedi
Pr. Mostafa Ghelfane
Pr. Mouhamed Chaouch
Pr. Murtadha J. Bakir
Pr. Nihad El-Moussa
Pr. Saad Maslouh
Pr. Salah Belaïd

All materials should be sent to the magazine email:
info@linguist.ma ismaili@linguist.ma
For more details, please visit the journal's website:
https://www.linguist.ma

اللساني linguist

Peer-reviewed and refereed journal published by The faculty of letters and human sciences Rabat

ISSN: 2665-7406

E-ISSN: 2737-8586

E-mail Address:

info@linguist.ma

ismaili@linguist.ma

The Journal Website:

https://www.linguist.ma

جامعة محمد الخامس بالرباط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
Université Mohammed V de Rabat
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines
Mohammed V University in Rabat
Faculty of Letters & Human Sciences

ISSN: 2665-7406
E-ISSN: 2737-8586

اللساني linguist

Peer-reviewed and refereed journal published by The faculty of letters and human sciences Rabat

Vol (1), N° (1), Winter 2021

Thematic of the issue

The New Saussurism

https://www.linguist.ma